

جليلة رضا

شاعرة اللحن الباكي

حياتها وشعرها

تقديم

محمد رضوان



حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : جلييلة رضا.. شاعرة اللحن الباكي

حياتها وشعرها

تقديم : محمد رضوان

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى 2017



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ميدان جليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

■ ■ جلىلة رضا شاعرة اللحن الباكي !

بقلم : محمد رضوان⁽¹⁾ .

(1) محمد محمود رضوان : ولد بالدقهلية في 15 سبتمبر 1948 وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة (1971) وعمل كاتبًا صحفياً بمجلة الهلال (1972) ، أديب وناقد ، من مؤلفاته : شاعر الجندول ، علي محمود طه - شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت ، اعترافات شاعر الكرنك ، أحمد فتحي ، مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديق ، جمع وحقق عددًا من دواوين الشعراء المعاصرين مثل : عبد الحميد الديق ، صالح جودت ، أحمد فتحي ، علي محمود طه .

تعد الشاعرة جلييلة رضا (1915 – 2003) من أبرز الشاعرات المصريات والعربيات المجددات التي كانت صوت مصر الذي تردد في أفق الحياة العربية، رمزاً لموهبة مبدعة، وناي شجي، طالما غنى وجدان الشعب، ومشاعر الناس، وأحاسيس المرأة والطفولة، كما صورت الشاعرة أحلام الرومانسيين، وخيالات المحبين، ومشاهد الكون والوجود، والطبيعة في لوحات رائعة، وميزة شعرها أنه عكس فلسفتها الشاعرة وتجاربها الذاتية الصادقة، ومضامينها التي تنفرد بها وفلسفتها ورؤاها العميقة لأسرار الطبيعة، ومشاهد الحياة والكون والوجود، لأنها ببساطة حملت رسالة المرأة الشاعرة نحو نصف قرن من الزمان أبدعت فيه ما أبدعت من روائع القصيد في الحب والطبيعة والوطنية والعروبة، وعرف الناس فيها لحنها المتميز، وديناها المتفرد، وموسيقاها الهامة، وصورها الحاملة الحية ويكفي أنها كانت صادقة في كل ما كتبت وأبدعت فلم تموه عاطفة، ولم تزيّف شعوراً، فجاء شعرها تعبيراً صادقاً عن عواطفها ومشاعرها الذاتية، فاستلهمت في كل ما كتبت وجدانها الصادق فاتسم إبداعها بالذاتية العميقة .

ولدت جلييلة رضا في الإسكندرية في الحادي والثلاثين من ديسمبر 1915 لأب مصري وأم تركية، وكانت أصغر أخواتها، وكان والدها يعمل في سلك المحاكم الأهلية ويتنقل بحكم عمله بين المدن والقرى في صعيد مصر، فبدأت تعليمها الأولي في مدرسة الفشن الأولية، وعندما رجعت الأسرة إلى الإسكندرية لحقت بمدرسة العروة الوثقى الابتدائية، ثم انتقلت إلى القاهرة فلحقت بالقسم الداخلي بمدرسة الراعي الصالح الفرنسية بشبرا، ومن هنا كانت فرصتها لإتقان اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية، وتوغلت في قراءة الأدب والشعر الفرنسيين فظهرت ميولها الأدبية .

وتزوجت محمد مصطفى الدرديري الذي كان يعمل في سلك القضاء وأنجبت منه ابنة «ثرية» وابناً «جلال» أصيب بمرض عقلي لازمه طول حياته حتى توفي عام 1984 فأضفى ذلك على شعرها الحزن والأسى، وبعد أن انفصلت عن زوجها

توجهت بكل مشاعرها إلى إنتاج الشعر العربي وكانت قد بدأت بنظم مجموعة من الأغاني، وحدث أن جمعها الصدق في مرضها سنة 1951 بطبيعتها الشاعر د. إبراهيم ناجي واطلع على شيء من أشعارها فتهلل وقال وهو يكاد يقفز فرحاً: هذا شعر ناجي الصغير! ومن هنا كانت بدايتها ورحلتها في عالم الشعر، وساعد على ذبوع شهرتها التقاؤها بالشاعر محمد الأسمر فنشر لها عدداً من قصائدها في «صحيفة الزمان»، وفي سنة 1952 رحل د. إبراهيم ناجي عن الحياة فطلب منها شقيقه الأكبر محمد ناجي أن تلقي قصيدة في رثائه في رابطة الأدب الحديث، ومن أهم الجمعيات التي اشتركت فيها: ندوة شعراء العروبة التي أسسها خالد الجرنوسي، رابطة الأدب الحديث، اتحاد الكتاب، لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، لجنة الشعر القومي، وهكذا غشيت المحافل الأدبية لتسهم فيها بأشعارها مما لفت إليها أنظار كبار النقاد، فقال عنها شيخ النقاد مصطفى السحرتي: «إنها مفخرة بين لداتها من شاعرات المشرق العربي، وقال الأستاذ علي الجندي: «إنها أشعر شواعر الإقليم الجنوبي، ويقصد بالإقليم الجنوبي مصر حيث إن هذا الحكم صدر أيام أن كانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا»، كما قرر كمال النجمي: «إن الشعر المصري المعاصر كانت بدايته عائشة التيمورية وقد بلغ غايته عند جلييلة رضا»، وقال أنيس منصور: «لقد تأخرت جلييلة في نشر اعترافاتها كما تأخرنا كثيراً في تقديرها حق قدرها فهي بكل المقاييس كبرى شاعرات العرب، هذا وقد تأثرت جلييلة بالثقافة الفرنسية خاصة، ومن أهم من تأثرت بهم: فكتور هوجو - لامارتين - رامبو - بودلير، وقد ترجمت كثيراً من القصائد الفرنسية إلى العربية.

بعد انفصالها عن زوجها ورحيله عن الحياة عام 1967 تزوجت من الشاعر عبد الله شمس الدين زواجاً لم يستمر طويلاً، وفي عام 1960 تزوجت الصحفي محمد السوادي (1904 - 1978) وظلت معه حتى توفي ثم عاشت بقية حياتها وبجانبها كريمتها «ثرثيا».

ومن مؤلفاتها دواوين : اللحن الباكي ، الأجنحة البيضاء ، أنا والليل ، صلاة إلى الكلمة ، العودة إلى المحارة ، لمن أغني ؟ ودراسات : وقفة مع الشعر والشعراء جزآن ، ومسرحية شعرية : خدش في الجرة ، ورواية : تحت شجرة الجميز ، هذا وقد حصلت الشاعرة على جائزة الدولة التشجيعية سنة 1983 ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عن ديوانها «العودة إلى المحارة» .

كما سجلت سيرتها الذاتية في كتاب «صفحات من حياتي» صدر عام 1996 .
توفيت في 3 مارس عام 2003 .

كانت جليلة رضا شاعرة رومانسية حاملة متألفة نسجت شعرها من وجدانها ومن ذاتها ومن طابع الحياة المصرية وواكبت الأحداث الوطنية في مصر والأمة العربية ، فكانت بحق شاعرة الوجدان العاطفي والوجدان الوطني والقومي الصادقة في المشاعر والتعبير .

وقد اشتملت موضوعات شعرها كل الموضوعات الخاصة والعامة فتناولت في شعرها : الحب والغرام ، شعر الغربة والألم ، شعر الطبيعة ، الشعر الإنساني ، شعر الأمومة ، الشعر الوطني ، شعر الرثاء ، الشعر الديني .

وكان أهم ما يميز شعرها هو عمق الإحساس بكل ما كتبت ، وحسن التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها الذاتية والعامة .

وجماع شعر جليلة رضا كان يتجلى في شعرها الذاتي ثم في شعرها الواقعي وفي كل هذا الشعر كان القارئ يشعر بصدقها في التعبير وسلاسة تعبيرها حتى يحس أنها تبوح له بما يكمن في نفسها من مشاعر وأحاسيس وتروي له ما يمر بها من تجارب وأحداث في لغة شعرية شفيفة معبرة مموسقة .

وقد ظلمت الشاعرة جليلة رضا منذ رحيلها ، فقد أصدرت دواوينها الشعرية

المتوالية أثناء حياتها وملاأت المنتديات الثقافية بشعرها الوجداني وأصدرت بجانب ذلك قصصها ومسرحياتها و مترجماتها وسيرتها الذاتية ولكن منذ أن رحلت عن الحياة في الثالث من مارس عام 2003 أسدلت على حياتها وشعرها ستارة التجاهل والنسيان من قبل القائمين على مؤسسات النشر ويكفي أن ابنتها الوفية السيدة ثريا مصطفى تقدمت بأعمالها الكاملة إلى الهيئة العامة للكتاب لمديرة النشر وظلت عدة سنوات مهملة في أحد الأدراج لأن تلك المسئولة كانت من أنصار قصيدة الثر ولا تبالي بالشعر الأصيل والشعراء الملتزمين بأصالة الشعر العربي وقواعده الرصينة .

ولعل الإنصاف الأكبر هو رسالة الماجستير التي نالها الدكتور أحمد محمد أمين الصواف عن رسالته «شعر جليلة رضا» التي قدمها لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام 1990 .

واليوم إذ تبادر مكتبة جزيرة الورد بنشر شعر جليلة رضا فإنما تسدي للشعر والأدب العربي خدمة كبرى لأن هذه الشاعرة من أبرز الشاعرات العربيات في النصف الأول من القرن العشرين وكانت أكثرهن صدقاً في التعبير عن مشاعرها وأحاسيسها .

وستظل جليلة رضا قيمة كبرى بشعرها وإبداعها ويكفي أنها سجلت لنا حياتها وسيرتها بصدق وأمانة في كتابها «صفحات من حياتي» الذي أصبح أحد أكثر كتب السيرة الذاتية صدقاً في الأدب المعاصر .

هكذا كانت جليلة رضا فيضاً من المشاعر الصادقة والأحاسيس المرهفة ، والقلب الخفاق بالحب والصدق لمصر والعروبة والإنسانية ، فاستحقت أن يطلق عليها الشاعرة الإنسانية الملهمة ، فكانت خير معبر عن الأجواء الذاتية والواقعية وخطرات النفس وأسرار الحياة والوجود ، فعبرت وأنشدت وأبدعت روائعها الشعرية الصادقة وهي اللحن الباكي (1954) ، اللحن الثائر (1956) ،

الأجنحة البيضاء (1959) ، أنا والليل (1961) ، صلاة إلى الكلمة (1975) ،
العودة إلى المحارة (1982) ، لمن أغني (1997) .

وفي النهاية فإن جليلة رضا هي شعرها وشعرها يعبر عن جليلة رضا المبدعة
والإنسانة ، وبحسبها ذلك من صدق تعبير وذاتية تصوير فكانت بحق بحسبها
المرهف ومشاعرها الرومانسية المحلقة ، وتجارها المؤسسة في الحياة ، هي
«شاعرة اللحن الباكي» .

محمد رضوان

القاهرة يوليو 2017



(1)

اللعن الباكجي

(1954)



إهداء

إلى من لا يدرك أنني أمه
ولكن حياتي وققت عليه ... !
إلى ولدي الوحيد
أهدي الشيء الوحيد
الذي وجدت فيه عوضاً عنه .

جلىلة رضا

أيها القارئ الكريم

يسعدني أن أقدم إليك هذا الديوان الجديد «ديوان السيدة جليلة رضا» الشاعرة الأولى لرابطة الأدب الحديث ورئيسة جماعة النهر الخالد في الشعر ، وقد كان المرحوم الشاعر ناجي يستمع إلى أبياتها هذه فيدق الأرض بقدمه ويصيح : «مرحى ... مرحى» هذا ناجي الصغير .

والواقع أن هذا الديوان الجديد امتداد لمدرسة ناجي الثقافية الشاعرية التي بذر بذورها في حياته وها هي ذي قد أينعت وأثمرت وأترك لصديقنا رامي أو كما نسميه «أخي رامي» مهمة التصدير والتقدير الفني لهذا الديوان وأترك للقارئ الكريم بعد ذلك فسحة الإعجاب به والإقبال عليه .

محمد ناجي

رئيس رابطة الأدب الحديث

مقدمة

رأيتها أول مرة وهي تلقي قصيدة في حفل تأبين الشاعر العزيز إبراهيم ناجي رحمه الله ، وكانت تقف خاشعة ، مطرقة الرأس غائمة العين ترسل أبياتاً من الشعر ترتلها في صوت خافت يذوب أسى وحرزاً ، وأطلت النظر إليها أسمع هذا اللحن الحزين ينساب من فمها صلاة طاهرة على الراحل الحبيب فأخذني فيها ذلك الإيمان الذي كان يفيض من عينيها الساجيتين ويبدو في وقفتها وهي خاضعة للقدر الذي أصابها في زميل عزيز .

وانتهى الحفل فتقدمت إليها شاكرًا ذلك الشعور النبيل وما كنت أدري أن ناجيًا كان ينزلها منزلة الشاعرة الملهمة ، ويعتز بها في عالم الشعر الحديث ، وسرني أنني وفقت إلى معرفتها فقد بداني كوكب جديد في سماء الشعر أنا الذي أطرب إلى كل لحن جديد .

ودعنتني بعد ذلك إلى دارها في جمع من الشعراء والأدباء فأخذنا نتحدث في الأدب وبتناشد الأشعار وأتيح لي في هذه الجلسة أن أسمع منها شعرًا في غير الرثاء وإن كان كل بيت منه يفيض كذلك أسى وحرزاً ، وعلمت من بعض الأحاديث التي دارت أنها تعيش وحيدة إلا من بنت لها وولد رماه القدر في عقله فأصبح بين نور الهدى وظلام الحيرة ، وهنا علمت سر ذلك الأسى الذي يشيع في وجهها ، وينطق في شعرها الحزين وأدركت أنني أمام شاعرة تحس ما تقول وتعبر عنه في شعر رقيق هو أقرب في خياله إلى شعراء الغرب .

نشأت صاحبة الديوان في المدارس الفرنسية فقرأت وحفظت من الشعر الفرنسي طائفة كبيرة كانت ترتل بعضها مع أخواتها في المدرسة وكانت روحها

منغومة فكان لهذا الترتيل أثر بليغ في نفسها وسمعتها وهي ثلاثة أختين نالا قبلها من حنان الوالدين ما نضب معه معين العطف عليها ، فذاقت طعم الحرمان وهي في أول عهدها بالحياة .

وحدا بها نغم تلك التراتيل إلى النظم فصاغت قطعاً من الزجل لأنها لم تكن قد درست من اللغة العربية في ذلك العهد ما يمكنها من النظم باللغة الفصحى .

ثم مالت إلى قراءة الشعر العربي فالتمسته أول الأمر في المجالات الأدبية التي تصدر في مصر والشرق الأدنى والمهجر ثم قرأت كتب المختارات من الشعر القديم والحديث حتى إذا اتسقت لها النظم باللغة الفصحى أخرجت قصائد وثنائيات ورباعيات من الشعر العربي نشرت بعضها في تلك المجالات التي كانت تقرأها وتود أن تنشر شعرها في بعض ما تنشر .

وعرفت ناجي وكأنهما توأمان في تلك اللفتة على العمر والخوف من الآجل والحيرة في الحياة والهيام في الطبيعة ، وقرأ ناجي شعرها فكأنما عثر على كنز جديد، راقه خيالها فأعجب به وشاقته معانيها فظل يرددتها وبهره منها ذلك الحزن الذي كان يسيل في شعرها كأنه اللحن الباكي في سكون الليل ، واعتز بها وسمها «ناجي الصغير» وساجلها الشعر فكان ذلك مدعاة إلى إقبالها على النظم والانقطاع إلى دراسة العروض فعرفت أبحر الشعر ومالت إلى بعضها فأكثر من النظم فيه حتى لتكاد تحس ذلك وأنت تقرأ هذا الديوان .

هذه لمحة قصيرة من حياة هذه الشاعرة إن دلت على شيء فإنما تدل على روح حزين من أول عهدها بالحياة وانفتاح قلبها وعينها لمجاليتها .

أما الديوان فهو حياة حافلة بالأحاسيس والمعاني في شتى نواحي الشعور ، تقرأه فكأنما تنصت إلى لحن حزين أو تنظر إلى شمس غاربة أو تودع شراعاً مصفحاً يغيب في ثنايا الموج ، وهي في كل قصائدها ترسل نفسها على سجية فطرية تصور

ما يدور في خلدنا وما يجيش به صدرها وما تتمم به شفتها : كل ذلك في أسلوب سهل واضح لا تحس فيه تلمس الألفاظ أو عرقلة التراكيب هو شعر يكاد أن يكون نجوى غريب أو شكوى حبيب فيه من الحنين إلى الماضي لفتة العين في إثر الراحلين وفيه من الأمل من اللهفة على الحبيب ما يفرغ الموصول من الهجر وهو في نعمة الرضا وهي شاعرة مؤمنة ، والإيمان أخص صفات الشاعر لأنه أفطن إلى جمال الوجود وأميل إلى اجتلاء الحسن وأكثر تذوقاً لنعم الله وتحديثاً بها ... والإيمان أول مراتب الرضا والتسليم فهي ترسل شكاوها صاحبة نائرة ثم ترد إلى نفسها تائبة منيية راضية بما قسم لها في هذه الدنيا ، اسمع ما تقول في قطعها «صلاة» :

أنت يارب شعلة من ضياء	تسكب الدفء والحنان بنفسني
أنت يارب نظرة من صفاء	وهدوء تجتاح ثورة يأسني
أنت روح الوجود سر وجودني	وخيال الرجاء ساعة رمسني
رب إن الحياة كأس عذاب	فأعني على تناول كأسني

وهي حيرى من أمر الحياة شأن كل شاعر يفكر في سر الوجود ويحاول اكتناه خافيه ، حتى إذا تعب في البحث عاد إلى نفسه راضياً يسأل ربه الحنان والرحمة ، وهذه شاعرتنا تقول في دعاء :

إني على طول الطريق كما أنا	أمضي وأعثر في ذبول هواني
وحدي أداعب في الظلام كآبتي	وأمدتها بالصبر والإيمان
ورنين أقدامي يسابق في الدجى	خطوى كأن الخطوطيف ثان
وأمد أجنحتني على طول المدى	على أضم الكون في أحضاني
وعلى جدار اللا نهاية أرتمى	حيرى أسائل من أنا ما شاني

يارب فيضاً من حنانك في دمي وظلال آمال على أجفاني

وتمتد بها الحيرة حتى لترى السكون خالياً من كل ما يؤنس أو يسعد ، وتجد الحياة جوفاء لا معنى لها يختلط فيها الخير والشر ويمتزج فيها الحلو المر حتى ليكاد يختلط فيها النور بالظلام ، وهذه هي تقول في قطعتها «استسلام» :

ويسأل أين الليل والليل حوله ويبحث في الآفاق عن أثر الفجر
فلا الريح بالأنواء والليل بالدجى ولا الشمس بالأضواء والروض بالزهر
خلا الدهر من طيف الأحبة والمدى فلم يبق من خير على الدهر أو شر
وتقول في قطعتها «نحن بشر» :

أتراننا كالطيور سوف نقضي في غرور
فترة العمر القصير فوق أفنان الشجر
أم تراننا كالشموخ نتلظى بالدموع
ثم نذوي في خشوع دون ظل أو أثر

فإذا اشتدت بها الحيرة وتاهت في بقاء الحياة ودت لو يغيب رشدها وتظل مذهباً بها في عالم النسيان فتقول في قطعتها «نهاية صيف» :

أنالاً أحس بأدمية هذه النفس الغريبة
أنالاً أرى الدنيا سوى صور وأشباح رهية
أواه لو أحيما كما تحيا جميع الكائنات
وأسير في ركب الورى وأغيب عن ذكرى حياتي

هذه الحيرة الشاملة أنزلت شاعرتنا على أن تسهد الليالي الطويلة وأن تهفو إلى

النوم یریحها من عذاب التفکیر وهي في هذه القطعة الباکیة تشکو لیلة إلى الوسادة فتقول :

آه کم أحببت أن ألقى به ذلك الرأس على صدر الوساده
وهو كالناسک في محرابه ينسج الأوهام حبًا وعباده
وهو كالنافخ في مزماره هزه اللحن طويلًا فأجاده
وهو كالخفاش في ظلماته حائر الأجواء مسلوب الإراده
أتمنى لحظة ينسى بها صور العمر فيستوحى رقاده
موغلاً في النوم منقادًا له كغریق لفه الموج وقاده

ثم تلمس الراحة في حب الطبيعة والإعجاب بمفاتنها فقد سافرت في نواحي مصر وزارت الجبل وعاشت على شاطئ البحر ووصفت كل ذلك في شعر ناطق بالصور البديعة بثت فيه شوقها إلى ارتیاد هذه المشاهد وصورت أثرها في الترفيه عن نفسها الحزينة ... استمع إليها في قطعها «تلال بلطيم» وهي تقول :

جهل الناس من أناجي ولكن هل طيوف الأموات تجهل همسي
من تراني أكون غير رفیق في شعاب الحياة أحمل رمسي
إن في هذه التلال حنائنا سرمدي الضياء يلهب حسي
كلما جتتها تلاشى عذابي وأسى مهجتي وثورة يآسي
هي لي عالم من السحر يبدو أتناسى به عوالم نفسي

أما الغزل في هذا الديوان فلا تجد فيه صورة باسمة للقاء سعيد أو ترى فيه بارقة أمل لصفاء بعد كدره أو رضا بعد هجر إنه لوعة باکیة وحسرة ألیمة على زمن فات وعهد تولى ، أو شك مریب في عاطفة لا یطمئن إليها القلب اللهيف .

لا لم يكن ذاك الحنان الكبير منك غراماً أو جوى واشتعال
رثيت لي يا للرثاء المرير وكان ذاك الحب وهم الخيال
نعم إنه شك حدا بشاعرتنا إلى إنكاره وجود الحنان وإن بدت آثاره من نفس
حانية أو قلب أمين ، ألم تقل في قطعها «حيرة» :

تهفو فاهفو والهوى والحنين قوافل تسبق أقداميه
تجفوف فأجثو والأسى والأنين ورهبة الواقف قداميه
إليك تدنيني بحر اللقاء وبهجة القلب وحسن الجميل
ويخبط الفكر ويعلو النداء فأينا الطاغي وأين الذليل
وفي قطعها «شدوذ» :

فطوراً أحبك حتى أذوب بخمر الأمانى وشهد المنى
وطوراً تنادي فلا أستجيب كأن خيالك طيف الردى

ويمتد بها الشك حتى تثور نائرتها فتقول في «حنين وثورة» :

ها هو الطير يغني بعد أن راح الظلام
وازدهى لون السماء وانجلى عنها الظلام
كل شيء صار يحكي ما حكى عنه الغرام
وأنا وحدي أراعي لفظة من شفقتك
لا تلومي إن رأيت القلب يوماً قد جفاك
لن يظل العمر في ذل الهوى يرجو رضاك
لا ولن يرضى بأن يبقى أسيراً في هواك

إن تشائي فارحميه قبل أن يقسو عليك

ولعل هذا الظماً الشديد إلى العطف ترديد لما تجيش به نفسها من افتقاد الحنان منذ الصغر والتماس الإشفاق في فجر العمر وهي التي رأت من أول عهدا بالفهم أنها لا تحظى بما تود من عطف قريب أو حبيب فهي تقول في قطعها «تأملات» :

ها هنا الجدول في بطء الضرير يتهادى كالخيال الحالم
وأراني في الدجى طيفاً يسير حاملاً أعباء هذا العالم
كل هذا الماء لا يشفي غليلي إنني أبحث عن ماء الصخور
رب صخر راح يصغى لعويلي ويروي ميتاً بين القبور

على أنها في غمرة هذا الأسى وجدت قلباً عطوفاً ساجلته رحمة الشاكي وري
الظمان ، أشرق في جوانب نفسها الغائمة وبسم في عينها الندية ولكن القدر أبى إلا
أن يسلبها قربه فبكته في «حق البقاء» قائلة :

طالما استطعت كأسى ليتني ذقت مرًا مذ تذوقت البدايه
ليتني لم أقرأ الحب كما يقرأ الساهر طرفاً من روايه
يستلذ النوم في أحضانها وهو لا يدرك أن النوم غايه
أينام العشب في الوادي على ضفة الأنهار أو شط الغدير
ويضم الغصن أطيال الربى ويناجي النجم أجفان الزهور
ثم يمسي القبر مثواك إذا ألقى الساعة بالخطو الأخير؟

لهذا لعبت الذكرى دوراً كبيراً في حياة الشاعرة وهذه هي تصف «زيارة رهيبة»
لغاني صباحا فتقول :

وهبطت من عدني وضوء الخلد يغمر خاطري

ثم انحشرت مع القطيع الأدمي السائر
وتركت أطلال الهوى ملتاعة تهمي دموعي
وكان لا مأوى لساكن مهجتي بين الضلوع
واليوم كالجمال القعود أعيش طي الذكريات
أجترهن شرائحًا بدم الهوى والعاطفات

وهي في كل هذا الألم لا تجد آسياً لجراحها إلا هتافها بالشعر وتغنيها به فقد
وقفت عليه حياتها واختارته نديماً وسميراً تبثه شكواها وتفضي إليه بنجواها وهي
تصف عزاءها به في غمرة الآلام فتقول في قطعها «أيها الشاعر» :

إيه يا شعر ما الذي بك أغراني حتى أذبت فيك شعوري
وحرمت الحنان والحب والعطف وطيب الرضا وصفو الصغير
وحرمت الصحاب والمرح الحلو وضحك الصبي وهو البكور
وتفانيت في رضاء خيالي وطويت الحياة في التفكير

هذا قليل من كثير أود أن أقوله عن هذه الشاعرة الملهمة ولكنني أترك القارئ
يجوس خلال هذا الديوان فيقع على كل معنى طريف وخيال بديع ثم يقول معي
«حقاً» ، لقد ظهر في سماء الشعر كوكب جديد .

القاهرة في أول سبتمبر سنة 1954

أحمد رامي

■ ■ الفجر المنتظر

أيها الفجر ! سأنتظر وسأنتظر طالما كان ليل .

وكان وجود !

يا فجر يوم باسم لم ترقب الدنيا مثيله
كم بت أستجدي الظلام رؤى مفاتنك الجميلة !
إني لأستوحيك في ليلي وفي عمق السكون
فيذوب ضوءك في دمي وأحس بالدفء الحنون
لا بل إخالك هاهنا في مهجتي في غور ذاتي
نجمًا يسامر طيفه كوني ويملا لي حياتي
ويكاد يدفعه الظلام إلى الورا إلى الخفاء
ويلفه في ظلمة الأستار في ثوب الفناء
فأصبح لا لا شيء يبعد طيفك البراق عني !
إني أراك بخاطري من قبل أن ترعاك عيني
ستعود رفاف الضياء مهيمًا فوق الوجود
في الأفق في الأجواء في الدنيا على الكون المديد
ستعود للروض الكئيب إلى المروج النائمات
متدفقًا بين الزهور وباعثًا روح الحياة
حيًا يزف الطير مولده وينشده لحونه

ويظل ينهل من سناه يعب يستوحي فنونه
وأنا خيالٌ شاردٌ نشوان في دنيا الجمال
يستقبل الفجر الجديد ويستعيد رؤى الخيال
أحلامه اليقظى ترافق خطوة الضوء الطليق
وتمر من غرب الحياة حياتها نحو الشروق
جدلان يتبعها ويرقب طلعة الشمس الخفية
مستشرفاً عمق الخلود تهزه روح نقيه
يا فجر يوم باسم لم ترقب الدنيا مثيله
كم بت أستجدي الظلام رؤى مفاتنك الجميله !
كم رحى أرقب ظلك التياه في أفق الغمام
وأعاب الليل العنيد وحيدة بين الظلام
وأصيخ أرقب لا أحس هناك حولي في مكاني
غير اصطخاب كاصطخاب الموج يهدر في كياني

■ ■ من الزهرة إلى الدوحة

يا دوحة شُبهت بالحب والجود على التقادم في تمثال معبود
إني حبيتك حباً خائفاً وجلالاً وما الكمال على الدنيا بمشهود

ففي رحابك إيواء لذي سفر
لكنني ضقت والأنفاس عائرة
أحنيت هامتك العظمى على قممي
ماللزهور وقد أبليت همتها
يا دوحتي رحمة بالزهر إن لها
أخشى على الساق أن تفنى طراوتها
طورًا تنوح على الأقدام خاشعة
فإن أبت ذلة واستعبدت كبرًا
إني غريبة دنيا أنت مطلعها
دنياهب عليها الريح جاهلة
ويقتفي صوتها آثار عالما
أين الجناحان قد أغريتني بهما
والنور؟ أين ضياء النور يسحرني
أين الخروج وما بالدار من نعم
ما في سمائك غير البرق يومض لي
وفي رياضك أطيّار تغرد لي
فليرجع الأمس والشمس التي احترقت
فكم أحنُّ إلى دنياي مذ برحت
فليس بالميت من تخفى مظاهره

وفي ذراعيك إرشاد لمفقد
وانتابني وهن جارٍ بتسهد
فبتُّ من ثقل رهنا بتقييد
سوى الرضوخ لأمر منك مقصود
قلبا رقيقا وروحا غير ملحد
إن ظلت الساق تجثو بين تعبيد
أو تمسح الرأس في خصلاتك السود
أبى الزمان عليها كل تبعيد!
شردت تحت سماها أي تشريد
ويصخب الموج في لطم وتهديد
يناشد القلب في شدو وترديد
كالعرش أعلوها مرفوعة الجيد؟
والماء ينساب في الأغصان والعود
حلم تولى وما فزنا بمنشود
ما في رحابك غير الضال في البید
وفي جوانحها أحزان مكبود
منها دمائي وجفت نضرة العود
عيناي ترمق أغلاي وتصفيدي
وإنما الموت من ذل وتعبيد

■ ■ النجم الخابي

على شاطئ رأس البر

ها هي الشمس تهاوت في دماها غارقه
وعلى الأفق غيوم جاثيات خافقه
ناشرات فوق ذاك الميت أكفان الفناء
تابعات ظل نعش كان رمزًا للضياء
حائرات بين أجواء الفضاء الشاهقة !

وهنا في أضلعي قلب جريح في شرود
كان بالأمس له ضوء وإشعاع فريد
فخبأ. وي ! كيف يخبو ذلك النجم الرفيق
أين أمشي كيف أخطو والدجى ملء الطريق
مالعين أن تراني أو لقلب أن يقود !

يا لذاك المعبد السامي ويا تلك الصلاة
وأنأجثو بقلب خاشع ناجي الإله !

تلك أقدامی وهذی فی الثرى نفس خطای
أین أتلو صلواتی ولمن أزجى هوای
طالما أعدو أمامی غیر أنى لا أراه !

كنت لی کونًا حفیًا بالأمانى الزاهیة
ونعیماً من زهور وظلال حانیه
فتغیبت ومرت بعدک الأيام تجری
لا أنا أبدي اهتمامًا أو بما تحویه أدري
رائحات غادیات تافهات عادیه !

السحاب الأسود الضارب فی أفق المسیر
والریاح الهوج لا تألو تدوی بالزئیر
وهدير البحر صخاب ینادی بالقتال
كلهارمز لإقبالٍ وسعی ونضال
وبنفسی غفوات وانطواء وضمور ..!

■ ■ لم لا ؟ نحن بشر

لم لا ؟ نحن بشر — أنت مثلی تحتضر

أمن مثلي في العراء ديون حـب أو عزاء
غير طيفي وندائي تحت أنواء المطر

ضـمنا وإـسـحـيق وشـرود وطريق
وأنا أنت غريق في دياجير القدر

هاتف في جانينا في الـدما في مقلتنا
كم دعانا فأيننا كيف نعصي ما أمر؟

ومضينا في جنون نحسني كأس المنون
من سهاد وحنين لا نبالي بالخطر

أترانا كالطيور سوف نقضي في غرور
فترة العمر القصير فوق أفنان الشجر...؟

أم ترانا كالشموع نتلظى بالدموع
ثم نذوي في خشوع دون ظل أو أثر...؟

لم لا؟ نحن صدور وخيال وشعور
وهوى عفتهم ودماء وبشر...

■ ■ استسلام

خلا الدهر من طيف الأجابة والعدا
فلم يبق من خير على الدهر أو شر
هو القلب أضحى بالرغائب ساخرًا
فليس بذى نفع وليس بذى ضرر
هو القلب والبيداء صدر يضمه
فسيان إن أغفى وإن جد في السير
مقيم على صبر وغاد على رضا
فلا أنة تعلق ولا نشوة تسري
فما يرجع الحرمان من كان زاهدًا
ولا رام أمرًا غائب الحس والفكر
أراه لقصف الرعد يطوي جناحه
ويقلب كف الدهر إن جاد بالنصر

وكأس من الأوهام بين شفاهه
تخالط حلو الطعم بالصاب والمر
وتدفعه في ظلمة الأرض تارةً
وترفعه طورًا على أجنح الطير
فيسأل: أين الليل؟ والليل حوله
ويبحث في الآفاق عن أثر الفجر
فلا الريح بالأنواء والليل بالدجى
ولا الشمس بالأضواء والروض بالزهر
خلا الدهر من طيف الأحبة والعدا
فلم يبق من خير على الدهر أو شر

■ ■ ليلة مع الوسادة

ليس النوم هو مجرد استرخاء الجسد وراحة أوصاله
إنما هو نصر عميم تفوز به في معركة الفكر الرهيبة

وسدى الرأس قليلاً ريثما
وتلقى أدمع العين كما
وسديه! طالما الليل دجا
يهدأ الإعصار فيه ويلين
تلتقي الأمواج بالشط الأمين
باعثاً فيه بأشباح الظنون

لست أدري أين أغفو أو أكون؟
فوق ذاك الرأس كالظل الحنون
من أقاصي الفكر تجتاح الجبين
أه لو تدرين ماذا تحملين
ذلك الرأس على صدر الوسادة
ينسج الأوهام جبا وعباده
هزه اللحن طويلاً... فأجاده
جائر الأجواء مسلوب الإرادة
والغد المنشود في ظل السعادة
صور العمر فيستوحي رقاده
كغريقٍ لفته الموج وقاده!

فغداً! يا ويل نفسي من غدٍ
وإذا ما شئت أن تبقى هنا
فاطفتي كالماء ناراً لم تزل
إنما أنت لرأسي رحمة
أه كم أحببت أن ألقى به
وهو كالناسك في محرابه
وهو كالنافخ في مزماره
وهو كالخفاش في ظلماته
وأنا أزجيه من كأس المنى
أتمنى لحظة ينسى بها
موغلاً في النوم منقاداً له

تتلوى تارة ثم تقرر
من خلال الغصن يغدو ويفر
باليد الأخرى على ذاك الخصر
هادئاً والموت منها ينتظر
جفت الأوراق فيها والثمر
عابر يرتاح من ذاك السفر
ثم يمضي للخيلات الأخر

أه كم أحببت أن أخفي يدًا
في حناياك كثعبان بدا
ويد تمتد حتى تلتقي
فأراك الطفل في حضن أمّه
وأراك الظل يكسو غابرة
وأراني منك لا أغدو سوى
هكذا يرتد فكري برهة

أنت يا مرفأ ذياك الغريق

ها هو الرأس فراعى طيفه

ساحبًا في الجو كالطير الطليق
صاعدًا أدراج آلام وضيق
إن تكن قد تجاوزت عمر الشهيق
يسفح الدمع ويسري بالنعيق
ترتمي في هوة الفكر السحيق
غفت العجماء في أرض الطريق

فهو لا يفتأ في ترحاله
هابطًا في ظلمة لا تنقضي
فأسكبي الراحة فيه لحظةً
لا يبالي إن يقيم من بعدها
ثم غطيه بسحب لا تنسى
ودعيني اليوم أغفو مثلما

واستوى النائم في الوضع الأخير
نامت الدنيا على صدري الصغير

فإذا ما الموت وافى وقته
فأسبقي الذكرى وقولي : هاهنا

■ ■ طموح

وعلوًا إلى مدى العلياء
ووعودًا جزيلة في السخاء
ورفقًا منًا بأهل الفناء
جئتهم في مظاهر الغرباء
كريم ومنه خير وفاء

آه حسبي ! حسبي جسيم عنائي
فلعمري لقد سئمت غرورًا
أيها القلب ! رحمة بجناحيك
أجفل الخلق عن طريقك لما
لم أنكرت عالمًا لم يزل جد

أتري صفقت لك الشهب طرًا
أتري سبج الهواء طويلاً
إيه قلبي ! أي الدماء فيك تسري؟
أبدًا لم تلن قناتك يومًا
لست أدري وقد مضيت صخبًا
وبنفسى صمت كئيب وخوف
وتحانت كواكب في ولاء؟
وتنحى مستغرقًا في الثناء؟
أي سر تضمه في الخفاء
أبدًا لم تذبل شموع الرجاء
أين تمضي وأين منك ندائي
وحنين ورغبة في البقاء

ليت شعري ! ماذا بنا من قلوب
قابعات ضاقت بركن لها فيه
لم يسعها الورى وعرض الفضاء
أنين الأسى وذل الرضاء !

■ ■ النسيان

أحقًا سننسى هوانا الكبير
أكان اللقاء لقاء أخير
أحقًا سننقبّر أحلامنا
ونمضي بحيرة أو هامنا
ونطوي زمان الهوى والوصال؟
توارى وأمسى وليد الخيال
بهوة أمس عميق الظلال
نشيد عليها بناء المحال؟

أحقًا سننجو من العاطفات
فلا رعشة بين أعطافنا
إذا ما التقينا لقى عابره
تؤج هوى ومنى ثائره

تشعشع في الصور الحاضره
نروي بها المهج الخائره؟
وفي مقلتي ظلال السكون
يدًا سبقتك إلى الحاضرين
ثقل الظلال ، شحيح ، ضنين
فلا من شعور ولا من حنين

ولا نظرة من سنا الذكريات
ولا قطرة من دموع الهوى
أجر خطاي وئيدًا... وئيدًا
وأبسط نحوك يا شاعري
وطيف ابتسام على شفتي
وفي حركاتي جمود الخلى

ثنيات جيبٍ بجوف الرداء
دخانًا يجوب عنان الفضاء
« ترى من تكون؟ » فيا للغباء!
لديك الضياء وطيف الرجاء

وتبسط أنت يدًا دفأتها
وتنفث من عمق سيجارة
وتمضي تسائل بعض الرفاق
كأنني لم أكنُ فيما مضى

وتقتادنا القوة الحاکمة
وفي مقلتنا الدجى الغاشمة
وكنالها الربوة الباسمة
يعطر أشعارنا الناسمة؟

أحقًا سنمضي لهذا المصير
وكيف نعيش وكيف نسير
وكيف ستفزع منا الطيور
وكيف نغني بغير شعور

هواك الكبير ، هواي الكبير

أجل سوف ننسى بأهاته

سنحیا بقلب یضم المنی بألف حنین وألف شعور
ولکن مثلی لن یستریح ومثلک لن یعتریه السرور
لأننا سنغدو بنسیاننا بقایا وجود عفتها القبور...!

■ ■ قنناء وقدر

يهدهد أحلامي ويكشف عن سري
هي السحر إلا أنها نغم الطهر
من الحطب المغروس في حقلك القفر
وصرخة يومٍ شارد ضائع الوكر

أردتك لي نايًا من الذهب الحر
ويعزف ألحانًا من الشوق والهوى
فإذ بك عود يابس ومجوف
يردد عزف الجن والريح والردى

من الريش أو بالزهر محشوة تغري
تمش له إما ينوء به عمري
وأودعها في الليل من حلمي البكر
رخامٌ تهاوى صارمًا في دجى قبري

أردتك لي في السكون شبه وسادة
أوسدها رأسًا من الهم مثقلًا
وأثر دمعي فوقها وخواطري
فإذ أنت والصمت الكئيب ووحدتي

وأنهل من صهبائها أعذب الصبر
وأرتشف الأضواء من بسمة الثغر
تناولني كأسًا من الصاب والمر
فتلك هي الأقدار هذا قضا الدهر

أردتك لي كأسًا أعب رحيقها
أروي بها قلبًا توقد ظامئًا
فإذ بك والأحزان ملء جوائحي
وما كل من يصبو لأمر بمدرك

■ ■ ليلة من أبريل

«مقتبسة عن الفرنسية»

هي ليلة مرت مقدسة نبيلة
أولى ليالي شهر أبريل الجميلة
لا زلت أذكرها ، فهل تذكرين ؟
إذ نحن منطلقان في طرق المدينة
حيث الدجى والصمت يمتزجان في ضوء حنون
ضوء العيون كنا نسير ...
وكنيسة العذراء في جوف الظلام
تنساب ما بين الفضاء
وتمد كالشبحين أبراجًا طويلة
وهناك نهر السين يقطع الظلال
قطعًا محجبة الزوايا
ويروح ينشر في التماع
تحت القناطر والجسور
تلك المرايا المستطيلة
والشط. والشط الحبيب
كنا نراه ... وعليه تلتمع المياه
وكأنها أفعى تنام بين الغصون

والعابرون كانت كحلم الليل أشباحًا كليلة
ما كان أعذب هذه الأوقات يا حلمي وحيي
إذ كنت تستمعين في شوق إلى أصداء قلبي
بيننا يدي تنساب في ضغط على يدك النحيلة
فنغيب في لغة العيون، وتوهج الروح الحنون
وكان أصداء الإله
رفت مع النسم العليله
هي ليلة مرت مقدمة نبيلة
هل تذكرين؟ أولى ليالي شهر أبريل الجميلة!

■ الساعة ■

سيري بغير حارس أو عناء
يا ساعة أهملها خاطري
سيري على دقات قلبي الفتني
ووقعي خطاك في نعمة
وقربي طيف الهوى واللقاء
فصارت اليوم محط الرجاء
مسرعةً لاهثةً في ظمء
ساحرة مشمولة بالرضاء

حتى إذا يا ساعتي أقبلت
وبعد طول سعيها أشرفت
لحظة حبي واللقاء القريب
نفسي على نيل المنى والنصيب

وهلّت الطلعة وضاءً تبعث النشوة بي واللهيب
فخففي خطاك لا تسرعني وهدئي من الجوى والشبوب

أما إذا يا ساعتی أقبلت لحظة عمري والهناء الفريد
وخلدت نفسي إلى نجوة ومجلسٍ ليس به من شهود
واشتعل القلب يحمي الهوى وكادت الأنفاس منها تجود
فحاذري أن تقدمي! بل قفي وأوقفي سير الزمان العنيد

■ ■ نهاية صيف

«ماذا جنيت لكي أحس كأن لي قلباً غريباً!»

أواه كم تتكشف الدنيا لعيني والوجود
وأنا هنا بالشط أرقب ذلك البحر المديد!

يا بحر! يا بحر استكن فقد أتيتك خائرة
ليلي على كفي محمولٌ ونفسي حائرة
لكنني أتتبع الأمواج في لهفٍ حزين
أبدًا تمر ولا يني ألمي يمر مع السنين
فأحس أن هناك شيئاً قد توغل في فؤادي
وصدى كغصات النحيب في أفق انفرادي!

هذا الصدى الملموس لذاعُ كأنفاس اللهب
متجاوب الأنغام والأنات في روعي الكئيب

وتظلني سحبٌ من الأفكار داجية الغيوم
تمتص من دمي المرنق بالمصائب والهموم
لكنني أمضى موزعة الأمانى والشجون
وأعود للسير الطويل لكي أرفه عن عيوني

لا شيء غير صبية رقدت على قيظ الرمال
كالوردة الفيحاء عالقة على صدر الرجال
وصياح طفل ضاحك يلهو مع الموج العنيد
مرحًا كأطيوار الربى عبًا كأنفاس الورود
لا شيء غير الصمت غير القفر في ظل الخريف
والأفق والشط المديد وذلك البحر المخيف
والريح تلتهم الطريق وتثني نحو الفضاء
والتل يحدق بي وينشر ظله فوق العراء
فأحيط بالعدم الخفي بكل ألوان الفناء
بالشك بالبغضاء باليأس المخيم والشقاء
وأروح أعصره فراغًا قاتلاً جهماً عند
متفجرًا من بين قبضتي الضعيفة في شرود

ويعود يقفز من جدید في دجى صمتي ويأسي
ذاك السؤال الحائر المنساب في أغوار نفسي

ماذا جنيتُ لكي أحس كأن لي قلبًا غريب؟
قلبًا تنازعه الرياح كذلك الموج القريب
أواه لو أحيًا كما تحيا جميع الكائنات!
وأسير في ركب الوری وأغيب عن ذكرى حياتي
لم لا أعيش كطائر هيمان في حزن الطبيعة
نغمي ترده النسائم ساعة الفجر الودیعة
لم لا أعيش كما يعيش القط موفور الوداعة؟
كالطل في صدر الربی كالنمل في ظل القناعة
لم لا أكون كطفلةٍ تلهو على شط المياه
أهزا بقسوة هذه الدنيا وآلام الحياة
وإلى متى ظهري تحطمه أعاصير الرياح
ويزيل عن وجهي ظلام الليل أنسام الصباح
ولم الحقيقة لا تسد علي أبواب الخيال
فأكف عن جريي وراء الضوء في جوف الليالي
وأفك أغلال الأسي وأضمد الجرح العميق
وأزبح ما يجثو هنا في هوة القلب السحيق؟

أنا لا أحس بأدمية هذه النفس الغريبة!

أنا لا أرى الدنيا سوى صورٍ وأشباحٍ رهيبه
أواه لو أحياء كما تحيا جميع الكائنات
وأسير في ركب الورى وأغيب عن ذكرى حياتي!

■ ■ حق البقاء

إلى من أشرق في نفسي كفجر طروب
وغاب وراء الأفق كحلم رهيب

أه لو نعرف ما قدر الحياة
إنَّ ظلاً واحداً مما نراه
إن يوماً قد مضى من أمسنا
والغد المنشور من أعمارنا
أه لو ندرك أو هام العيون
ليس إلا هاجسات وظنون
صار حلمًا وخيالًا وحنين
سوف يطوي في دياجير المنون!

إيه يا بحر الأماني والهوى
لا تقل لي: صبها لي صبها
أيها الجاهل بالله إلى
نسمة أنت تذري في الفضا
أيها القلب المعمي كم تخيب!
سوف تلقاني مع الخمر أذوب
كم تحث الخطو في هذي الدروب؟
وعباب في تلاشيه يغيب!

طالما استطعمت كأسِي! ليتني
ليتني آثرت أن أفرغها
ذقت مرًّا مذتذوقت البداية
بين طيَّات الثرى حتى النهاية

ليتنى لم أقرأ الحب كما
يستلذ النوم في أحضانها
يقرأ الساهر طرفاً من رواية
وهو لا يدرك أن النوم غاية!

قد ثوى المطرق إلا طرقة
وأتى الليل بطيئاً خاملاً
أه من جهلي ومن خوفي ومن
ما الذي أصنع في جوف الدجى
طرقة تهوي وأخرى تعتلي
أظلم الروح خيالاً ورؤى
وهوى الرأس ثقيلاً تعباً
أفقر البيت فما من شبح
دقها الزائر حيناً وانتظر
يحمل الصمت وأحزان القمر
رعشة تسري ودمع ينهمر
ما الذي أرجوه من ظلم القدر؟
ودويُّ صاحبٍ يعصف بي
ما تبقت ومضت لم تكب
فوق صدرٍ حائرٍ مضطرب
فيه مغداي ومنه مأربي

يا نداء الروح أطبقت فمي
ما احتفاظي بشبابي ودمي
كنت أخشى القبح لو كنت معي
كنت أخشى الموت لو كنت معي
خبت الصرخة والروح تجود!
واعتزازي بأمانٍ ووعود
غشت المرأة أظلال الجمود
ما على الراحل لو كان يعود!

أه كم تطوي أعاصير الدجى
أينام العشب في الوادي على
ووداع الشمس للأرض يثير
ضفة الأنهار أو شط الغدير

ويضم الغصن أطيار الربى
ثم يمسي القبر مثواك إذا
وينبغي النجم أجفان الزهور
ألقت الساعة بالخطو الأخير؟

برئت نفسي من الشكوى وإن
كيف يمحي الشك فينا طالما
لم أجد لليأس في القلب رجاء
أن هذا الجسم من طينٍ وماء
أو نعي لكتنا نأبي الرضاء
هو أجرٌ غانمٌ فزت به
إن تكن قاضيته حق البقاء!

■ عروس الغناء ■

انظفي يا شعلة في دمي
واحتسبي يا صرخةً في فمي
ويا دموعاً لم تزل هاميه
ولم يعد هنا بأضلاعه
وأنت يا ليلى الدفوق الدفوق
حتى إذا ما هلّ طيف الشروق

ما عاد للنار هنا من وقود
لن يبلغ الصوت مجاز الحدود
جفي فقد ولى انفعالي وفات
غير فؤادٍ كان حيًّا ومات!
أنشردجاك في مهاوي الظلام
اقبر سنه في مهاوي الظلام

لا توقظوا المنسية النائمة
تعيش في غيوبةٍ حالمة
وهي هنا على الفراش الوثير
غارقةً في لذة اللاشعور
في حضنها المظلم طيفٌ ثوى
تأججت أعطافه فانشئ
في قلبه جوع وفي المقلية
كأنما يخطف في قبلة
وكالحمامة التي تنهلُ

فقد طوتها ظلمات المساء
بعيدةً عن الأسى والشقاء
عروس هذي الليلة الساربه
لا تقلقوا أحلامها الغالية!
نشوان من فيض الهوى والحنين
يضمها في غمرات الجنون
ظما وشوق اللهفة الحانية
أنفاسها الباقية الواهية!
من منبع البحيرة الصافية

يجذبها غرامه المشعلُ إلى رؤى وسنانة زاهية

لا تقلقوا أو هامها فالوجود لم يدر بعد أنها ذؤبت
كأس الحياة بالفناء المديد ولم تنزل تشرب حتى ارتوت

■ ■ دعاء

يارب ومضًا من ضيائك في دمي وظلال آمال على أجفاني
أو صحوة أخرى قبيل ترحلي بل هزة كبرى ترج كياني!

إني على طول الطريق كما أنا وأمضي وأعثر في ذبول هواني
وحدي أسامر في الظلام كآبتي وأمدتها بالصبر والإيمان
وأصيح في صمت لصوت مرعب بين الجوانح هاتفٍ رنان
جمع الضراعة والأنين بزفرة وتأوهات من شج حيران
البرد يلفح جبهتي متثاقلاً جهماً كأنفاس العجوز الفاني
ورنين أقدامي يسابق في الدجى خطوي كأن الخطوطيف ثان
والصمت والظل الكئيب ووحدي والظلمة الخرساء هم خلاني
وأنا أسير ولا أسير كأنما لا حس لي، لا روح، لا عينان

أطوي مسافات الفراغ بناظري
فأحس بالقدر المريب بجانبي
ويث في الصدر الرجاء فأشتهي
وأمد أجنحتي على طول المدى
فإذا بهن قد امتلأن كآبة
وإذا بثورة مؤمن في أضلعي
وعلى جدار اللانهاية أرتمي
من أين من أين الشقاء يحوطني

وأظل أعثر في الظلام العاني
يرنو إليّ بعبطة وأمان
فيضاً من الإحسان والتحنان
على أضم الكون في أحضاني
وضمن طيف الصمت والحرمان!
وبقية من غضبة الإنسان
حيرى أسائل من أنا؟ ما شاني؟
واليأس ملتف على أركاني

يارب فيضاً من حنانك في دمي
يارب دعني لا أحس بما ترى
وظلال آمال على أجفاني
عيناى من صور ومن ألوان!

■ ■ لبنان

[فوق جبال لبنان]

لبنان ! لو خيرتُ ما اختار الفؤاد على الوجود
وطناً سواك يضمني كالأم تحتضن الوليد!
ولو استطعت لعشت بينك في ربوعك هائمة
فوق الجبال على الرى ، بين السفوح الحالمة
أبدًا أرفرف طائرًا نشوان أستوحي هوي
وأشيد باسمك أينما وجهت عيني أو خطاي
جدلانة أمضى مع الفجر الحنون المزدهر
وأهيم حول منابع الأحلام والزهر النضر
وتعب روحي من شذاك الغض مؤتلق السنا
فأعانق الأجواء راقصةً على ظل المنى
حتى إذا جن الظلام وعادني النوم القريـر
ودعت طيفك كي أراك بخاطري حلمًا نضير!

لبنان لو خيرتُ ما اختار الفؤاد على الوجود
وطناً سواك يضمني كالأم تحتضن الوليد!

لكن مصر بأرضها بنخيلها العالي الطويل
لكن مصر بنيلها الذهبي في وقت الأصيل
وبغرها المفتر عن درر المحبة والأخاء
وبوجهها الوضاء في شمس الطهارة والصفاء
بصدى المآذن في رحاب فضائها يغزو القلوب
بمدينة الإسكندر الكبرى بأنحاء الجنوب
بروائع الآثار من عهد الفراعنة المجيد
بجلال أهراماتها وبزورق الشمس العنيد
لكن مصر جميعها بخيالها الحاني على
تومي إلى فلا أرى من حسنك الفياض شي
لكن مصر وقد تركت ظلالها من ليلتين
أشتاق لو أحظى برؤية أهلها في لمحتين
وأود لو أنساب طيرًا خافقًا حر الجناح
وعلى ربي الوادي السعيد أضم أضواء الصباح

لبنان معذرة! فما بالخير تتصف العباد
إن لم تكن لبلادها من قبل أن تهب الفؤاد

■ التمثال الخالد

[من وحي الأمومة]

ومن أديم كياني من دمي الناري
 قد حطمته يدي في ليل أقداري
 أو أحرم الحب من عطفي وإيثاري
 حتى يرى أفقه في ظل أبصاري
 ومن صلاتي وألحاني وأشعاري
 فيهدم الصرح في لطمٍ وتزآر
 من الوفاء ومن عزمي وإصراري
 ولم يعد فيه من عيب وأوضار
 حتى يبوح بأشواقِي وأسراري
 وأنت لحن حياتي أنت قيثاري!!
 والشوق يغمر إحساسي وأفكاري
 وأرهف السمع كي أحظى بأخبار

من نبع قلبي ومن دمع الهوى
 صببتُ تمثال حب كان من زمن
 ولم أشأ أن أراعي في الهوى ثمنًا
 فجئت به بضيا عيني وبهجتها
 وضعت إكليله الماسي من عرقي
 وخشية الريح أن يمتد ساعدها
 بنيت قاعدة شماء ثابتةً
 وحينما تم للتمثال رونقه
 نفخت فيه قوي وروحي وعزتها
 وقلت : عُد لي ! فإن النفس موحشة
 ثم ارتميت على الأقدام لاهثة
 ورحت أرقب تمثالي على لهفٍ

وظللت غفوة عيني بإنكار
 يندى عيبرًا فمن ورد وأزهار
 حين استقرت على التمثال أنظاري

وران صمت على الأجواء منتشر
 ثم انتبهت فإذا بالضوء منهمر
 وراعني ما رأَت عيناِي في دهش

ولم يكن عجبي أني أشاهده
فليس أسهل من تحويله امرأة
لكن تراءت كأن الله أودعها
تقطر النور تقطيرًا جدائلها
وتحت أقدامها تجري سلسلة
ثم انثت بجناحيها مرفرفة
أنا الأمومة لا حب يجابني
وقد تبدل أنثى حسنها سار
وذلك العصر مملوء بأسرار!
سر الملائك من طهر وأنوار
وتثر الورد كفأها بمدرار
جداول الماء في تيار أنهار
حولي متممة في همس أطيّار
ولا جمال يحاكي حسني العاري

وحينذاك طويتُ العين خاشعةً
وطأطأ الرأس في حمدٍ وإكبار!

■ ■ ولدي

بنِّي فديت بالعمر القصير
لقد حكم الإله عليك حكمًا
فحكم الله أعدل كل حكم
ومالك يا بني بما نراه
فرب صنعة فنتت عيوننا
تهاوت بغتة وهوت سريعًا
فخذ ما شئت من عهد السرور
ومالك غير ربك من نصير
يشع عليك نورًا فوق نور
ولم نر غير زيفٍ أو غرور
وأقبلنا عليها بالصدر
وكان الحسن نوعًا من قشور

بنِّي جعلتني أهوى بقائي
وجرعتني الزمان كؤوس هم
ولكنني سقيتك ماء قلبي
وكان الشوك في الدنيا نصيبي
أخاف على خطاك حصاة أرض
وما للموج يلطمني فأرضي
وأجزع إذ أراك مرضت يومًا
فعثتُ لغصنك الغض النضير
وضن عليّ بالعيش القرير
وجدت عليك بالحب الوفير
وكان لك الزهور مع العبير
وقد أعلو الهضاب مع الصخور
وأخشى فيك لمسات الحرير
فيحويني ظلام من قبور!

بنيّ جعلتني أشقى بعيشي
وجفت أدمعي وكأن روعي
فما عاد الظلام وعاد نور
وهل لي في البرية من عدول
وددت لو استطعت فقلتُ عقلي
فمن يرعاك بعدي يا وحيدي

ففاض بي الشقاء مع الشعور
أمام الكون كالروح الضرير
ليعنيني ولا تعب المسير
وهل لي من نصيرٍ أو عذير
إليك به يقيك من الكثير
وما هو مستجدُّ من مصير؟

إلهي ما قصدتُ الجحد يوماً
ولكن الأسي أعمى فؤادي
فكم عللت نفسي بالأمني

ولم يحمل ضميري من شرور
فعفوك إذ أسأتُ إلى الغفور
وأحلام الأمومة كالزهور!

■ أنا وقلبي

حيبتك حباً يفوق الخيال
لأنني وهبتك أعلى مكان
تربيت فيه رقيقاً حنوناً
وأرضعتك الدم مجرى الشعور

لأنك كنت صنيع يديا
بنفسي وأعمق ركن لديا
وفيه شببت عفيفاً أبيعاً
وأسقيتك الدمع دمعي النقياً

ولما كبرنا طوينا الوجود
وهمنا بأفاقنا الواسعات

و حين ارتعشنا أطل الضباب
و حين تعبنا خفضنا الرؤوس
و رحنا أخيراً نلم الحصاد
و لكننا قد حلمنا مراراً
فإن نك عشنا كموتى طويلاً
و إن نك سرنا على الشوك حيناً
و كنت على الصدر صخرًا ثقيلاً
و أرخى ستائره البارادات
لنحمل ضربة هذي الحياة
و نقتات آمالنا المجذبات
و عربد في جانينا الغرور
فإننا حيننا وذقنا السرور
فحيناً على بسطٍ من زهور
و فجرًا مضيئاً وأيگًا نضير

فما اليوم أمرك يا حاكمي
لقد أتعبتك الرياح السراع
و أدمت خطاك حصي الطريق
و ماذا ادخرت لنا من جديد
و مرآتي البضة الصافية؟
و أوهنت الأجنح العارئة
فأهرقت كل الدما الغالية
و ما هي رغبتك الباقية؟

■ ■ قصة منفتين

هنالك في غابة ضائعة
هنالك بين الربى الواسعة
وكان شتاء وكان وجوم
فصار الوجود كثيف الغيوم
يسخره الليل في قيده
فيطوي الهزار صدى وجده
وتلو الرياح صلاة المساء
فترجف حتى حنايا السماء
هنالك راح غدير صغير
ويمضي بمرأى الغمام الكبير
وكان الغدير به ضفتان
تناهت فوق صدر الزمان
تناهت بإحداهما صبوة
وطافت بأحلامها نزوة
وكانت أشد انفعالا وحبًا
يشق عليها توحد قلبًا
وزاد التبرم بالضئونة
إلى توأم الروح والمهجة

مبعثرة في نواحي الحياة
وطيف النهار يلثم ضياه
وقد لفح البرد غور العروق
يشق دجاء وميض البروق
ويعمل فيه هراواته
ويخفي الكناري صباياته
وتوغل بين غصون الشجر
وتخنقها عبرات المطر
يهدد أمواجه النائمة
يعثر أنفاسه الهائمة
ولا بد من فاصل للحدود
وعانقتا وجه هذا الوجود
فضاقت بهذا الفراغ الكئيب
إلى همسات حبيب قريب
برونق هذا الوجود الكبير
وفيه يؤج لهيب الشعور
وحننت إلى أختها الثانية
إلى الضفة الرخوة الساجية

وصرخات يائسة موجعة
وتسكب أناتها المفجعة

فأفلت منها أنين كتوم
وراحت تناجي بقلب كلیم

إليك يذوب جوف الصخر
محيًا وشعرًا ونحرًا وخصر
لملت إليك وملت إليا
وننظم كونًا بهيًّا نديًا
بعض شغاف المنى الحائرة
يقيد أصداءها الثائرة!
وهذه البرودة هذا البلبل
ونزرع فيه بذور الأمل
ونخطف حتى قلوب البشر
ويعزف لحن الربيع النضر
مشعشةً بالضيا والنسيم
وفي مقلتيننا ظلال النعيم
وليل طفوح بضوء القمر
بجلبابه المستضيء الصور
وهمهمة العاشق المنتظر
وخلجات قلوبهما تستعر
كمحموتين بخمر الهوى

تعالى فكلي حنين عجيب
تعالى أضمك حتى أغيب
فلولا المياه وهذي الدود
فننساب ملء حنايا الوجود
فأعنف ما في الصدور حنين
وأرهب ما في القلوب سكون
تعالى فإني سئمت القطوب
سننقلع منّا مكانًا جديب
ونبهر حتى عيون الربى
ونصبح أيكًا يضم المنى
تميس الغصون على صدره
نلوذ ونسبح في حضنه
وتحت عريش من الياسمين
بأنفاس صيف رطيب حنون
سنسمع طورًا أغاني الطيور
وخطو الحبيبة بين الزهور
ونسكر حينًا بعطر الورود

وننفض عنا سبات الجمود
تعالی تقرب ظلال خطانا
فتلك العروق عروق دمانا
ونأكل تفاح هذي الری
ونجمع ذراتنا الشاردة
تولول مثلوجة باردة!

وفي غمرات الظلام الكبير
وفي جوفها نسيمات الغرور
وكانت كئيبة أحلامها
لذاك استجابت لإغرائها
فمدت ذراعاً ومدت ذراع
وقالت : مع الغد نلقي الشراع
ونامت على حلمها المنعش
ولكن في روحها المرعش
وحف عليها نسيم الصباح
فصوبت العين حول البطاح
وكفكفت العبرات السخينة
وراحت تناجي بروح حزينة
تململت الضفة الثانية
تهدهد أعطافها الحانية
مغلقة في مهاوي الشقاء
لهذا النداء لذاك اللقاء
وإذ بهما ضفة واحدة
ونسبح في جنة خالدة
وفي جانبيها هوى يستعر
مواكب مختلفات الصور
وفتح منها عيون الغباء
إلى الغاب ، في النهر ، نحو الضياء
بأطرافها في رضاء ووداعه
كأني بها تستمد الشجاعة!

رويدك يا أخت ما تطلبين
فما قد خلقت لهذا الحنين
إذا ما تبعت نداء الحياة
لسوف أحسن لعشب المياه
وكيف استحال هواك عباده؟
أرقرق فيه رحيق السعادة
وأغرقت أمسي في حاضري
ووصوة الجندب الحائر

وملء دمائي وطء النعال
سوى العيش في سباحات الخيال
سرى اليأس في قلبها حاقدًا
بها الأمل الباسما الراغدا
وفي عثرة الشارد الواهن
على صدري الواسع المحسن
وإن عانقته دمائي الغليظة
أنا في حياتي معنى البطولة
لتسعد قلبًا مضىء النغم
أسى الآخرين وآلامهم

أجل سوف أبقى بحر جروحي
فما عاد شيء يعمر روحي
فثمّة ظامئة في الوجود
تسائلني رشفة تستعيد
وثم غريب معرى القدم
يخط سطور الأسى والألم
هو الروح لن يستيح اللقاء
أنا في حياتي رمز الفداء
فليس لأنفاسنا أن تجود
ولكن لنحمل قدر المزيد

وبالضفتين وجوم غريب
يؤبن ذاك الحداد الرهيب

وران السكون على الغابة
وغرّد طير على ربوة

■ ■ من أنا ؟

یا لیت شعری من أنا
أنا زهرة مسحورة
وبأدمع فياضة
أنا موجة صخابة
قد حطمتها صخرة
أنا نفحة قدسية
أنا همسة تنساب
بین الوجود الفانی؟
سقيت من الأزمان
وبغمرة الأشجان
في شاطئ الأحزان
الآلام في الوديان
عاشت على الألحان
بین العطف والإحسان!

■ ■ أيها الشعر!

امض عني يا أيها الشعر!
امض عني! سأعبر الكهف وحدي
أو أنت القضاء يا شعر أنت
أنا لم أدر ما طفولة عمري
كيف ولت وأهأ! بغير هناء
خلفتني لموكب الوهم يسري
فحرمت الحنان والحب والعطف
وحرمت الصحاب والمرح الحلو
وتفانيست في رضاء خيالي
لم تبق بكهفي غلالة من نور
بظلامي وخطوي المقهور
القدر المر للفؤاد الكبير؟
من أقاصي الزمان كنت نذيري
كيف مرت بغير طيف سرور
بي حرًا ويستحث مسيري
وطيف الرضا وصفو الصغير
وضحك الصبا ولهو البكور
وطويت الحياة في التفكير!

وتراءيت في دروب غروري
الزاهي كروضٍ معطرٍ بالزهور
أتملى من حسنك المنصور
حتى أذبت فيك شعوري؟
مشرئب هناك بين القبور
لصداها في كونها المسحور

ثم أسريت أنت في أفق وهمي
مشرقاً كالصباح كالأمل
فتراميت فوق صدرك نشوى
إيه يا شعر! ما الذي بك أغراني
أهو المجد؟ أي خلدٍ وقبري
أهي الذكرى؟ أي روح ستصغي

فتلاشيت في سناء النضير
تتلظى بقلبي المسعور
أتلوى في يمه المهذور
سوف أحيانا في كهفي المهجور
وتقتات من أديم الصخور
وعضّت أقدام كل ضرير
ولم انسقت في الوجود الكبير
ويل الحياة ويل مصيري!

غير أني ظننت ضوءك فجري
فإذا أنت حيث تهبط ناراً
وإذا أنت حيث تهبط بحر
فامض عني! سئمت طيف شقائي
حياةً تأكل الرمال إذا جاعت
مات فيها الشعور والحس فاسترخت
ليت شعري! ما غاية الدهر مني
ألى ذلك المصير لهذا الغد

■ ■ تأملات

إنني أسمع صوتاً في وجودي
كلما يصمت يعلو من جديد
إنه يسري عميقاً في ضلوعي
سائلاً ما سر يأسى ودموعي
صه و! لا تقلق خيالي وشرودي
أنت إن أسريت في كون وجودي

فوق أعماق المساء الميتة
وهوت قطرة ضوء باهتة
هاهنا الجدول في بطء الضرير
وأراني في الدجى طيفاً يسير
وأرى حولي ظلاماً معتكراً
ورؤوساً من أفانين الشجر
قبلة الرعب تدوي تجبيني
وهواء ضم أصداً أنيني
أقلق المطرق أنفاس الأثير
نامت الظلمة في جوف الكون
من دماء المقمر الباكي الحزين
يتهادى كالخيال الحالم
حاملاً أعباء هذا العالم
وعيون الأفق تهمي أدمعا
ذبحت ذبحاً فمدت أذرعاً
وخطى المجنون تجري في الظلام!
والسحاب الجهم خلق وأنام
واصلاً ما بين أرضي وسماي

وانثنى الماء على صدر الغدير
موجة تعلو بطيئات عميقة
آه من يدرك أسرار الحقيقة
كل هذا الماء لا يشفي غليلي
رُبَّ صخر راح يصغي لعويلي
هاهنا وجه تراءى من بعيد
وهنا الهوة تبدو من جديد
عائر الخطوة يرنو لشقائي
حزنها الصامت أحزان الحياة
أنا النسيان نسيان الإله؟
إنني أبحث عن ماء الصخور
ويروي ميتًا بين القبور
إنه وجه الردى وجه العدم
قمة تعلو على كل القمم!

إنها الطينة تحيا في الخيال
إنها الرمة في جوف الليالي
إنها دنيا أعدت لهوانا
كل أرض فيه تصغي لخطانا
الرحيق العذب في روض الغد
لفظتها الأرض قبل الموعد
إنه يا خافقي كون الشعور
كل ركن فيه يرنو ويشير!

■ ■ النخلة الحيرى

تواجهن الريح طورًا وتحجم
وكل شجاع في الحياة مكرم
من الجن تغزو الكون والناس نؤم
ومجلس أنسٍ لا يفض ويختم
فما هن إلا عاشق و متميم
وراحت طيور الأيك فيه ترنم
وهذي الجواري غانيات تقدم
إليها أجيل الطرف دوماً وأنعم
بروحي أسرى في سماها وأحلم
فلا رحمةً ترجو ولا تتوهم
ومنأى على الأتراب تشقى وتسأم
وهبّت رياح الليل تنعى وتلطم
وإذ كل ركنٍ في الحشا متضرم
وكل رفيق جانح متبرم؟
يعانقن رأساً كايّاً يتألم
كأنك روح حائر متظلم
يراعيك أو يحنو عليك ويرحم
وما الشمخة العلياء منك تكرم

وسبع من النخل الرطيب بروضةٍ
وقفن وقوف الجند زهواً وعزّة
أراهن في جوف الظلام عرائسًا
تجمعن فوق الأرض في شبه ندوة
وملن بأعطافٍ تفيض صبايةً
كأني أرى حفلاً تكامل حسنه
وتلك الثمار الدانيات وليمة
ولكن لي في سرهين نخيلةً
بقلبي أدعوها بنفسي أجلها
هي النخلة الحيرى ألم بها القضا
أبى الدهر إلا أن تكون بمعزلٍ
إذا النوء والإعصار عاثا وعربداً
وإذا أضرمت شمس الظهيرة في الفضا
فمن أين يا أختاه تلقين غوثةً
وأين الرءوس الحانيات برقةٍ
يهيم بك الإعصار حيرى وحيدة
فلا حس لا أصداء لا طرف ناظرٍ
وتالله إن الكبر فيك بلا مدى

فما قوة الأبطال تكمل وحدها إذا لم يكن فيها اتحاد متمم

■ ■ شرع الحياة

أتى الليل يا شاعري وانطوت
وغاب النهار كحلمٍ سرى
وكنت قضيت نهاري سدىً
أحسّ خطاي كمجنونةٍ
أفتش عنك وما من رؤى
ولكن بي أملا باسمًا
يعطر جرحي ويطفئ رعبي
ويدفعني لاجتياز الصعاب
فألمح بين زوايا الخيال
وأمضي أصور حلم اللقاء
وطور أشق سفوح التلال
وطورًا أهيم بحضن المروج
وأسأل أطيف تلك الربى

معالم ذاك الضياء القريب
بليلٍ بعيد الخيال كئيب
أشق درويًا وأطوي دروب
وأركض حتى أتاني الغروب
وأسأل عنك وما من مجيب
كزهرة الصباح نديًا رطيب
ويغمرنى بانتشاء عجيب
كأنى طير طليقٌ طروب
خيالك يدنو قريبًا مهيب
وما سأقول وما ستجيب
وبي في الجوانح أي شبوب
أعانق صدر الرياض الرحيب
أندرين أين يكون الحبيب؟

وجاء المساء ولمّا أزل
وقد بح صوتي وكلت خطاي
أحدق كي أجتلي عالمي
وقد جَلَل الأرض صمت عميق
أرى الكون حقلاً شديد البلى
تدور به لفحات الرياح
فتخرس هذي وترعرش ذا
وتسقط سحبٌ على أرضه
وتمضي الجداول في سيرها
ويعلق وسط السما مقمرٌ
وتجري النجوم على صدره
فيعكس مرآه في خاطري
ومن ثم أعثر في موضعي
وأشعر أن عظامي بها

أهيم وأطوي فيافي الوجود
وما من مجيبٍ وما من جديد
وفي مقلتيّ ذهبٌ شريد
وهوّم فيها فراغ مديد
أمات ثمارًا وحطّم عود
مرور الفناء القوي العنيد
وتصحب ما تشتهي أو تريد
فتضعف منه القوى والجهود
ببطء السلاحف طي الحدود
تكاد دماه تقول : شهيد!
كدمعٍ تناثر فوق الخدود
خيال الزوال ورؤيا اللحود
وأهوى ... ويطنى عليّ الجمود
تأكل سوسٍ تناخر دود!

وجاء الصباح وما من صباح
وكنت أظن حياتي غدت
فما كنتُ إلا حطامًا ثوى
وما كان بعدك لي من بقاء

دجى الضياء كثيف السحب
غداة رحيلك لا تحتسب
وقطفًا تهوى سريع العطب
وما كان لي في الورى من أرب

فرحت أعاتب طيف الفناء
فأثار كَفَّكَ فوق الجبين
وهذا خيالك بين العيون
وقفتَ تصارعني في الحياة
كأنك تحسب هذا الضعيف
كأنك تحسب أن بقلبي
تأمَّلُ صنيعك بي عن كذب
وطعم كؤوسك لا تغترب
ونبرات صوتك لي تتسب
قويَّ السواعد جهماً غضب
إذا هاجمته المنايا غلب
خفقة حس به قد تثب!

أجل رجت أهذي لطيف الردى
وما كنت أدرك شرع الهوى
فإذ بي أُخدع فيما أقول
وإذ بي أكل ما أشتهي
وإذ بي أمخر يَمَّ الحياة
وإذ بي أسعى حيثًا إلى
فما أنفه العيش يا شاعري
غداة رحيلك يا من أحب
وسنةً هذا الوجود العجب
وإن كنت أصدق فيما وجب
وأظما... وألبس ما أنتخب
وفي جانبي شعورٌ وحب
بلوغ الأمانى ونيل الطلب
وأظلمه تحت هذي الحجب!

■ ■ غموض

مضى عام وجاء الصيف في أعقابه يجري
وها أنا جئت في الميعاد أنشد خلوة البحر
ترى يا بحر هل بقيت على جفني أضواء
وهل بيني وبين هديرك المنغوم أصداء
أم أني صرت لا أجلو سوى الظلمات في ذاتي
ولا أصغي لأصداً سوى أصداً أناتي
أجل ما زلت أستوحي من الأمواج والرمل
جمال الكون والدنيا وطيف الحب والأمل
أسير طليقة نشوى بضوء الفجر والنسم
وأمرح في الضحى وحدي مع الأمواج والنغم
ويأتي الليل متشراً على الأفاق والبشر
فأقضي الوقت في كوخ من الأخشاب والمدر
وما برحت على كتل الرمال الصفراء أحلامي
أجمعها وأبنيها وأهدمها بأقدامي

وللأمواج دمدمةٌ تخوض حشاشة القلب
وهدهدة وهينمةٌ من الآمال والحب
ولي في الفجر إنشادٌ يفوق البلبل الشادي
فتجري الريح ناقلةً أهازيجًا إلى الوادي
أجل ما زلت كالأمس أهيم كطفلةٍ نشوى
ولكن هذه النظرات؟ تلك الدمعة الحيرى؟
أجل ما زلت كالأمس ولكن في دجى صمتي
أحسن الضغط في عنقي! تراها قبضة الموت؟

■ ■ ذات ليلة

يا حبيبي هذه الليلة كانت لهوانا
صاغها الله هناء لا لقلبين سوانا
رفرف الحب علينا في دجاها واحتوانا
وغفا الناس وما نمنا ولا نامت دمانا
أترانا قد خُلقنا من جديد أترانا؟
لست أدرس يا حبيبي

يا حبيبي حرّك الليل خطانا ... فمشينا
وسرى الظهر ساعات علينا فاهتدينا
ودعا القلب نداءً فتبعنا والتقيننا
وتجرعنا ثمالات الأمانى فانتشينا
أي خميرٍ أي شهيدٍ في كأس هواننا؟
لست أدري يا حبيبي
يا حبيبي هو ليل كان وضاءً حنوننا
ألهب الأشواق فينا والأمانى والحنينا
فقضىناه مرآحاً واصطخبنا وجنوننا
وشدونه طيوراً وغناءً ولحوننا
أترى الأرض تلاشت أم تحاشتها خطانا؟
لست أدري يا حبيبي
يا حبيبي كان ليلٌ قبله في غور ذاتي
كان صمتٌ وفراعٌ قاتلٌ يطوي حياتي
فبدا فجراً جديداً عاطراً بالنسمات
وغداً عمراً مديداً حافلاً بالذكريات
أترانا سوف نقضي ليلة أخرى ترانا؟
لست أدري يا حبيبي

■ ■ أمنية

كم تمنيت والحياة أمني أن أراها هنيهة وتراني
إبراهيم ناجي

انطوى الليل والظلام تواری
فيه ما فيه من وجومٍ وصمتٍ
فيه ما فيه من قنوتٍ وزهدٍ
قد رأيتُ السماءَ وشَّحها الموت
ورأيتُ الوجودَ أجمه الرعب
فظويتُ الآمالَ والحبَ والأحـ
ثم أغفيتُ كالوليد لأنسى
ليت ساعاته خلقن قصارا
أفعم القلب ذلَّةً وانكسارا
وأحاسيس هائمات حيارى
فأرخی من الضباب ستارا
فأغفى مستسلماً منها را
سلام والذكريات والأسرارا
ظلم ليلى الكئيب والأقدارا ...

أشرق الفجر والظلام تواری
يا حبيبي تعال نَحْكِ هوانا
أنت تلغو مع الطيور وتشدو
وبداء الروض ساحراً شعرياً
ونشم العبير حراً نقياً
فتصوغ الغرام لحناً شجياً

أنت ترنو لمقلة الفجر يقظى
أنت تصغى لرعشة الغصن تضي
أنت تشدو... أما أنا فأراعي
والغناء الشجي يطرب سمعي
وحنان الحبيب ملء ضلوعي
تسكب الدفء والسنا الأبديا
فوق صدر الربى شذاً عطرياً
زهرة الحب ترتوي من يديا
والريحق الرطيب في شفثيا
وجمال الحبيب في مقلثيا

ليت شعري! ما بعده أتمنى
هو فجر أنابه أتغنى
وبأحضانه الشفوفة أسرى
فأحس الضياء يعتق روحي
ويهبُّ الخيال في رقة الشعر
ويعود الشباب في مونق
يا لسحر اللقاء! يا لنداء الح
ليت شعري! ما بعده أتمنى
من صميم الفؤاد، من أعماقي؟
حالم الضوء، ناعم الإشراق
عبر هذا الفضاء، في الآفاق
شائعاً في ظلامها الدفاق
يغني بروعة وانطلاق
الزهر ربيعاً بقلبي الخفاق
ب! يا للحنين والأشواق!
من صميم الفؤاد من أعماقي؟

■ ■ المخرة والزورق

هناك في جزيرة نائية
كانت تعيش صخرةً عالية
مر عليها ألف جيل وجيل
منسية مجهولة في الوجود
على شواطئ الخضم المديد
ولم تنزل وسط المياه الدفوقة

نحو السما في همهمات عميقة
 تلك الأكف الناهشات الطويلة
 أعطاها المتصببات الثقيلة
 ورددت أعماقهن الغناء
 وبعثرت أصداها في الفضاء
 حائرة كالشبح الحائر
 يرتج خلف صدرها الزاخر
 تمر تحت الموجة القاسية
 تودعها أنفاسها الغالية
 في لهفة حيرى وفي نفسها
 قد خمد المشبوب من حسبها

واقفة ترنو كشيخ جليل
 فلم تنل منها أكف الرياح
 ولم تشق موجة بالجراح
 لا بل وثبن نحوها في حنين
 فشاركتهن التشيد الحزين
 لكنها كانت على وحشة
 كأن هذا اليم في قبضة
 فكم رأت مأسيا أو محن
 وكم وكم راحت بقايا السفن
 حتى تمت من صميم الشعور
 لو لم تكن إلا كتلك الصخور

استيقظت من نومها واجفة
 على زئير الريح والعاصفة
 نحو خيال زورق مستجير
 وسط الخضم اللانهائي الكبير
 وأودعته صدرها الواسعا
 ويستردّ جهده الضائعا
 ساهرة تقيه ربح الشمال
 ويستلذ الرقص حول الجبال

وذا ليل قد تغشى دجاءه
 على هدير بين جوف المياه
 ودفعت بعينها في قلق
 وكان في احتضاره ينطلق
 فأشفقت على الحطام الغريق
 لعل في أحضانها يستفيق
 وظلت الصخرة ليلاً طويلاً
 والعاصف المجنون يأبى الرحيلاً

حتى إذا هلّ الصباح النضير
ونامت الريح وأغفى الهدير
أشعلت الزورق همى البحار
فعانق الموج طروبًا وسار
وهكذا شأن الضعيف الضرير
حتى إذا نال المنى والسرور
ودفقت أضواؤه في انسياب
هناك فوق الشط فوق الهضاب
وانتفخت أوداجه الغائرة
نحو جزائر الهوى الساحرة
عند الصعاب يحتمي بالقوى
أولاه ظهره فيا للشقي !

وظلت الصخرة ترنو بعيدًا
ويعبر الأمواج واللاحدودا
واليوم قد مر بها ألف جيل
واقفة ترنو كشيخ جليل
والزورق المغرور يطوي المياه
كأنه حلم تواری سناه
ولم تزل وسط المياه الدفوقة
نحو السماء في همهمات عميقة !

■ ■ مولد قميدة

أو تخيلات شاعرة

اليوم يوم الأربعاء
والليل يتلجج الوجود
وغداً ستُنشر لي قصيدة
في الهجر أو باب العتاب
من أين آتي بالخيال ؛ والرأس يثقله النعاس
لابد من شيء يقال :
« ما حن لي قلب غداة جفاك أو رام أمراً في الهوى إلّاك »
تباً لذاك البائع الجوال معدوم الحياء
لولا ما كان الخمول
إذ راح يوقظني بصوت كالرعود
ويدق باب البيت في فجر الصباح
« لبن حليب ! يا لبن ! »
فأطاح بالأحلام والدفء السعيد لكنني
« سأظل أحمي طول عمري مهجتي
حصناً أميناً لم تصنه يدك »
لاشك أني اليوم في تعب وضيق
أف لهذا البيت والدرب العتيق
أنا والطريق الصاحب الملعون من بدء النهار

لكنّ ما ذنب الخيال ، فلكل سابلة طريق
لِمَ لا أعيش هناك في جاردن سيتي
مثلاً ... كما تحيا هناك صديقتي
أو لست شاعرة أنا ؟ لكني نسيتُ قصيدتي :
«يا توأم الروح الأنيس لوحدي
ماذا جنيتُ وما الذي ألهاك؟»
ما كان ذنب المرأة الحسناء في البيت المجاور؟
ماذا جنت؟ حتى يعاقبها الرجل
فيصر أن لا تشتري منه الخضار
ذاك الرجل إذ راح يصرخ في عناد:
«أواه منك وكيف ترضى ذلتي وأنا الذي من روحه أهداك!»
إذ راح يصرخ في عناد:
«القوطة المجنونة الحمراء يا شاري بلاش !
وثلاث أرتال بقرش يا بلاش»
ألأنها قالت له : خمسة بقرش يا رجل؟
حتى أجاب : والله لن أعطيك يا بنت البخيل ...
لابد من شيء يقال :
«أولاك وصلًا قبل أن يحظى بوصلٍ
ثم بعد الوصل قد أولاك»
ما كان يعني ذلك الشاب الخبيث
ذو الشارب المفتول والعين الكحيله ، ذات الدهاء
حين استوى بالحي ساعات طويلة

يشوي بطاطته النضيرة
ويدور حول العربة العرجاء
ماذا عني بضجيجه يملأ به صدر الفضاء
«يا عيني... يا عيني على العزباء!» لا بد من شيء يقال
«واليوم يرعى من بعيد طيفك الساري ومن ذا غيره يرعاك»
من راح يرعاني أنا غير الإله؟
والقط يا قطي الصغير... مالي أراك
متثائبًا ضجرًا على حجري الحنون
أتود تلتحف الفراش؟
أنا لم أعد يا قط أحتمل النقاش
فغدًا ستُنشر لي قصيدة
في لا كتابٍ أو جريدة
بل فوق صفحات الخيال...

■ ■ مأساة دوحة

وصمت عمیق کعمق الفناء
فما عاد حولک عشبٌ وماء
ویلثم خدکُ ثغرُ الضیاء
یرفرف حیناً ویتلو الغناء
وجارت علیک أكف الشتاء

علام یرف علیک الأسی؟
علیک ولا زهرات الربی
ولا المار ظلاً هنا أو هنا
إذا ما طوتک ریاح الردی
وحبٌ وتربٌ فسیح المدى؟

تهدم قامتک الفارعة
تضمین هذی الدنی الواسعة
وغنیت للنسمة الوادعة
تخفف من نارها اللاذعة
أمام منیتک الخادعة؟

عَریتِ سوی من وجوم حزین
وجفت منابعک الجاریات
ولا عاد یحنو علیک النسیم
ولم یبق طیرٌ بجوف الغصون
فقد جرّدتک الریاح السراع

ولکن دعی الحزن یا دوحتی
فلن یلبس الروض ثوب الحداد
ولن تفقد الطیر أوكارها
وما ضر زارع هذی الریاض
ألیس لیدیہ بذور وماء

فلا تطرقی الرأس فی ذلّة
ومدی ذراعیک عبر المدى
أما قد حضنت ضیاء الصباح
وراحت ظلّالک فوق الربی
علام إذن تخفضین الجبین

■ ■ حيرة

وفيك آمالي ومنك الجواب
 وغاص فكري في عميق العباب
 وروحك الصافي أسير الحياة
 يبحث عنك والسها والإله
 قوافلٌ تسبق أقداميا
 ورهبة الواقف قداميا!
 أرنتي الكون وأرض الفناء
 ويقظة الرب وصفو السماء
 ومرشدي وملهمي والحيب
 ليس لدائي من دواء الطيب
 وطائرٌ مثلك لكن أسير
 فأين ذاك الغد حتى أطيّر
 وأجمل الأوقات فيه هناء
 هو الحنين المكتوى بالدماء!
 وبهجة القلب وحسن الجميل
 فأينا الطاغي وأين الذليل

حيرتني يا من إليك العتاب
 حيرتني وصل مني الصواب
 أأنت مني؟ من صميم الوجود؟
 أم أنت نجم هارب والخلود
 تهفو فأهفو والهوى والحنين
 تجفو فأجثو الأسى والأنين
 عينك توحى بالغموض الغريب
 فيها شرودٌ كشرود الحبيب
 حيرتني وأنت نجم الورى
 أنا عليلٌ ظامئٌ للهوى
 أنا جريحٌ ودمائي تشير
 عكفت في أمسي على أن أسير
 أشد ما في الحب من قسوة
 هو الحنين الناعم الرقة
 إليك تدنيني بحر اللقاء
 ويخبط الفكر ويعلو النداء

أحبك القلب على حالتك إماملاك هابط أو بشر
يخفق مشدوهاً ومن هالتك يلمح أضواء الهوى والعمر!

■ ■ عندما قتلتني

[عندما قتلتني تنفست الحياة]

وأصاب سيف الغدر أحشائي وغور كياني!
فهويتُ تمثالاً تحطم في يد الفنان
وتدفعت تهوي معي في رعدة المهودود
صوّر الهوى والشوق والآلام والتسهد
وتناثرت حولي بقايا جثة الحرمان ...

وتركتني أهوى وأدفن في ظلام توحيدي
وأدرت عنني ناظريك بقسوة وتجحد
ومضيت موفور المنى تهتز في خيلاء
والأرض من حولي تموج بأدمعي ودمائي
وأنا أشيع قاتلي في حسرة وتودد!

وبدا عليّ كأنني في ضجعتي وسكوني

ودعت أحزان الهوى وتوجعي وأيني
ونسيت ما كنهني وما أمري وما علاقي
والأمس والماضي البعيد وحاضري وحياتي
وفقدت حتى خلجة الموتى ورعب ظنوني

وأفقت من غيبوتي ومجاهلي وفنائني
وتسرّبت عينا في دهش إلى الأجواء
فإذا بتلك القطرة الحمراء فاضت في حنين
وإذا بالآمي اشربّت ساميات كالغصون
وإذا أنا في روضة شعرية غناء!

حتى إذا ما ردّدت شفتي صدىً ولحونا
وتطلع القلب الوليد إلى الربى مفتونا
حرًا يضم الكون منسرحًا مع الأفاق
عبر الفضفا في عالمٍ متبسمٍ براقٍ
باركْتُ طيفك والخيانة والهوى الملعونا

■ ■ الحب الخاطف

أین الذي نأى بعيدًا وغاب
مضى وخلف الأسى والعذاب
كأنه حلم غريب الصور
وصورةً رهيبةً في النظر

صورة حبٍ صاحبٍ في جنون
مقهقها جهماً طروبًا حزين
طوّف بي وجاب كالزوبعة
كأنه جنيةٌ مفزعة!

أتى سريعًا ثم ولى وراح
كأنه عاصفةٌ من رياح
مع الظلام المبهم الغاشم
فوق مياه جدول نائم

التمعت أضواؤه كالنجوم
ثم خبت ساكنةً في وجوم
وارتعدت كالبرق في غفلةٍ
تاركةً عيني في ذهلةٍ!

■ ■ عودة

وكيف أنسى جنّة والسنون
أريتنيها من خلال العيون
وهذه النسمة ما كنهها
إذا تنفست بدا سرها
ولحظة في منبع الخاطر
ولحظة في ليلى الساهر
أسقتني فيها رحيق المنى
فلم وكيف لم أمت؟ ها أنا
لا! لم يكن هذا الحنان الكبير
رثيت لي يا للثناء المير!
قد أكسبته الوحدة الشاملة
وهدهدته الحيرة الذاهلة
علا كما تعلق الفضاء الطيور
وساقني وطيف ذاك الغرور
أين اتجهنا في سماء الخيال
وكيف عدنا في ظلام الضلال

قد تمنح الجنّة عند اللقاء
وبان لي منها طريق السماء
وذلك العطر وما أندره!
فهتفت المهجة: ما أخطره!
وشغفة القلب وسير الدماء
وفي ضحى يومي وعند المساء
وخلتُها لن تنطوي أو تفوت
أكاد من تذكّرها أن أموت!
منك غراماً أو جوى واشتعال
وكان ذاك الحب وهم الخيال
ظلاً كظل عالمٍ مبتسم
في لجة الشعر وبحر النغم
بعيدة عن لمحة الناظر
يعلو معي وبني وفي خاطري
نحمل أعلام المنى والأمل
نجر أذيال الأسى والفشل

عدتُ لأندب الهوى والوفاء
وأشخص المقلّة نحو السماء
أستطلع الدنيا بعين الغريب
وبي من الشوق كحر اللهب
وصورة الأحلام في سحرها
وأرقب الأنجم في سيرها
ولوعة الباكي وذل السجين
ولهفة الوجد وعنف الحنين

■ ■ الزيارة الرهيبة

ومضت بنا عشرٌ من السنوات صامتةً كثيبة
ومضت بنا عشرٌ من السنوات الدنيا الرهيبة
متفارقين كأنما كنا غريبًا أو غريبة
لم يعرفنا طعم الهوى ، لم يشربنا أبدًا رطيبة !

ومضيت يدفعني الهوى نحو الهوى فوق الدروب
كي أجتلي بيتي القديم مجاورًا بيت الحبيب

وظفقت أحدق في الخرائب في زهول وارتياح
أوها هنا كانت لنا دارٌ على هذي البقاع؟

أوهاهنا عشنا أنا والأهل أعوامًا مديدة
الحب بين يديّ والأحلام هائلة سعيدة
واليوم ماذا قد تبقى من طيوفٍ ماضية
واليوم أين الأمس : أين الأمسيات الحانية؟
ولت وما تركت سوى الأطلال تنعي من بناها
ولت وخلّفت اليتيمة تستعيد رؤى صباها!

وتسربت عيناى في لهفٍ إلى البيت المجاور
وهنا ارتجفت جوانحًا وانشقَّ قلبي بالمشاعر
ومشيت نحو الباب أدفعه بلهفات الحنين
وكانني غرقى وذاك البيت مرفئي الأمين

ومضيت أصعد في شرودٍ ذلك الدرج الطويل
وأرى الممر الضيق المنساب في صمتٍ عليل
والغرفة الأرضية الحمراء تحتل الفناء
والأرض والجدران والسقف المصدع في الخفاء

ومضت بي الأوهام والأفكار تستوحي الخيال
وتعيد أيام الصبا وتجوس في دنيا الجمال

وأنا وأول نجمةٍ ظهرت على أفق السماء
أمضي إلى بيت الأقارب في تباريح المساء
حتى إذا صعدت عيني نحو شباكٍ فريد
وظفرت قبل زيارتي بخياله النائي البعيد
وبالابتسامة أشرقت كالفجر في وجه الصباح
وبنظرةٍ فياضةٍ زفت إلى قلبي انشراح
وجهتُ أقدامي إلى بوابة البيت العتيق
ومرقتُ كالسهم المشرع ، كالقنابل ، كالبروق
أصغي إلى صوت الهوى المشبوب في قلبي الولوع
يهتز رنان الصدى ويسابق الخطو السريع
والفرحة الكبرى بصوت نداءه أحلى النداء !
وخطاه تهبط في الدجى ، وخياله يطوي الفناء!
وكان هذا السلم المعدود أجيالاً بطاء
لا نستطيع عبورها دون التحيّة واللقاء
ونروح كالشبحين نصعده بأقدام كسولة
ونحط في أنحائه صورًا وأسرارًا جميلة!

وتمر بالذكري خيالات معطرة نقيّة

وكانها رف الشذا في روضة الفجر النديّة

فهنالك تحت السلم المهجور في الركن الأمين
يا للظلام العبقري ويا لأطياف السكون!
والشعر منسدلٌ على الكتفين في برح العناء
أسرى به عبث الهوى وطلاء جدران الفناء
وهنا! بهذا الركن في جوف البرودة والمطر
وأنا بجلبابي الجديد بغير كُمين اقتصر
وحذائي المكشوف أبرز في العرى قلمي الصغيرة
وعتابه المر الذي أهّمى مدامعي الغزيرة!
وقرأت ثمّة آية الكرسي مرات عديدة
في ذلك الركن المغلف بالخيلات المديدة
وهنا! بهذي الباحة الفسحاء كم رحنا نجوب
كنداء أطيّار الربى، كعرائس الأمل الطروب
عيناى في عينيه تمتزجان في ضوء حنون
ونود لو خلت السلام واستراح العابرون!

أواه كم كانت لنا فوق السلام ذكريات
هي وحدها عمرٌ وأفاقٌ وأحلام الحياة

يا قبضة المجهول يا رمز القساوة والجحود
أو تنزعين صحائفًا كانت كأوراق الورود؟
أو تنزعين صحائفًا من عمري الماضي السعيد
هي كلها فترات ميلادي وبعثي من جديد!
وصحوت من وهم الخيال على وقوع الحاضر
وظفقت أصعد سلم البيت الحبيب الغابر
حتى إذا حاذيت شفته بإعياء كبير
شقت حجاب الصمت دقاتي على الباب الصغير
وعلا الرتاج! علا الرتاج ممزقًا جوف السكون
وأطل رأس الأم مندفعًا يرى من ذا يكون
فاستقبلت نفسي أحاسيس حيارى كالغريق
ووقفت كالبلهاء أجمع قوتي لا أستفيق

ومضت بي الأم الحنون نطوف أنحاء الغرف
حيث الوداعة تستوي والصمت ملتفٌ يرف
وبكل خطوٍ أهتدي للذكريات الماضية
وأعيد أسس بنائهما في عاطفتي الحانية

فهنأ بهذا المقعد البنیّ ذی الفرش الوثیر
عشنا سویدات قضیناها من اللیل الکبیر
أحکی له ما قد جرى بالفصل فی یومی القریب
وأضمُّ ثرثرة التوافه فی رزینات الخطوب
عن حصة الإملاء، عن درس الطیبة والحساب
عن فکرة الإنشاء... ما شکل الضفادع والغراب
ویظل یحشر فی فمی قطعاً من الحلوی الصغیرة
مصروفه الیومی أفرده لغضبتي المثیرة!

ومضت بی الأيام الحنون تودع النفس الحزینة
وتلفُ فوق کیانها الحانی غلالات السکینة
فأحب یحني ظهرنا کالغصن بالریح النفوح
ویقیمه کالموقد الوهاج بالنار اللفوح
وهبطت من عدنی وضوء الخلد یغمر خاطری
ثم انحشرتُ مع القطیع الأدمی السائر
والحلم یدفعنی بعیداً کالحصاة الواهیة
أبدأً تدحرجها الریاح علی السفوح الهاویة!
وترکت أطلال الهوی ملتاعةً تمهی دموعي
وكان لا مأوی لساکن مهجتي بین الضلوع

واليوم كالجمال القعود أعيش طيِّ الذكريات
أجتزهن شرائحًا بدم الهوى العاطفات

■ ■ حنين وثورة

اعذريني إن هفت نفسي ومالت بي إليك
إن قلبي يافتني ليس عندي بل لديك
طالما فتشت عنه في ضلوعي وعليك
فأراه قابعًا أو جائيًا بالقرب منك !
اعذريني إن سمعت القوم تحكي عن ضلالي
أو رأيت الفكر يهوي في حنين وخيال
طالما قلبي لدي لم يكن ذئاك حالي
لم يعد بين يدي إنه بين يديك !
انظري كيف ذبلتُ بعد أن كنتُ هيَّأ
كيف صرت اليوم شيخًا بعد أن كنت فتيا؟
يا لأيامٍ تولتُ كم طويناها سويًا!

إنها قد فارقتني كيف لا أصبو إليك؟

إن في عينك سرًّا ليتني أسبر غوره

يا ترى هل هو سلم يا ترى هل هو ثورة

أم ترى قلبك أضفى حلمه فيها وجوره

إنه سرٌّ غريبٌ واضحٌ في مقلتيك

ها هو الطير يغني بعد أن راح الظلام

وازدهى لون السماء وانجلى عنها الغمام

كل شيء صار يحكي ما حكى عنه الغرام

وأنا وحدي أراعي لفضة من شفقتك!

لا تلومي إن رأيت القلب يومًا قد جفاك

لن يظل العمر في ذل الهوى يرجو رضاك

لا ولن يرضى بأن يبقى أسيرًا في هواك

إن تشائي فارحمه قبل أن يقسو عليك

■ ■ شذوذ

خصامٌ خصامٌ وما من سبب
فحيناً أحسّك جهماً غضب
وحيثاً تكون المطيع المحب
فطبعك دوماً يثير العجب
يؤدّي إليه وما من ذنوبٌ
وحيثاً أراك بشوشاً طروب
وحيثاً تصير العنيد الرهيب
ويبعث في شعوراً غريب

كذلك هذا الشعور الغريب
فطوراً أحبّك حتى أذوب
وطوراً تنادي فلا أستجيب
حنانك ! هذا الشذوذ العجيب
يذبذب في شعور الهوى
بخمر الأمانى وشهد المنى
كأن خيالك طيف الردى
سيطوي هوانا بجوف الثرى ...

■ ■ الأنشودة الخالدة

قد كان لي آمال
مزهوةً تختال
من عنصر الإغراء
في عالم الأضواء ... !

عشتُ على أنفاسها العاطرة
أنسج من أصدائها الساحرة
تظل تمضي في رحاب الخيال
تخترق الصخر وتطوي الجبال
مأخوذة أتبعها في الخفاء
تاركة مخاوفي من وراء
كروضة تندي بغض الزهور
أنشودة الفجر ولحن الطيور
على بساطِ سندسي جميل
هازئة لا تعرف المستحيل
بمهجة ظمأى إلى وِردِها
سوى شعور الخوف من فقدها

وكان لي آفاق
تصحبني الأشواق
أجتازها ناشوي
والطيبف والنجوى!

وفي مدى الآفاق في اللا حدود
وسط غدٍ مبتسم كالورود
وكم خيالٍ قد سرى في المقل
راح يموج بالضيا والأمل
وثم أمضى في حنانٍ دُفوق
أبني قصورًا في الهواء الطليق
فلفهوا إصصاز
وطوّحت أقصداز
كم من رؤى أبصرها خاطري
مستغرقٍ في نشوة الحاضر
وخلّته مني قريب المنال
كأن فجرًا قد تهادى وجال
وفي سباقٍ من جنونٍ رهيب
الحب فيها خالد لا يغيب
في الغيب المجهول
بطيفها المأمول!

في عالم رف عليه الوجوم
وهومت فيه طيوف الغيوم
فربما يسمح ربّ الوجود
إلا الهوى وذكرىات العهود
فسوف تبقى في مدار السنين
أنشدها في لهفات الحنين
كأنه قيثاره هاوية
وإن بدت فيه الرؤى زاهية
للزورق المنكوب أن يختفي
وهذه الأضواء لن تنطفي
أنشودة ترسم رمز الشقاء
بأدمع ليس لهن انتهاء

قد كان لي آمال
مزهوة تختال
وكان لي آفاق
تصحبني الأشواق
قلقتهم أعصار
وطوّحت أقدار
من عنصر الإغراء
في عالم الأضواء
أجتازها نشوى
والطيف والنجوى
في الغيب المجهول
بطيفها المأمول

■ بين روح وطيف

قف! وصلنا إلى مدى الأجواء

وعبرنا ظل السورى والفضاء!

يارفريقي لقد تبعتك دهرًا
في دروب الحياة والأحياء
أنت أثقلت كاهلي وشبابي
بصنوف من ذلّة وعناء
لم تعد طفلاً لا ولسنتُ فتياً
فتخلّ عن ساعدي ولقائي!
أوتدري وأنت طيرٌ ذبيحٌ
في شعاب الغرور والخيلاء
كم ترنحت فوق هوة يأسٍ
وتعثرت في سراب رجاء
ليت شعري! كم هدهدتك ضلوعي
وتحناني عليك طيف ولائي
وأنا منك حيرةٌ تتوارى
وعزاءٌ ما بعده من عزاء!

كفّ عنّي! فقد مللتُ بقائي
ما مسيري على دروب الشقاء؟

كفَّ عني! فالیوم ألمح ضوء
وبريقاً من باهر الألاء

■ ■ الشقوة الكبرى

أحتى هناء الروح یارب نحرّم
ولذتها لا تستقر وتنعّم؟
رضینا وسلمنا بما أنت مانع
وفوق الذي تنهى نعاف ونحجم
دعتنا الليالي الشاديات بلهفةٍ
وفي كأسها شهد لمن يتقدم
فلم نقبل التجوال في طرق الهوى
مخافة تيه العين والدرب مظلم
وكان لنا من دیننا خیر حافظ
وكان لنا الحرمان نعم المتمم

جذبة ضمت من جناحي جنحًا
فتراخت قيود ذاك البقاء
وإذا بي في غمرة الفرح طيرٌ
مفلتٌ من حبال الأعداء
عائق الضوء في حنينٍ ووجدٍ
وانشراح مجنح وانتشاء
وإذا بي أراك تمضي عني دًا
للذبول الكثيب للإعياء
وأنا وحدي أملاً الأرض باسمٍ
أبديّ السنن وفي السناء !
فلم بحن باسم الزهد غير توحد
وغربة قلب في الورى يتألم
وأشلاء آمال مغلفة الدجى
وطيف شباب صارخ يتظلم
وإننا برغم الحادثات وخطبها
وقد نال منا حاسدون ولوم
رضيناها ما دام بين صدرونا
يعيش ضمير لا يهاب ويندم

على أننا یارب جئناک نرتجی
سعادة روح أنت فیها مکرم
فأنکرت حقاً من حقوق حیاتنا
أحتی هنا الروح یارب نحرّم؟

■ ■ انتقام العمر

في خريف العمر في ظل الأماني النائمات
حينما تخبو عيون الأرض أو نور الحياة
فينام القلب في صمتٍ ويغفو في سكونٍ
لا رفيق فوق درب العمر في الدنيا الخؤون

غير صوت الأمس والماضي وطيف الذكريات

تحت جنح الليل والظلماء والصمت الكئيب
حينما يسري برود الموت في غور القلوب
ويلف الغيم أحلام الأماني الساحرات
ورماد اليأس يطفو فوق نيران الحياة

والفراغ المر مأوانا وأستار المغيب

في انطواء العمر والأصداء والحب الخفوق
في انصباب الظلمة الخرساء والليل السحيق
حينما نغدو كأشلاء تهاوت في الخفاء
وبقايا من وجود سائر نحو الفناء

وأحاسيس حيارى هائمات في الطريق

ربما غرد قلبٌ شاعرٌ بين الأنام
عانقته الصبوة اليقظى وأضواء الغرام
ربما رفت ثغور الحب في روض الخريف
وتغنت بالصبا واللحن والهمس الخفيف

ربما أشرق فجرٌ في دياجير الظلام!

وتمنى في انفعالاتٍ ووجدٍ ودموعٍ
أن يعود اللحن هفأفاً كأنفاس الربيع
فيشير الشوق في دنيا وأجواء خفية
كلها رمزٌ لآمالٍ وروحٍ شاعرية

وتمنى كم تمنى خافقاً بين الضلوع

فإذا ما أقبل الطيف على لحن الغروب
وارتمى الشاعر هيماناً على الصدر الحبيب
ردّه العمر إلى أغوار أغوار الفناء
وبدا كالأمس نجمًا أفلاً وسط الفضاء

ميت الإحساس في برد المنيا ... كالغريب!

■ ■ الشهيد

[من وحي فلسطين]

موصولة الإعصار والأنواء
 وتمدها سحباً على الأنحاء
 وطوى الظلام معالم الأضواء
 فتكسد الميدان بالشهداء
 جنب الصغير بهدأة وشفاء
 متوزع الأنغام والأصداء
 بوليمة مدت بفيض سخاء
 لما يزل في عالم الأحياء
 وكأنها طيف الردى المترائي
 ودماؤها تسري من الأحشاء
 وتجمع الألفاظ في إعياء
 يا خيرة الأبناء! يا رفقائي!
 يهتز فوق الساحة الحمراء؟
 يتحدثون بألسن الفصحاء
 أشباه أطيّار الربى الفيحاء؟

في ليلية مقرورة سوداء
 فإذا السماء بها تخالف عهدا
 والصمت والظل الكئيب تعانقا
 وغفا النيام هنا بغير مقابر
 زاغت بصائرهم ونام كيبرهم
 سرباً من الغربان هوم فوقهم
 جذلان بالأمل السعيد بعيدة
 وتحركت في الصمت جثة قائد
 وتساندت وتساندت حتى بدت
 نظراتها حلمً توشح بالدجى
 ومضت تتمتم في شرودٍ ذاهلٍ
 أو اه يا صحبي وأخلص أمّتي
 أو لم يعد في الحي قلبٌ خافقٌ
 أين الألى كانوا العشية والضحي
 أين الألى كانوا العشية والضحي

ناموا وما عهدت عيونهم الكرى
وحدي أضيق بخوذةٍ مثقوبةٍ
نزفت بمقلتي الدماء وما أنا
وكأنهن عواء ذئبٍ جائعٍ
فتعال ويحك يا غراباً لا يني
وبذلك المنقار شق ولا تخفُ
فتعال واحمل ذلك القلب الذي
ثم استبق في السير أطيّار الربى
حتى إذا ما جئت أرض كنانتي
فاحمله ملتهب الحنايا اللألي
طر يا رسول الموت قل لعشيرتي

فسرى مع الليل الكبير وصمته
صوتٌ حوالية الوجود وعمقه
قال : استعن بالله خالقك الذي
إني استمعت إلى ندائك عندما
يا أيها البطل الشهيد أما ترى
سيرون قلبك دافئاً متماسكاً
سيرونه حراً أيباً عارماً

وبقيتٌ وحدي في دجى الظلماء
وبآلةٍ مشلولةٍ جوفاء
أصغي إلى لغطٍ من الأصداء
وهدير بحرٍ طافرٍ بالماء
يشتاق ساعة ميّتي وفنائي!
صدرًا ينوء بشدة البرحاء
ذكى اللهب بأنفس الضعفاء
متعالياً ما شئت في الأجواء
بالمفتدى الوطن العزيز النائي
يرجون ساعة عودتي ولقائي
أني أموت ... وقد تعذر دائي!

يكفيك فخراً ميتة الشهداء
وشدت ملائكتي ونلت ثنائي
لفراق روح النبل والعلياء
ثم اختفى في هوة الظلماء
سُلت لأقوى من قوى البلاء
أرخيتها موفورة الألاء
شفتاك نجمًا تلو نجم رائني

لا لم تمت ! ما الموت إلا يقظة
هاك استمع ! غنت لمقدمك السما
واهتزت الأرض الكئيبة شقوة
وتلمل القمر الرقيب توجعاً
لا لم تمت ! بل هذه الساق التي
لا لم تمت ! بل هذه العين التي
إني أكاد أعد ما فاهت به

■ ■ اذکری یا أم!

کلما أشرق فجر باسمٌ بین السکون
وتغنى طائر جذلان باللحن الحنون
ونضت عنها الروابي ظلمة الليل الخفي
وانثشت أوراقها الخضراء بالطل الندي
بالنسيم الحلو بالأضواء والعطر المصون

کلما استيقظ طفلٌ بین أجواء القصور
هانئًا يختال مزهواً بثوبٍ من حرير
يتشى ناعم الأطراف وضياء الجبين

وأرى جناحيك اللذين توسدا
وأرى جبينك قد تلمس طاهراً
وتكاد روحك في سماء علوها
نم أيها البطل الشهيد فإنما
قمم الجبال وربوة الجوزاء
طيب السحاب بالذرى السماء
تستاف أنفاسي وطيب هوائي!
يكفيك فخراً ميتة الشهداء!
زهرة بالدار تنمو وتروى بالحنين

في نعيم العيش في فيض الأمانى والسرور

اذكري يا أم طفلاً آخرًا تحت السماء
زائغ الأبصار مصدوم الأمانى والرجاء
شردته الأمة النكراء في عرض الوجود
من نواحي غزة الفيحاء والماضي المجيد
هائمًا أشبه بالأشباح في وادي الفناء

هو قبل البؤس والحرمان ابن الأكرمين
وهو يا شرق ابنك المنسي ابن الراحمين
هو قبل الذل طيرٌ مثل أطيوار الربيع
هو قبل الجوع زهرٌ من أزاهير الربوع
هو بعد الظلم جلس الفقروا بن اللاجئين

فإذ اران على الدنيا وجومٌ وسكونٌ
واحتوانا الليل والظلماء والفرش الحنون
فاذكري يا أم طفلاً آخرًا تحت السماء
في جمود الموت في الأنواء في برد الشتاء

یتنزی قلبه شـجـوً وهـمٌّ وأنـینُ

حدثي طفلك بين الرعد والليل المطير
عن رفيق آخر يشبهه حلوص صغير
لا على الأرض له من وطن حرّ كريم
ليس في الدنيا له من أملٍ باقٍ مقيم
غير طيف الله والرحمة من شعب كبير!

■ ■ الفيلسوف العاشق

ومضينا وضجة الدرب كادت
والضباب الكثيف ينشر فوق
ثم يلتف في الفضاء كموج
وعلى الأفق أنجمٌ خافقات
قلتُ: سرنا وظلمة الليل تهوي
ويكاد الخيال يخلط بين
في الوجود المغلف الجهم سرٌ
قال : ماذا ؟ ليس التخيل أمرًا
كل ما قد ترينه محض ظل
قلت : عادت طوائف الوهم تسري
وسهرنا وقد غفا الناس حتى
والفراش الحنون نحوك يومي
قال : إن الهناء والحب والنـ
والطمأنينة العظمى اسـ
ليت بعض النفوس تغفو طويلًا

تتلاشى مع النهار الفاني
الأرض ظل الفناء والأكفان
من بخورٍ مقدس القربان
كمصاييح معبد مزدان
يا حبيبي وتعتي أجفاني
الكائنات العديدة الألوان
وغموضٌ يثير بي أحزاني
مستمدًا من فكرة الإنسان
هو نوعٌ من الحقيقة دان
فيك لما سرى الظلام العاني
حالمات الطيور في الأغصان
فامض واحلم بحبنا في أمان
يوم أراها أماكن النسيان
توت في الصفاء والإيمان !
كي تنام الرغاب في الشيطان

فی رکود المیاء سمّ زعافٌ
آه ما أغرب الوجود وما أعجزنا
أنفوسٌ تنحط فی أسفل الدرك
ونفوسٌ تعلقو إلى ذروة الطهر
قلت: دعنا نعب كأس هوانا
كان عهدی أن لا نقیم حساباً
قل : كنا ... من قبل أن يعرف
بل ونوم القوی حکمّ ثان
عن إدراك أي بیان
وتهوی فی الحفر كالعمیان
ونبل الضمیر والوجدان؟
ونلبي مشیئة الرحمن
أو نقیس الوجود بالأوزان
الحب سییلاً لقلبنا المتفانی!

■ ■ الاسع المجهول

أنت يا أحلى نداء لنداء
أنت يا منبع وحيي ورجائي
مالت الروض مذ زفت زهوره
عندما غنّت على الغصن طيوره
والتقت عيناى بالشمس الحنون
وتراميتُ على العشب الرطيب
عندما أصغيتُ في لهفٍ حبيب
ثم مرت خطواتي الهائمت
لم يزل يهمس أحلى الهمسات
قلت : قد صيرتمُ أمري عجيباً
سوف أشدو بالهوى لحنًا طروبًا
ومضى يغمر حلمًا عابرًا

أنت يا أعذب لحنٍ أو صدى
أيها الاسم ! متى تطوي المدى؟
بالنسيم الحلو بالطل النديّ
أو تشدو اليوم بالاسم الخفيّ؟
وأنا أطوي الوجود الواسع
وعلى صدري عودي يتأوذ
للصدى المنغوم يسري ويغرد
نحو ينبوعٍ على الضفة يجري
حين أو مالي : أنا الآخر أدري!
ربة النور وأطيّار الصباح
برداء الصمت حول الشاعره
في دياجير الظلام الأسرة

أنت يا من لم أزل أجهل اسمه
أو أراعي في الفراغ المر رسمه
إن يكن قد خُطَّ في لوح القدر
سوف أبقى في سكوني أنتظر!

موعد في الظلام

أنا محروم ...

والحرمان مرادف للشقاء ...!
الأمير الشاعر عبد الله الفيصل

في غموض المساء في سبحات الليل في عودة الشتاء المطير
حينما يصبح النهار كحلم يتوارى في هوة اللاشعور
ويكون الظلام قد أوسع الشمس عناقاً في رقة وحبور
ساکباً خمر الموت في شفيتها ورحيق الدجى وذوب القبور!

في الظلام العميق حين يصير الضوء لا شيء والنهار بدادا
وتحل الدنيا جدائلها باكيةً تنعي الغائب الوقادا
ويمر السحاري إثر صحابٍ لا يمل الزئير والارعادا
وتغيب النجوم في صدره لا قمرًا تخشى أو تراعي الودادا

في الشتاء العبوس في ثورة الأرض وحنق الطبيعة النكراء
حين يستقبل الفراش بدفءٍ خلجة البرد والهوى والقناء
وتضم الزهور أخوتها والطيير يقفومسالك الإغفاء
وتحس القبور أن قبورًا مثلها ضمت سائر الأحياء

کل لیلِ علی نداء الهوی تحت الفضاء المطیر يلتقیان
کل لیلِ أراهما فی حنایات الدجی تحت شرفتی ، یقفان
بهدوء تمر کل ید فوق ید فی ترفق وحنان
ویدور الحدیث كالغد كالأمس حدیث الهوی ونجوى الأمانی

فإذا ما تواعدا بین لثمٍ وعناقٍ علی لقاء جدید
وتمطت سحائب فتعرت أنجم یقظی فی الفضاء البعید
ثم ولت تحت سیر خطاها عادةً نشوی بالهوی والوعود
تلتقی عیناها بظلمة عینی فأرى فیها معانی الخلود!

■ أغنية إلى طائر

[مترجمة عن الفرنسية]

ونداء الأفق يدعو... فاستجب!
هكذا الطائر روح مرتقب
طر على الوديان في جوف الأثير
فسحاب الأفق أمواج البحور
من أقاصيها إلى هام الجبال
وانخطف بالروح في عمق الخيال
ورداء الصيف أرخى شقيقه
وضياء الفجر قد نام عليه
ذلك الروض وما يحوي لديه
كل غصن فيه يدعوك إليه
وانتشى العشب بأضواء السماء
أقسموا جهراً وفي طي الخفاء
ورحيق الزهري أو غصن الثمار
كلها رمز أمانيك الكبار
كل شيء يتغنى في انسجام
ضاحكاً في الضوء في جوف الظلام

ها هو السكون ملء بالحياة
وارتق الجو وطر فوق المياه
أيها الطائر خفاق الجناح
طر مع الأنام في ضوء الصباح
املاً الأكوان بشراً وغناءً
واحترق بالشمس وهجاً وضياءً
هل بالكون ربيعٌ باسم
ونما بالأرض عشب ناعم
فالتقط ما شئت من هذي الوليمة
أنت ضيف اليوم لا تخشى الهزيمة
مذ نمت أشجار هاتيك الروابي
وهم في حلمهم حلم الشباب
أن يكون الفجر واللحن الحنونُ
والهوى المشبوب والعش الأمين
كل شيء هاهنا طهر ونور
كل شيء نحو ما يهفو يشير

ها هي الروضة تدعوك وتبسم
كل غصن فيه روح يتكلم
وإذا الليل تهادى وادعَا
وبدا الأفق مضيئًا لامعًا
ما الذي يهمس همسًا أبديًا؟
ما الذي يعزف لحنًا شاعريًا
إنه الجدول والينبوع يجري
والغصون الخضر والنسمة تسري
وبأعماق الفضاء النائيات
باعثًا فوق الربى روح الحياة
ذلك السنبل وضاء الجبين
من أفاض الزهر بالعطر الحنون
قف ولا تقرب جناح الطائر
هو رمح في فضاها الزاخر
هذه الأوكار للطير القريير
إن من يسرق بيضًا للطيور
ويشير الورد : خذني واقترب
والصدى المنغوم يشري لنحب!
وطيوف الصمت رفت هائمة
فوق غدران الرياض الحالمة
ما الذي يسري بأعماق الشجر؟
ويناجي النجم أو ضوء القمر؟
وصدى البرعم من خلف الكمام
كلها تنشر أحلام الغرام
يتراءى الله بالبيت الخفي
خلف شبَّك السناء الأبدى
من ترى نداه في ضوء الصباح؟
آه من صاح لشيطان الرياح
إنما الطائر قدسي الحياة
يتشر النور ويسري في سنائه
عالم يشمل آفاقًا وعزا
مثل من هز استواء الأرض هزا

■ ■ الشارح

يا أيها المارد جَمَّ العيون
يا للأأيادي ! منحتها السنون
ويا محيطًا ماج بالكائنات
تدفقت في عمقك العاطفات
فالتهمت شطآنك الضائعة
وابتلعت أصدافك اللامعة
سكانك الأحياء لا تأتي
إلى متى ؟ وأين ؟ لا أجتي
كل على ركائب من رياح
كأنه طير قوي الجناح
كل إلى أهدافه لا يحدد
إلى رؤى - مهما نضت - كالورود
سوى شريد تائه في الطريق
منفردًا ليس له من رفيق
عكازه آماله الواهيات
أعباؤه أعوامه الماضيات

مغبر الوجه غليظ الشفاه
ضراعة الشاكي وبطش الطغاة
سباحة في لهفة هائمة
وانسربت فياضة عارمة
موغلة دون رؤى حائر
جوعانة في نهم هائل
بالبيت تخطو في رنين عجيب
فالكون رحب ذو فناء رحيب
منطلق يمر في خاطري
يسبح في فضائه الزاخر
تشده أشواقه والرغاب
ونحو صدر دافع في انسياب
يدب في دروبه الواغلة
غير الخطى والظلمة الشاملة
وصحبة طيف القضا والقدر
وقصده المجهول والمستتر!

یبحث عن رکن خفی مشیر وعن رؤی إشراقه باسمه
مستغرقاً فی لذة اللاشعور مستطعمًا خبثه الدائمة!

■ ■ ذهل

وخلت الوجود قبورًا ثوت
فإذ بالحنين طيوف نأت
بهذي الحياة وما قد حوت؟
وجود تلاشى ودنيا انطوت!

صمت صمت فران السكون
وناشد قلبي طيوف الحنين
فقلت : أفيقي ألا تشعرين
فإذ بي في غيبة الذاهلين

بعيد المعالم عن خاطري!
وأين نداء الهوى الثائر؟
يبث الكآبة في حاضري
تمدد فوق دجى ناظري!
وهذا التأمل في مضجعي
أحسك تحيا قريبًا معي
يردد صوتك في مسمعي
ولكن طيفك لم يرجع ...!

وإذ أنت شيء صغير صغير
متى كان؟ من هو؟ أين الشعور
وكيف تراءيت حلمًا مرير
كأنك والليل ظل كبير
وأخذتُ هذا الخيال السحيق
وقلت لعلي إذا أستفيق
لعل النسيم الرقيق الطليق
وجاء الصباح وهل الشروق

■ الحبيب المجهول

«من وراء البحار»

من أنت يا من همتُ في حبه
لم أستمع يوماً إلى صوته
وما رأيت عيني سنا عينه
بعيدة عنه... أناجي الخيال؟
وراء هذا الغيب يجلو الظلال
لكن روعي أشرفت بالجمال!

من أنت يا من لم أنل من رضاه
ما كدت أبدو في نواحي سماه
حتى أراد الحقدي يغشي صفاه
غير سيول الغضبة الثائرة
شادية في جوه شاعرة
لكي يبث الفكرة الحائرة!

من أنت؟ قل لي يا ضياء المنى
الآن آمنتُ بأن الهوى
الحب في دنياي مهما سرى
متى أرى طيفك يبدو؟ وأين؟
لم يعترف يوماً بقلبٍ وعين
هوى اتتلاف الروح في عاشقين!

■ الإيمان الزائف

فما زلتُ أصبو لطيف الضياء
فكيف إذا ما طويت المساء؟

طواني المساء ولم أطوه
وملء الحنايا ظلام عميم

وولى رفاق الصبا الأوفياء
وغاضت فيا بؤسها والشقاء!
ومن أي نبع يعب الرجاء
وكيف أقيه رياح الشتاء؟

وكيف إذا ما فقدت الهوى
ومروا عليّ وقالوا: ذوت
فأين إذن سأواري الفؤاد
بأي رداء ألف الشرير

وأضفي عليه ستار هداه
بينه رحيباً أيادي الإله
عليه وتنأى طيوف أساه
طويلاً... طويلاً نشيد الصلاة
بإيمانه في رحاب سماه
بغويض إلى الله في مرتقاه
وما عاد حب لهن سواه

لسوف أحقق ما يشتهي
وأويه في ملجأ مستكن
يرفرف ظل الأمان الكبير
وأبعثه طائرًا لا يمل
ولكن قلبي لن يستفيد
فإيمان بعض العجائز زيف
يهل إذا ما حُرمن الهوى

■ ■ قهة زورقین

في دجى الیم تهادی زورقان
فشراع في شرع خافق
كلما اشتاقا إلى بر الحمى
سقيا الروحین من حیهما
يجرفان الموج في ظل الهناء
وظلال سابحات في الخفاء
وإلى الخضرة والنور المضاء
واستمدا النور من ظل الوفاء

قبل أن یشرق فجر ناعم
هل إعصار عتي صارم
وظوی الظلین! ماذا بعده
غاص ظل وتبقى آخر
من جهام السحب یستجلی الدیارا
وظوی الظلین حینا... وأغارا
حینما أرخی خطاه وتواری؟
فوق سطح الماء ظلًا مستعارا!

■ القلب الذي أريده

رب! هب لي قلبًا فتيًا شديدًا
كل ركنٍ فيه يصب جمودًا
لم يشب الوفاء بين حناياه
لم تدمره رأفة أو رثاء
يرتع الشر في رباه ويجري
والنفاق الأصيل يطفو ويمتد
مسرح يلعب الرياء عليه
ينثني الإغراء فيه وتمتد
ويغني الجفاء والبغض لحنا
وقلوب من السذاجة نشوى!
ويلف النسيان آخر ضوء
ذاك ربي ما أشتهي لقلبي

مستخفًا بالحداثات عيدا!
وغموضًا وظلمةً وجحودا
ولم يعمل قائمًا ووطيدا
لا ولم يرع في الوداد عهدا
الكذب لا يعرف المدى والحدودا
على شاطئيه حرًا مديدا
دوره كامل الأداء مجيدا
الأماني به ثناء وجودا
دائم الوصل والرؤى منشودا
وعيون الغرور تصغي شهودا
كان لما يزل مشعًا فريدا
كي يجاري الزمان حرًا سعيدا

■ ■ هيد فاشل

أيها الحمال الهزيل ترفق
ثقل العبء خلف صدرك أحذر
بح صوت الهجاء وانحدر اللحن
والنبي الكريم أصبح شيئًا
حسبه اليوم أن يدب كثعبان
حيث أتى بعزتي ونقائي
ليت شعري ! علام صدرك يغلي
ألأني أبيت أن يحتسي قلبي
ونأت روعي النبيلة عن صحبة
ألأني أبيت أن يسجد
أم لأن الصياد كان ضريرًا

خل عنك الأقفاص والمرجونه!
خطر الحقد في الدماء الدفينة!
مساء كهرة مسكينة
ساقط النوع لست أدرك دينه
يعض الثرى ويلعق طينه
لست أخشى أنيابه المسنونة
في جحيم من ثورة وضعينه؟
خمرًا رأيت فيها منونه؟
شيطان الفتنة الملعونة؟
العقل لرب الجهالة المأفونة
فتنحى عن درة مكنونة؟

■ الفوضى في الربيع

أنتنا دعوة الداعي
وكان الروض مرسلها
فقد هلّ الربيع به
فزف الروض مقدمه
ولينا رسالته
بها المنشود من أمل
مع الأنعام كالقبل
مضيء الثغر والمقل
وأشعل كل مشتعل
بما حملت على عجل!

وجئناه مع الفجر
وما كنا غريبين
ولكن ضمنا خجل
فقد كانت على فوضى
وكان غرامها عبثا
نضم الصمت في خفر
على دنيا من الصور
من الأطيوار والشجر
وهرج بالغ الأثر
ولهوا جد منتشر؟

وراح الفجر في نهم
ويسحب نهره الفضوي
ومن حين إلى حين
يقبل حمرة الورد
فوق شواطئ النهدي
رأيناها على بعد

يشقق لهـن أكماما
فقلتُ له : ألا تخجل
فإذ بالفجر يهـمس لي
لقد هل الريح بنا
أنا حـبُّ وأشواقُ
ويغريهن بالوعـد
لقد أسرفت في الود؟
ألم أسأم من الزهد؟
وفارت نشوة الوجد
وما للحب من قيد...!

وفي حوض الأزاهير
فتلك بذيلها المنفوش
تميل بجيدها حيناً
فتهدي الحب نسرينا
ومامن راحة تشفي
فقلت لها : ألا كفى !
أجابت وهي ساخرة
لقد هل الريح بنا
أنا حـبُّ وأشواقُ
رأينا الزهر ألواناً !
كالطاووس نشوانا
وبالأعطف أحياناً
وتهدي الحب ريحاناً
فكلُّ صار هيماناً
أذبت الروض تحناناً !
ألم أسأم الزهد؟
وفارت نشوة الوجد
وما للحب من قيد

وفوجئتُ بالبزبقة
وقد وقفت كعذراء
وألقى السوسن الحاني
على طرف الربي حيرى
بحفلة عرسها سكرى
عليها الظل والسترا

وراح يـرف فوقهمـا
فبارك ذلك العرس
فقلت لهذه العذراء
لقد هل الريح بنا
أنا حـب وأشواق
فراش كان مخضراً
مضيء الثغر مفترا
قد بـكرت بالبشرى !
وفارت نشوة الوجد
وما للحب من قيد!

وشاهدنا عصيفرة
ولون العصفر الأصفر
وكانت فوق تربتها
تموج بها أحاسيس
وتفزعها المناجاة
فصوبت العيون لها
أجابت وهي واجمة
لقد هل الريح بنا
أنا حـب وأشواق
تكاد تموت من كيد
فيه عناصر الحقد
كثيرة غيرة تردى
من الحرمان والصد
الطيور وحمرة الورد
وقلت : علام تستجدي؟
ألم أسأم من الزهد؟
وفارت نشوة الوجد
وما للحب من قيد

وكان الغصن للطيـر
يمد إناءه حيناً
حنوناً دائماً الكرم
لذاك الظامئ منهم

فیلقط منه لؤلؤةً من الأنداء فی الظلم
ویعلو الجواً حیائنا علی قممٍ إلى قمم
لیملاه بأهـاتٍ ولحنٍ باسم النغم
فقلت : کفـاک سقسقةً فما بالأذن من صمم !
أجاب محلقةً غرداً ألم أسأم من الزهد ؟
لقد هل الریـع بنا وفارت نشوة الوجد
أنـا حـب وأشواق وما للحب من قید !

وبان لنا علی قـربٍ غـدیرٌ کان معصمًا
وکان الحسن أجمعه علی المرآة مرتسما
فشـتـنا أن نوافیه لكي نطفي الظما النهما
ولکن إذ أتیناه وحن الماء مبتسما
رأینا فیـه أعیننا تبادل بعضها الکـما
وكانت کل واحـدةٍ يشع ضیاؤها نغما
وقد أج الحنـین بها وفارت نشوة الوجد
أنـا حـب وأشواق وما للحب من قید

■ ■ يا حبيبي

[إنما دنياي مشوب هواها]

ما هي الدنيا وما سر البقاء؟
أم دمي يلهو بنا كيف يشاء؟
رقتها نفحة الزهر النضير
من عناق النور أو شدو الطيور
سابع في جوها الحاني الطليق
يرعش الأغصان بالحب الدفوق
في الربى نسناف أنفاس الورود
لست أدري أين نمضي أو نعود

سفره يحمل أسماء البشر
كلنا أسرى بأغلال القدر!
في شحوب الفجر نسعى ونجد
تربط الحاضر بالأمس وغد
ورياح الليل هبت ثائرات
واختفى صاحبه ... والعاطفات

وعين عكست شتى الصور

من أنا من أنت ما هذه الحياة
كرة حيرى بأطراف الدلالة؟
رب دنيانا رياض نسقت
أوجه الأوراق فيها أشرقت
الريبع الحلو رفاف عليها
ونسيم الفجر مشتاق إليها
ربما نحن خيالات تجوب
في الربى حتى إذا حان الغروب

ربما الدنيا لنا سجن كبير
ذاك اسمي اسمنا اسم الأسير
جمعتنا قوة فوق الوجود
وعلى الأقدام أطراف القيود
فإذا ما اليوم ولى في قطوب
انمحي اسم من السفر العجيب

هذه الدنيا أنين وتمنى

يا حبيبي لست أعنيها بظني فهي سر غامض طول الدهر!

إنما دنياي مشبوب هواها
ما هي الدنيا وما جدوى بهاها
خلقت للحب شاءت أو أبت
إن تكن من طيفك الغالي خلت؟

أين ذاك الروض والعشب الحنون
ونسيم الفجر وضاء الجبين
والفضاء الواسع الحر المديد
والندى؟ والزهر؟ والعطر الفريد
أين سجني؟ أين أغلال الأسير
أين فجري شاحباً أو مستنير
والطيور الشاديات اللاهية
سابقاً بين الغصون الدافية؟
وشعاعات الضياء المكتمل
أين مني أين هم أين الأمل؟
والرياح الصاخبات الثائرة
ودموعي صاليات فاترة؟

الدجى والصمت والموت الخؤون
وفؤاد تائه بين الظنون
كلها حولي وخلفي وأمامي
حائر يخبط في ذاك الظلام

■ ■ فوق تلال بلطيم

إن في هداة التلال لشيئًا
يسكب الحب والسكينة في
فنها طوائفًا تتهادى
زاحفات على التلال بشوقٍ
بهدوء يهمسن في أذن الحي
قدسي الخيال والتفكير!
غور قلوب الموتى وأهل القبور
في ديبٍ منغمٍ مسحور
صاعداتٍ على الربى بسرور
طويلاً برقةٍ وحبور!

أيها الطيف! من تراك تناجي
أنت ياربة الظلام ويا عاشقة
ما الذي خلف هذه الوحدة النكراء
فوق هذي التلال ذات القطوب؟
الحزن والسكون الرهيب!
يغري بناعمات القلوب

■ ■ الزهرة والفراش

[مترجمة عن الفرنسية]

إلى الفراش طليق الجو والسبل
أما لذا البعد من حدٍ ومن أجل
قد خالط الحب بين الجد والهزل
وأن يظل حطامي غير متقل
ولو نوحونا عن الأحياء في ملل
قامت قيامتها عن حادثٍ جلل
أختان في روعة الألوان والحلل
تذروك ریح وعندي قيد معتقل
وتذوي جمال عمر رطيب!
كالأعمى عند لذع اللهب؟

أسرت الزهرة الثكلي بلا خجل
يا من تعاليت في الأجواء مبتعدًا
لله من قدر قاس ومختلفٍ
قضى عليك بأن تجري بلا أميدٍ
لكننا والهوى خلان من قدمٍ
لما استويننا رأينا الناس حاسدةً
إذ كان منظرنا ينبى بمخبرنا
كذا الحياة ألعيبٌ مكدره
إن هذي التلال تطفح بالهول
فإلى من تحديقين بجوف الليل

أطیوف الأموات تجهل همس؟
في شعاب الحياة أحمل رمسي
سرمدي الضياء يلهب حسي
وأسى مهجتي وثورة يأسى
أتناسى به عوالم نفسي!

جهل الناس من أناجي ولكن
من تراني أكون غير رفيقٍ
إن في هذه التلال حنائنا
كلما جئتها تلاشى عذابي
هي لي عالم من السحر يبدو

وكان يسعدني أن ترتقي صعداً
ولكن تلاحق أزهاراً تلاطمها
وزهرة تركت بالدار مسقمة
أنا بمقترب أنا بمقترب
لذاك فاضت دموع العين كل ضحى
فإن رغبت لهذا الحب يا ملكي
تعال قربي وجاورني فذا سكني!
وقد تضوعت بالأنفاس والقبل
كأن صنعك صنع الشارب الثمل
من رؤية الظل تحت الساق لم يحل
سهل المقادة في وهج من الشعل!
تزداد حتى أرى الأنفاس في بلل
بأن يمر مع الأيام في جزل
أوهب جناحاً به أعلو على عجل!

■ الكون الكبير ■

كل شاد يشدو على قيثار
شاعرٌ يعبد الجمال فيستوحيه
وثبت خلف صدره ذكريات
فمضى يذكر الطبيعة والريف
يوم أن كان في الصبا الغض
سابعًا بين رفرفات الغصون
نائمًا تحت ظل صفصافة تحنو
حاملاً فرحة الطفولة للشمس
لحقول السنابل الشقر تهتز
للسواقي تثير أناتها فيه
هكذا راح كل شادٍ يغني

ويغني بالناي والمزمار
شعرًا من أعذب الأشعار
الأمس دفاقة مع الأفكار
وعمرًا قضاه كالأطيّار
طفلاً يتناغى مع النسيم الجاري
الخضر في زورق من الأنوار
كأمٍ عليه في استئثار
وللرايات والأنهار
اهتزاز السكر في استهتار
شجى الغناء أي مثار
كلما هاجه شذا التذكار

غير أني إذا استبد حينني
وتشوقت أن أعيد رؤى الماضي
لم أجد منبعًا من السحر يضي
غير قلبي! فيه البلابل تشدو

ولي الله كم يـؤج أواي!
وأمسي وفجري المتواري
زاهيات الظلال في أشعاري
وهو منها كالطائر المتباري

دائم الخفق في ربوع أمابيه
 باختلاجات حسه يتغنى
 فهو نايب الرقيق حينا
 وهو صفصافتي إذا الشمس أرخت
 وهو في الأرض موطني الحر
 وهو كوني الكبير! فيه أراعي
 فيه تزهو الشموس من كل ركن
 وبأطراف أفقه تتدلى
 وعلى رايباته الزهر يغفو
 ثملات بعطر زهدي وطهري
 سابحات على ضفاف غدير
 هو نبع الحنان في غور نفسي
 ليس بدعاً إذا استعنت بقلبي
 فهو ظل السماء في الأرض يحوي

مضيئاً يأجبح من نار
 وبهمسات نبضه الفوار
 وقيثار حياتي وتارة أوتاري
 وهجها أو تعثرت أقداري
 إما يتلى موطني بالاستعمار
 ظل أهلي وقريتي ودياري
 لامعات الخيوط والأستار
 من سماه مشاعل الأقمار
 فوق عرش من الزبرجد سار
 ووفائي وصحبة الأخيار
 يتجلى كالشهد للمشطار
 وهو إيمان روعي الزخار
 في اجتلائي طرائف الآثار
 سر ربي المليء بالأسرار!

■ الدور الخطير

تأمل جمال الربيع الفريد
فهذي تباشيره تستعيد
فكم راح ضوء الصباح الوليد
وكم ربوة ملأتها الوعود
وكم خضرة وسدتنا الخدود
فما زال هذا الوجود المديد
يرف شذاه بطيف ربانا
بصدر الربوع خيال صباننا
يشاركنا بهجةً وحنان
ورفت بها خلجات دماننا
ولم تك إلا مطايا خطانا
وفيّا يردد ذكرى هواننا!

فأين إذن أمسنا المشتهي
وأين مضت رعشات الجوى
وأين الشفاه بحر الظما
وأين الشحوب علينا بدا
وأين القناعة روح الرضا
وكيف تراخت جبال الهوى
وتلك السعادة في غورنا؟
نردها في صدى شعرنا
تبوح وتكشف عن سرنا
دليل التبتل في طهرنا
وطعم الحلاوة في مرنا
وكانت تشدد من أزرنا!

وأين توارى نداء العيون
وضوء مناها وطيف الظنون
ونوبات نشوتها الساحرة؟
ورقرقة المقلّة الثائرة

وأين سناها الرحيب الحنون
وقصة حنين تروي الحنين
وكيف تركنا هوانا السجين
ويترك قفراً جدياً حزين
أكانت إذن نظرات الغدير؟
أكانت خداع الزمان الحقيقير؟
وتلك الروابي أكانت صخور
أم أنا اللذان أظعنا الغرور
وشق علينا غرام الطيور
فرحنا تمثل دوراً خطير

إذا ما تلاقى لقيّ عابرة
وسهد ليا ليهما الساهرة
يفر بأهاته الحائرة
بجنة أحلامنا الناضرة؟
وضحك الطبيعة ، همس الشجر
وسخرية الدهر؟ هزء القدر؟
تحد خطانا وتغضي النظر
وغرنا من الهمسات الأخر
ووهج الحنين بها يستعر
يعبر عن عاطفات البشر؟

■ ■ أحزان القمر

هاهنا الضوضاء نامت واستكانت
وهنا الوحدة بالروح تلاقى
قلت : يا ملك الضياء المكتمل
وتولاك سهوم ومال
قد اتخذت الدار في العلياء عزًا
وغدت صورتك الحسناء رمزًا
إذ تمل العين وجه الكائنات
أو يدك العقل حصن المعجزات
آه دعني أحترق بالضوء روحا
أنت كم أبرأت في الليل جروحًا
فسرى في الليل صوت يتغنى
لم يزل يقرب قريبًا مطمئنًا
قال : مهلا لم أكن يوما سعيدا
ما احتواني الأفق إلا كي أعودا
آه لو تدرك ما سر شقائي
أنالي وجهان ! يا طول بلائي

وغفا الطير على غصن الشجر
وأطل الحزن من عين القمر
قد علا وجهك غيم وسحابة
آه لو أعرف ما سر الكآبة
وتسربت بثوب الأبدية
والسنا الوضاء ألاحظا أيبة
طالما يبقى سوى مرآك دوما
غير سرفيك لا يقبل هدمًا
وأذريه بخورا الجميلك
أنهك الدهر بها قلب عليك
فيه شتى من لحون وجمال
وأنار روح وقلب وخيال
ليست البسمة في ثغري رضاء
مرة أخرى على أرض الفناء
لتولاك ذهول وندم
فأرى الخلد وأرنو للعدم

كم تهاويت بجوف الهوة
وتعاليتُ بأعلى قمة
ولكم ناجيتُ عينًا وفؤادا
فإذا ما ضقتُ بالروح فسادا
ها أنا باعدت بيني والوجود
هي دنيا لفها الظلم الحقود
فضممتُ الصمت وحدي في سمائي
ثم ضمدت جروحي بضيائي

وهي ملأى بحقارات البشر
رفرف الطهر عليها واستقر
ووهبتُ الفكر ومضانا عمًا
ربما أعطيتُ ليلاً دائماً
وعفت نفسي أباطيل الدناءة
وأنا منها بريء كالبراءة
وظلام الليل يستبقي سجينه
مرسلاً للأرض نظرات حزينه!

■ ■ صلاة

عندما يلهث السراج برفق
ويروح الشقاء ينسل خوفًا
فيموت الكلام فوق شفاه
وأحس العظام تصطك رعبًا
لهثات الإعياء بعد اللهب
زاحف الخطو في الظلام الكئيب
أخرستها مرارة التقطيب
وسط بحر من الصقيع رهيب

عندما تغدر الحياة وتقسو
والسياط الغضاب تلهب ظهري
وتدور العيون حول عيون
فإذا الكون عابس الوجه إلا
أنت ! ما أنت من تمر بروحي
أنت ! ما أنت من تمر بقلبي
للصباح الجديد ! للنغم الحاني
للضياء المطل للأمل الزاهي
ويغيض الحنان من جنبها
والدماء الغزار فوق يديها
تنشر العطف والرضاء عليها
بسمة الازدراء منه ... إليها
باسمًا خلف ظلتي وجمودي
باعثًا فيه نشوة التغريد
لهمس الهوى ونجوى الوعود
لطيف المنى وسحر الوجود؟

أنت يارب شعلة من ضياء
أنت يارب نظرة من صفاء
تسكب الدفء والحنان بنفسي
وهدوء تجتاح ثورة يأسني

أنت روح الوجود سر وجودي
وخيال الرجاء ساعة رمسي
رب إن الحياة كأس عذاب
فأعني على تناول كأسني

اللعن الثائر

(1956)



(2)

■ ■ وطنی

وطنی غفرت لك التغلغل فی دمی
وعفوت عما قد بعثت من الأسی
قد كان حبك كلما هدهدته
قد كان إحساساً ندیاً ناعماً
حتى إذا شاهدت محتك التي
أجت؟ ویا للهول نارك فی دمی
فإذا أساك على حساب مشاعری
عذبنتی یا مصر بالحب الذي
والنار نار هواك بی لم ترحم!
فی مهجتي یوم اعتداء المجرم
معنی وتقلید الضریر المرغم
ونشید أطفال ودرس معلم
عانيتها بعزيمة لم تهزم
وكأنهم بجوف جهنم
وهوای ينبع من أساك المؤلم!
حملتيه بجانبی وفي دمی

أنسيتني حب الأمومة في الورى
وجعلت مني العاصفات جميعها
لكنني ما عفت حبك لحظة
سأعيش فيك ومنك حتى لا أرى
سأعيش واهبة إليك مشاعري
وطغى هواك على هواها المضمرم
من سيل أنهار لومضة أنجم
أبدًا ولم أنكر هواك وأندم
أدماي تنبض أم دماك بمعصمي
وأموت واسمك كالصلاة على فمي

■ ■ بور سعيد

رمز البطولة والكرامة والعزيمة والفداء
يا درة مسحورة لمعت على شط الضياء
يا كنز إيمان تكشف في بلاد الأتقياء
يا فخر مصر ورأسها المرفوع في شم الإباء
يا نبع ذل للعدو يعب منه على ارتواء
يا مذبح الأمل الكبير له ومقبرة الرجاء
يا بيت شعر سرمدى اللحن قدسي الغناء
لك بور سعيد تحية منا ومن أهل السماء

خانوك يا للغدر! أهل الغدر خاطفو القنال
خانوك ما ذكروا الذي أدیت من طیب الفعال
بتروا الید البیضاء کم فرشت لهم مهد الظلال
یا مهبط السیاح منفی الخلد أحلام الخیال
طعنوك فی الصدر الذی كم ضم عشاق الجمال
حسبوك ضربة قاذف تموي فينتفض الرجال
حسبوك نزهة عابر وسط الربى یا للضلال
فلقد ینالون النجوم وإن ثغرك... لن ینال!

لكن صمدت صمدت كالطود المنيح الأمتع
وزارت غضبی : لن تشاهد یا عدوي مصرعي!
أقسمت باللبن المخضب فوق ثدي المرضع
أقسمت بالأحشاء تزحف ، باللظى فی أضلعي
وبنظرة النزاع الشريدة كالسفين المقلع
ويكل أصداء الفناء صبيتها فی مسمعي
سأظل أضرب ثم أضرب لن أكف ولن أعی
حتى أذرك كالرماد مع الرياح الأربع!

أقسمت والأرض الوفية زمجرت حجراً وطوب
قسماً بذراتي ، بدرب قد تبقى من دروب
قسماً بعود يابس ما زال في حقلي الجديب
سأكون أفعى كلما نزعوا النيوب نمت نيوب
سأكون سماً في الشراب ، أكون شوكاً في القلوب
فإذا تردد شعبي الجبار في خوض الحروب
سأشد نابي ثم أنهشني وأكلني غضوب
لأكون مقبرة العدى وأفوز وحدي بالنصيب!

أقسمت ثم نذرت شعبك للفدى يا بورسعيد!
وعصمت موطنك الحبيب من المذلة والقيود
وكتبت أروع قصة بالنار بالدم والحديد
وغداً سييتسم الوجود غداً سييتسم الوجود
ولسوف بنى من شغاف القلب صرحك من جديد
ونخيط جرحك بالعروق ونلثم الجرح الشهيد
لنزف فوق جبينك الشفقى أضواء الخلود
ولتشهد الدنيا بأن الحر يبلغ ما يريد!

■ ■ شعبي مهدي

رائع أنت في جهادك حقًا !
أنت صاف كماء نيلك حرًّا
وكمثل الأهرام خلدت يا
يا لهذا الصمود في ساحة الوغى!
أنت أذهلت عالم الإنس
وجعلت العدو ينطق
إيه يا شعبي الحبيب ! ويا
آن أن تخرج السلاح وقد
آن للمنجل المقدس أن
ورهييب في عزمك الجبار!
عارم مثله عتي القرار
شعبي أيما وشامخ الأسوار!
ويا للثبات في الأخطار!
والجن ودينا الأرواح والأبرار
بالحق ويدلي برأيه في جهار
أمجد شعب مكلل بالفخار!
أنضجه الصبر في الفؤاد الناري
يحصد حصدًا رقاب الاستعمار

وانتظار السنين والأعمار
وكفاح الأموات من أحرار
قبرص بل كينيا لأخذ الثار
كان يحمي نيينا في الغار!
حياة الأماجد الأظهار
وتهوي مع اصطعاق النار
أن يسود السلام كل ديار
القوت وإسعاد أسرة وجوار
ونجوى الطيور والأزهار
فلتكن فلتكن نهاية عار!
حياة القيود والأسوار؟
لن تنحني في ندالة الخوار
وحق الجبال والأنهار
شبر صغير من أرضك المعطار
أمواجنا في تقزز واحتقار
كل ذعر من قاذف منهار
وجدارًا يهوي وراء جدار
بطش الحلیم كالإعصار!
من قلب الصعيد الضاري!
سطورًا قدسية الأنوار

إنها فرصة الحياة تجلت
إنها «أم صابر» وذنشواي
إنها صرخة الجزائر بل
فامض واضرب! فإن حقك درع
ضربة كالفناء تسحق أعداء
ضربة كالرعود تقصف تنقض
أنت شعب مسالم تتمنى
همك السعي في الحياة لكسب
قلبك النور والبساطة والخير
هم أرادوا لنا بداية ليل
أفحتم عليك يا شعبي الحر
أفحتم عليك؟ لا أبدا
فبحق السماء والشمس والأرض
لن يعودوا ولن تفرط في
لن يعودوا سوى لتلفظهم
كان ظن العدو أنك لاق
أن حصنا ينهد في إثر حصن
يا لهول العدو من غضب الصابر
يا لهول العدو من بلد شبانة
سيخط التاريخ في صفحة المجد

وسیروی الأحفاد فی هدأة اللیل
ویقول الأبناء : یا أبئی
إیه یا شعبی المجاهد أبشر
حسبک الیوم من فخار ثلاث
حسبک الیوم من فخار ثلاث
حسبک الیوم من فخار ثلاث
وعلی کتفک الوقور حملت
رائع أنت فی جهادک حقًا !
أحادیث عزمک الجبار
هل ولدوا مثلنا ومثل الصغار ؟
إنما التم بعد لیل سرار
حشدوا کل قوة الأشرار
تدوی بصیحة استنکار
الیوم بفخر رسالة الأحرار !
ورهب فی عزمک الجبار !

■ الشیطان والإنسان

أخی ! قد جئت من خلف الظلام الغیر منظور
أخی ! قد جئت مذعورًا أحث عنان تفکیری
تری ما خطب دنیاکم لتحجب بهجة النور؟
وما هذا الصدی یسری إلینا کالأعاصیر؟

الإنسان :

هی الحرب التی وصلت إلى أعماق دنیاکا

الشیطان :

وبعد... فما هي الحرب؟ أعرني اليوم إدراكًا

الإنسان :

دماء أينما ترنو ونار أينما نبصر
ورأس ها هنا ملقى وطرف ها هنا أبتـر

وجرحى في حناجرهم أنين خافت يصدر
وحبلى إذا نولدها ففتح بطنها نـبـقـر
وكهل ناء من تعب يطوح ظهره الخنجر
وأطفال وأطلال وقتلى في الدجى تنظر

الشیطان يفكر :

دماء حمـر! واعجـبـي! كلون شعارنا الساري
ونار أينما ترنو؟ وعنصرنا من النار
وبعد... فما هي الأهداف يا خـلي... ويا... جاري؟

الإنسان :

لنستولي على الدنيا! ونبـلـغ ذروة النصر
فإن العيش للقوة تلك خلاصة الأمر

الشیطان :

برافـو! هـكـذا كانت تـراعيكم أمانينا
فكم شئنا لكم دنيا ولم نقبل لكم دنيا

سنجزیکم إذن خیراً فمشکلکم بأیدینا
لقد ضقتم بحاضرکم وقد ضقنا بماضینا
فولوا شطر دنیانا ... سننجرها مطیعینا
فقد صرنا ملائکة وقد صرتم شیاطینا !

■ ■ اذکروا

ذکریات عید الجلاء

قد تحررنا نساء ورجالاً
افخري یا مصر هذا یومنا
فاملؤوا الأکوان بشرا وسنی
وارفعوا رایات مجد شامخ
ومن التاریخ حققنا المحالاً
جاء بعد الجهد حقاً وحلالاً
وابعثوا الأفرح شعراً وخيالاً
واذکروا فی نشوة النصر

اذکروا الشهم بفخر وحنان
واذکروا قلباً کبیراً ضمناً
ولتکن ذکرى علی کل لسان
وتحدی الموت فی ظل التفانی

ويداً شماء قد قامت بنا
وأكفا طاهرات شيدت
من دجى اليأس لأضواء الأماني
كعبة «الدستور» أسوار الأمان

واذكروا ثورة جيش ملهمة
مجدوا العزة فيها طالما
واذكروا أناسواها لم نكن
وخيول في رباها ملجمة
اذكروا أنا وإن نلنا المراما
وانطلقنا دفقة جارفة
وامتلكنا حجة الأرض التي
وتنفسنا هواء طاهرا
إذ أطاحت بعروش مجرمة
هي منّا، من دمانا المضرمة
غير طعم لبطون متخمة
وشياه للردى مستسلمة
ورجعنا مثلما كنا كراما
تتخطى الصخر، لا تخشى صداما
حملت غاصبها سبعين عاما
وجلونا الظلم عنا والظلاما

لم نزل نحتاج للصبر المديد
وجهاد وكفاح وأسى
وعلينا واجبات جمّة
رب لص خلف أسوار الحمى
لم يزل في أفقنا غيم رعود
كي يسير الركب موفور السعود
نحو من قاموا بأعمال الخلود
مستعد لاغتصاب من جديد

فلنكن كالثعلب الماكر حيننا
فإذا نمنا فلا نطوي العيوننا

ولنکن شعب سلام وهدی
ولنکن معول هدم کلما
ولنکن أرباب علم ونهی
وأسودًا فی الوغی تحمي العرینا
شاء الاستعمار أن یبني سجوننا
ودعاة الخیر إیماننا ودیننا!

وامنحوا الأموات قدرًا من وفاء
وانثروا باقات شکر خالد
ثم عودوا فی صفاء وهناء
فاذکروا الیوم قبور الشهداء
فوق مشوی الخالدين الشرفاء
وابعثوا الأفراح فی عید الجلاء

■ عادت القناة

أمناها! أمناها
بدمي بدماک حفرناها
سندافع عنها لن نألو
سنهب کعاصفة غضبی
شیبًا وشبابًا وصغارًا
رغم التهديدات المرة
هی جزء من مصر الحرة
بالدم حتی آخر قطرة
کأسود الغاب الوحشية
لنلبي صوت الحریة!

وحقائق أضحت مجلوة
عجرفة الدول المزهوة
فالحق لنا... وهو القوة
مصاصي دماء البشرية
واشتعلت نار الحريّة!

في جو الحقد المحموم؟
والظالم مثل المظلوم
قبل المؤتمر المزعوم
يعقد في أرض غريبة
أم ينعى موت الحريّة؟

بخطى العملاق إلى الفجر
الحريّة في ظل النصر
أصداء الحق المستتر
تهديد الدول الغريبة
أو موت يفدي الحريّة!

كشف التأميم لنا صورا
فأينما اليوم بأعيننا
إن كانت قوتهم تعلو
فلنشكركم فبضجتكم
كملت وحدتنا العريّة

من قال بمؤتمر يسري
ويكون الخصم به حكما
وليصدر أحكاما صدرت
وبحكم شريعة غابتهم
هل يمثل مؤتمرا حقا

اليوم وقد سرنا قدما
اليوم وقد ذقنا طعم
اليوم إذا انبعثت تزهو
لن نقبل لن نرضى أبدا
إما استقلال مكتمل

■ ■ أزمة القناة

أنشر ظلالك في أعماق أعينهم
وكن مصير نواياهم وخطتهم
لقد تربيت في أحضان مجلسهم
فسر على بركات الله معتمداً
مضى الزمان الذي ولى بمجدهم
يا رب كم من قرار يقذفون به
كم يعقدون اجتماعات ومؤتمرات
كم من سباب وتهديد وتعبئة
ونحن؟ نحن نرى نصغى لضجتهم
ماذا يريدون؟ ما جدوى صراخهم؟
شهرين قد ضيَّعوا في ظل مهزلة
أي الإشاعات كي يزوروا بسمعتنا
أي الحماقات لاستئصال مرفقنا
والمرفق الحر يمضي في رسالته
يا أيها الغرب لا تهزأ بقوتنا
كنا نخافك إذ عشنا على مضض
كنا نخافك إذ كانت تفرقنا

وسر وراء خطاهم أينما رحلوا
ولب كل أمانيتهم إذا ابتهلوا
وكنت روح قواهم كيفما عملوا
وكن لهم رائداً... يا أيها الفشل!
خانوا الضمير فخان الحظ والأجل
وكم مناقشة تخبو وتشتعل
وكم يطير لهم فرد ويتنقل
وكم مؤامرة قاموا بها... فشلوا!
ونسأل البعض هل في عقلهم خيل؟
والله ينصرنا والقائد البطل!
لم يكتسب حلها جهد ولا عمل
ولفظ «مصر» على ثغر الورى عسل
والمرفق الحر مستهد ومنهمل
وحوله الأرض والأكوان تتصل
قد أفلت اليوم من ذؤبانة الحمل
نرى البلاد بأيدي البغى تبذل
يد الدسائس أو تلهو بنا الدول

تجسد الحلم ما عدنا نهدهه
دمي على جرحهم ينساب محترقا
وإن ألم بأرضي أو بهم خطر
يا أيها الغرب يا من تدعى زمنا
نادوك بالعالم الحر الذي انبثقت
ألا ترى الظلم من جنبيك منبعثا
أنا التناقض في الآراء أتبعكم
ذوو الضمائر إن حلوا بمؤتمر
واليوم يشكوننا يشكون من ظلموا
ويرجعون إلى التهديد في سفه
هم يشعرون بأن الحق هازمهم
فالذنب روعهم والخوف هيجهم
ها نحن نمضي مع «الكذاب» في دعة
إن ينشدوا السلم فالأحرار تنشده
فلست أو لست من يخشى وعيدهم

ووجد العرب هذا الحادث الجليل
دمعي على خدهم يهمني وينسدل
تحفز النيل والبيداء والجبل !
إن العدالة من شطيك تتهل
منه الحضارة يا ليتهم عدلوا
يكاد يصرخ إني هاهنا الخلل
أنا التخبط والإعثار والزلل
فلا خلاف على رأي ولا جدل
لمجلس الأمن إذ فاضت بهم حيل
مستمسكين بفتواهم وإن خذلوا
وسوف تُغلق أنى حاولوا السبل
والمؤمن الحر لا قاس ولا وجل
حتى الديار كما أوحى لي المثل
وإن يروموا الوغى هيا ليقتلوا
وقلبنا العزم والإيمان والأمل !

■ ■ دعونا

«دعوة المرأة العربية إلى الجهاد»

دعونا اليوم نقتحم الحدودا
سئمنا ضجعة الإعياء هذي
سنمضي بينكم جنباً لجنب
نشارككم جراحاً أو قبورا
على ليل الجريح نصب نورا
فإن بقلبنا كنزاً دفيناً
ونجتث الأبالسة اليهودا
وصوت الحرب يقذفنا رعودا
نحث خطاكم حثاً عنيدا
ونغلبكم صراعاً أو صمودا
ونبعث فيه إيماناً جديداً
من الحب المقدس لن يبیدا!

دعونا نقتتل جنباً لجنب
سنخلعه رداء من حريـر
وما شئناه ليس لنا بيدع
أما اختالت بأسلحة غوال
وإن بنا لطاقات اقتدار
فإننا قد تساوينا وجودا
ونحتضن البنادق والحديدا!
فمصر الأم أرغمت الوليدا
وزينت السواعد والزنادا؟
وما دُمننا أضن بأن يجودا

فلسطين استكنى نحن شعب
له قلب كهذا الكون حر
لقد بذل الدماء على وفاء
إذا ركب الشدائد لن يعودا
ولكن منك يستهوي القيودا
ولن يألوا غداة غد جهودا

فهذي الحرب حرب الكون طرا هي الشرف الذي نبني وطيذا
هي الحق الذي نأبى اغتصاباً هي القيم التي نكرت جحودا

سنقسم أننا مهمما ابتلينا فلن نبكي جريحاً أو شهيدا
فما بالدمع نرثيهم ولكن نضوع قبرهم ثأراً حقوداً
إليهم لالألى حُصدوا ضحايا بطولتهم لمن غابوا بعيدياً
لمن ناموا على صمت وليل وبالأمس استوتوا رأساً وجيداً
إليهم سوف نحني الهام فخراً ونركع في الصلاة لهم سجودا
فثمة ميتة في ظل مجدٍ لأغلى من حياة لن تفيدا

هلموا يا نساء الشرق هيا فقد عفنا التراخي والجمودا
تذكرن التي عاشت قديماً مثالاً في بطولتها فريدا
فتلك الأم في ظل التفاني تناست ولدها بذلته جودا
إلى الهيجاء أهدتهم جميعاً وكانوا خمسةً عقدا نضيدا
وجاء لها البشير على التيع فقالت: «هاته! نبأ سعيدا»
أجاب «وكيف والأبناء ماتوا ولم تترك لك الدنيا وحيدا؟»
فغضما من نواظرها إيباء وقطبت الجبين له وعيدا
وقالت: هل سألتك ما عراهم وعنهم كنت أنتظر الجديد؟

أجاب : إذن عن الحرب انتصرنا ونلنا المجد والفخر الأكیدا؟
فعدت نحو معبدها تصلي وتشكر ربها شكراً حميداً

فهي يا نساء النيل هيا إلى أرض الكفاح ولن نحيدا
فإن عشنا سنمحو العار عنا ونحفر للعدي قبراً مديدا
سنرجع للحمى الوطن المفدى نلم حصادنا نصرًا مجيداً
وإن متنا فإننا قد بعثنا مع الذكرى وأثرنا الخلودا!

■ ■ من القلب

«من مصر إلى شقيقتها فلسطين»

لا تحسبي أنا هنا صامتون
وكل قلب هاهنا نابض
أختاه! مأساتك مأساتنا
نعيش أحرارًا على أرضنا
فالنار في الدماء جمر دفين
قد احتواك في الحشا والعيون
وقلبنا ينزو بما تشعرين
واعجبا! وكلنا لاجئون!

لا تحسبي أنا نسينا القسم
أختاه! لن تهنأ لي فرحة
لن يهدأ العاصف في مهجتي
يا ويل إسرائيل من ثأرنا
فعروة الأشراف لا تنفصم
وأنت ملأى بالأسى والألم
إلا إذا حطمت هذا الصنم
وحرمة الأموات لن نهزم!

فاستنهضي قواك لا تأسى
ولا تقولي كنت فيما مضى
وكان لي ماض وفير المنى
واليوم ماذا قد تبقى لنا
واستقبلي بالعزم يوم الكفاح
وكان لي حقل وكانت بطاح
أبهى سناء من جبين الصباح
غير الدموع والأسى والجراح!

أختاه! لا تبقى على الذكريات
إلا لكي تزجيك نور الحياة

لتبتعث فيك لهيب القوى والثأر من أعدائنا والثبات
الندب للأموات! يا أمة يسموها الخلود فوق الممات
لن تنظفي الروح وإيمانها يدفق بالأشعة النيرات!

■ ■ ثورة على الظلم

«من وحي هجوم الربيع»

مزقوا الظلم وذودوا عن حمانا
يا أباة الضمیم هبوا! إننا
واجهوا الواقع حراً واضحاً
وابعثوا الحق وفكوا قيده
عقد الشرق علينا حلمه
بوركت أرض سقیناها الدما
لم نكن يوماً لنرضى أن نرى
إن يوم الفتك بالأعداء حانا
قد سئمنا اليوم إغضاء كفانا
إن یکن فی الواقع الحر أسانا
واملؤوا بالعزم روحاً وکیاناً
وفلسطين تنادینا الأمانا
ونجود حملت جهد خطانا
موطن الأمجاد للذل تحاني

لم نعد نحكي تفاهات هوانا
إننا اليوم سلاح قاطع
لم نعد نعرف إلا لغة
عصبة الصهیون یا مهزلة
هددي ما شئت هل خلت الذي
قد سكتنا وسكتنا أتري
نحن شعب السلم لا نوذي سوى
إن تكوني قد تناسيت الألى
ونمني النفس أنا ثم أنا
وعقول تبهر الكون افتنانا
من صدى البارود تسري في دمانا!
مجها القلب وعافتها رؤانا
ذاق ماء النيل يرتد جباناً؟
تحسين الصمت ذلاً وهواناً؟
من تولى الغدر في البدء وخانا
شيدوا الأهرام في مصر زمانا

ليس ما يدعو لأن نذكرهم
سنريك اليوم أنا ثورة
موعد الثأر أتى فلتعلمي
لا ولن نشدو بما كنا وكانا
في سبيل الحق لا تنسى العنانا
إن نكن إنسأ ففي الهيجاء جانا!

■ ■ قسح شعب

«إنه قسم لو تعلمون عظيم»

ولا القوى أخذت أنفاس إعصاري
الصدر المعري أمام المدفع الضاري
أنا المشرد من أهلي ومن داري
أنا المدجج بالإيمان بالثار

لا السجن قيد إحساسي وأفكاري
أنا النبال أمام الطائرات أنا
أنا الخيام أمام الحصن بالية
هيهات تهزمني في الحرب أسلحة

ويا سماء تولى اليوم إعصاري
سيل من الدم والتدمير والنار
وما المقاصل إلا منبر عار
وأن أظهر أوطاني من العار؟

أقسمت فلتشهدني يا أرض مجزرتي
شعب الجزائر قد ذكى عزائمه
فخلف كل شهيد أمة بعثت
أقسمت أن أفتدي حريتي بدمي

■ ■ افخري يا مصر

«لسان حال الفتاة المصرية الحديثة»

أنت يا أعذب ضوء في المقل
أنت لي أمٌ ستبقى للأزل

مصريا موطن حبي ومناي
أنت يا أعمق نبض في دماي

فوق واديك كما كان الأول
أن ترى المرأة عقلاً مكتمل
خلف ظل مستبد كالجبل
ويرى المصري إن سار وصل
وطرحت الوهم خلفي والوجل
واشتركتُ اليوم في كل عمل
تأنف الظلم وتأبى أن تضل
كان مجد الشرق يا مصر أجل !

كنت يا مصر سأغدو عالية
كانت الرجعية النكراء تأبى
فمحت شخصيتي من كونها
كان الاستعمار يبغى قيادنا
غير أني اليوم أثبت وجودي
ها أنا حطمت أسري وقيودي
فافخري يا مصر إن أمة
قد تحررتُ ومن حريتي

شجعوا فينا ارتقاء متصل
قبل أن يغدو كسبًا مستقل
مصدر الإرشاد والوعي المطل

قادة الفكر وأرباب النهى
ورأوا تعليمنا كسبًا لهم
إنهم قد أدركوا يا مصر أنا

إنني سوف أرى طفلهم وأراعي فيه قوميته
إن يعيش أنت له كل المنى هكذا الثورة فينا علمتنا
أدرا الأمراض عنه والعلل وأبث العزم فيه والأمل
أنت من يفدي إذا حان الأجل وكذا طفلي سيغدو ويظل

ها أنا يا مصر أثبت اقتداري لم أعد ألزم كالدمية داري
صار لي حق ورأى مرشد فافخري يا مصر إن أمة
واشتركت اليوم في كل عمل وأعاني الضيق فيها والملل
تسف الظلم وتأبى أن تضل قد تحررت ومن حرיתי
وكان ثابت بين الدول كان مجد الشرق يا مصر أجل!

■ ■ مهر تملّي شهادتها

وأَمْضِيَاهُ بِمَهْجَتِي وَدُمَائِي
لَكَ لِحْنُ الْخُلُودِ، لِحْنُ الْبَقَاءِ !
فِي مَهَادِ الْأَحْدَاثِ وَالْأَرْزَاءِ
وَكُوُوسِ الْحَرَمَانِ مِنْهَا دَوَائِي
غَيْرَ أَنِي رَجَبْتِ بِالْغَرْبَاءِ
وَمَلُوكِ فِي الْإِثْمِ وَالْأَخْطَاءِ
فَوْقَ أَرْضِي النُّضِيرَةِ الْفِيحَاءِ
لَكَأَنِي أَحْسُ وَشُكَّ انْتِهَائِي !
نَجْدَةُ الْخَيْرِ مِنْ أَعَالِي السَّمَاءِ
لَكَ لِحْنُ الْخُلُودِ، لِحْنُ الْبَقَاءِ !

سَجَلَاهُ عَلَى كِتَابِ الْوَفَاءِ
هَذِهِ مِصْرِيَا جَمَالَ تَغْنَى
عَشْتُ دَهْرًا عَلِيلَةً أَتْلُوِي
مِشْرِيِي الذَّلِّ وَالْهَوَانَ غِذَائِي
لَيْسَ ذَنْبِي إِنْ كَانَ لِي مِنْ ذُنُوبِ
هَمْ نَفُوسٍ بِاللَّفْظِ تَدْعَى مَلُوكًا
هُوَ سَرَبٌ مِنَ الْجِرَادِ تَوَالِي
لَوْ تَرَكْنَاهُ يَا لِنَفْضَةِ رَعْبِ !
كَدَتْ أَفْنِي مَعَاذِ رَبِّي لَوْلَا
هَذِهِ مِصْرِيَا جَمَالَ تَغْنَى

أَوْ تَحْصِي الرَّمَالَ فِي الصَّحْرَاءِ؟
وَذَكَى اللَّهْيَبِ فِي أَحْشَائِي
وَنُورِ الْهَدْيِ وَطَيْفِ الرَّجَاءِ
لَهْنَائِي وَرَفْعَتِي وَعِلَائِي
وَرَفْعِ الْكِرَامَةِ الشَّمَاءِ

كَيْفَ أَحْصِي مَنَاقِبًا مِنْهُ عَمَتِ
بِثْ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي قَلْبِي الْمِيْتِ
حَامِلًا مِشْعَلَ الْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ
سَاكِبًا رُوحَهُ الْحَنُونَ فِدَاءِ
لِلْكَفَاحِ الْمَجْدِ فِي سَبْلِ الْمَجْدِ

لانذار الأحقاد في هوة الأمس
لانفاس القلوب من غفوة الذل
فإذا العبد فوق أرضي حر
وإذا البشر في ربوعي يسري
وحصاد العذاب أجنیه نصرا
سجلاه على كتاب الوفاء

وذبح المطامع الشوهاء
فرازا ليقظة الكبرياء
يتهادى في عزة وإباء
وعبير الورد في أرجائي
يوم عيد الأعياد ، عيد الجلاء !
وامضياه بمهجتي ودمائي

■ ■ حبها الأول

«وعلى الشاطئ منديل كبير ينوح ، وفي
السحابة البيضاء النائية قلب يتململ»

مرآتها وعينها الذابذة
تحديق في أعماقها ذاهلة
والغرفة المخفوقة العفش
يحتلها السرير كالنعش
وشعرها والمشط بين اليد
وظهرها الحاني على المقعد
وبسمة صفراء
ولحظة استرخاء
لحظة حلم ناعم الذكرى
مجسد في غرفة أخرى
في غرفة ضاحكة الظل
بسيطة الأثاث والشكل
يحضنها البحر وشمس الربيع
ويسكن العصفور بين الضلوع
وهينمات الخيال
مع الشذا والجمال

بها فتاة مثل عود رطيب
ترنو إلى مرآتها في شوب
قميصها الوردي للركبة
يكشف عن معالم الفتنة
تضغط فوق صدرها باليدين
مبهورة تخفي رؤى حبتين
بنظرة ذهلي
وبسمة خجلي

وامرأة بالقرب منها تدور
بعينها وميض نار ونور
تهتف في إغرائها الخلاب
«أواه لو رآك ذاك الشاب
بذلك الجمال يا فتنتي!»
«ويحك ! صه لا تهزلي دادتي
إذ كيف خمنت حبي؟»
«من نور عيني وقلبي!»

وتصمت الصبية الحائرة

والدادة الخبيثة الماكرة
تهمس في آذانها باللقاء
«بنيتي في الدرب بعد العشاء
حين يكون الليل أرخى ظلاله ...
علام أهذي؟ هاك فضي الرسالة
بطيها تلتقين
بكل ما تستهين»

وتقرأ الفتاة في سطرين
«حبيبي روجي ونور العين
إلام هذا البعد؟ هذا الجفاء؟
سنلتقي حتماً ... وهذا المساء!»
فتعربها نوبة من حنين
سنلتقي! تصرخها في جنون
إن شاء هذا القدر
أو لم يشأ.... انتظر!

وتختفي الرؤيا وتبدو الحقيقة
وتحرق الحالمة المستفيقة
في كونها في الغرفة الصامتة

عبر مدى أجوائها الباهتة
ومن خلال زفرة مكتومة
راحت بطرف كفها المحمومة
تمسح فوق جفنها المسبل
دمعة ذكرى حبها الأول

■ ■ ذكريات الطفولة

«إلى صديقة»

لماذا نقبر الذكرى ونخفي سر ماضينا
هما عامان يا أختي سعدنا فيهما حيننا
تعالى نرجع الأمس الذي ما زال يدعونا
إلى أرض مباركة بها اخضرت أمانينا
هناك بريفنا المحبوب في أحضان وادينا

تعالى نسط الأجنحة اللهى على الكون
ونمضي حيث يدفعنا نداء القلب والعين
وحول سنا طفولتنا نرفرف كالفراشين
ونرنو في مسالكنا بعيداً نحو ظلمين
هما أنت ، أنا نجري ونمرح في ربي «الفشن»^(١)

هنالك في المروج الخضركم جعنا ولم نشبع
أكلنا الفجل والجرجير والجعضيض والنعنع
وتحت الغصن هو منا لنسرق طيره الرضع

(١) الفشن : بلد بالصعيد .

هناك على ضفاف «السرب»^(١) كم سرنا على أربع
لنملاً جوف علبتنا بألوان من الضفدع !

هنالك خلف دار أبي وخلف عيون «ميمونة»^(٢)
لكي نبي مواقدنا عجنا الجبس والمونة
ورحنا نخرط البرسيم ، نطبخه على الهينة
وفوق زكائب القطن التي ترتص في الشونة
قفزنا ! يالها أقدامنا بالقفز مجنونة !

هنالك كم تأهينا ليوم الجمعة العظيمة
فغادرنا منازلنا على حذر وفي غفلة
نلم الرامخ المنشور... نقذف بالحصى النخلة
نشاغب فتية الحارة نخطف منهم النحلة
ونلعب لعبة الطبقة ونط الحبل والحجلة !

وعند العصر أبصرنا وفي أعماقنا فرحة

(١) السرب : مجرى ماء .

(٢) ميمونة : مربية سودانية .

نمر بضفة الترعة في الجيئة والروحة
أنا بالشبشب العالي وبالفستان والطرحة
آتية عليك في زهو وأخطف تارة لمحمة
لطيف باسم يهفو هناك بجانب الدوحة !

ترى هل تذكرين اليوم مدرسة بها كنا ؟
وكانت في خيالينا وجودًا آخرًا ... كونا
عرفنا الحب قد يفنى وحب الذات لا يفنى
فكم فيها تشاحنا ، تخاصمنا وكم غرنا
إذا أرقامنا اختلفت وجاد «الشيخ» أو ضنا

لماذا نقبر الذكرى ونخفي سر ماضينا
هما عامان يا أختي سعدنا فيهما حيننا
هما عمر لنا ولي به ولت أمانينا !

■ ■ جرح ولیل

«ما جدواك أن تقول للناس شيئاً قد لا يفهمه الناس
إن قدسيته وروعته يغض منهما الإفضاء»

منذ أجيال وبی جرح کبیر عبثاً أنسى على الدهر زمانه
هو مني غائر دام مثير غير أني لست أستجلي مكانه !

ذات «لیل» خلْتُ أن الجرح للعین تعری
فتولاني سرور وارتياح غير أني
حينما حدقت في الفوهة حيناً عدت حيرى
كان كالبتير عميقاً مالنا عيني وكوني !

وسمعت الناس يروون حكايات عجيبة
عن كرامات «ولي» راح يشفي كل داء
فتوسلت إليه في ابتهالات مهيبه
ورجعت البيت جنلي ومعني وصف شفائي

ووضعت الصحن ليلاً في الندى فوق السطوح

ثم أطلقت بخوري حول أوراق حجابي
وصبيت الطل من صحنى على نبع جروحي
فمضى ينزو عنيدًا وتمادى في عذابي

ورأيت الناس يشفون جراحات الحياة
بمزيج من عصارات نبات وثمر
فتسللت إلى الغاب بأقدام حفاه
وعراء الليل يكسوني وأنواء المطر

ويجاهد عَصْرُ الشحم من صلعة سروه
وفركتُ العصب الأصفر من أوراق زنبق
وملأت الكف من عشب نما في حُضن هوه
ووضعت المرهم الغض عليه فتدفق

جتته بالقمر الراقص في النيل العظيم
جتته بالشمس خلف الأفق لم أبخل عليه
وسرقت الماس كي أرضيه من عين النجوم
غير أن الجرح قاء النور دل شفتيه!

فتحانیت علی جرحی بغیظ و جنون
ونزعت الجلد منه ثم قطعت لسانه
ثم تبثُ علی جنبیه أوتاد عیونی
غیر أني حین وافی الصبح لم أعرف مكانه !

■ ■ نداء

«إنها تحبك رغم علمها بأن فيك كثيراً من النقائص والعيوب
إنها تحبك عندما تعجز عن معرفة سبب محدد واضح يربطها بك»

حنانك ! قد طال تشريدنا
فما عاد ينفع عصياننا
وأدنا هوانا بجوف الظنون
وها قد توالى علينا السنون
وها نحن رحنا نعب الهوى
ونقطف كل زهور المنى
فماذا جنينا ؟ سوى الذكريات
ويا ويحنا ! قد أضعنا الحياة
تعال لتنفض عني الهموم
ويا هاجري هل تضيء النجوم
وحسبك أني رضيت العيوب
فما كان للقلب أن يستجيب
حبيتك ليلاً وظلماً مديد
فقلت أنا الوهم بين الوجود
وإنك أرضي القوية أمشي

وكلت خطانا فهلا نعود؟
ولا عاد يجدي الجفاء العنيد!
وشيدت قبري وشيدت قبرك
وأحببت غيري وأحببت غيرك
ونسبح في غمرات الشعور
كأننا سنطوي غداً في القبور
وطعم المرارة في حلقنا
ولم ننتقم غير من نفسنا
فعمري قصير وبني ألف داء
سوى ليلة في ظلام الفضاء؟
رضيت بما تحتوي من شرور
سوى للهوى رغم عقلي البصير
وأقنعت نفسي بهذا القدر
وأنت الحقيقة بين البشر
عليها بأمن وكلي ارتياح

ولست بسقف من الأفق هش
وكنت أقول ستسمو غداً
ولولا الضلال جهلنا الهدى
ولكن حتى الظلام جفاني
فحسبك أني رضيت هواني
ومعاد ينقطع عصياننا؟
يميل فيهتز مني الجناح
فطبع الهوى في القلوب صفاء
ولولا الدجى ما عرفنا الضياء
حنانك قد طال تشريدنا

■ عيون الحب ■

إلى ركننا الساكن المفرد
إلى أعذب الورد والمورد
وبين نسيم الضحى الراقص
ثوت باعة اللب والحمص
نداء الصبي الصغير المكير
بقرطاسه المتخم المستجير
النيل أسماكه والشباك الكبيرة
ولا بائعات الزهور النضيرة
على البريريسو لأمثالنا
لكل حبيبين مرا هنا
ستبقى شريد الخطى متعبا
ولن أترك الدار لن أذهبا!

على الضفة الرخوة الباسمة
فما أبشع اللحظة الحاسمة!

درست هواي درست شعوري

غداً حين تذهب في الموعد
إلى النيل حيث يهيم الجمال
غداً حين تمشي على شطه
وحوله خطاك وفوق الرصيف
فلا تتوقف هنالك عند
لتبتاع لي «ترمسا» لاذعا
ولا يلهينك في سيره
ورائحة الذرة المشتهاة
ولا القارب الشاعرى الصغير
يرفرف مجدافه في حنان
ولا تدع الوقت يمضي سدى
بل امض وعد عد فلن نلتقي

غداً لن يكون لنا من لقاء
سيبقى الفراق بغير وداع

ففي لحظات اللقاء الأخير

وأيقنت أني إذا قلت يوماً
وأيقنت أني مغرورة
وأن هوائي صغير صغير
وإلا فكيف وجودي بقربك
بوعبي بكلي أراك أعد
فإذا كنت فوق الأريكة جنبي
تربعت في جلسة لا تليق
وإذا كنت تهتف باسمي الحبيب
خلعت حذاءك في غفلة
وحين استبد بك الوجد حتى
شعرت بنفسي ويا خجلي!
ودار بفكري يوماً جلست
وقارنتُ هذا التناقض فيك

عقل يفكر مثل الورى
ووهج الوصال عيون ترى؟
غداً لن أراك ولن أحضرا
فكيف تفسر؟ هل للأحبة
الالحب في سكرات اللقاء
إذن حين تذهب في مواعيدي

■ ■ مع الريح

عبثاً تهدئين أيتها الريح وهيهات أن تقري رزينه !
 أنا في قلبي الحزين سكون فلماذا تبلبلين سكونه؟
 من هنا تهجمين كاللص من نافذتي وسط غرفتي المستكينة
 تلطمين الجدار والسقف والأرض بطيش الفراشة المفتونة
 تمثلين استكانة الليل هرجاً واصطخاباً وتوقدين حينه
 فتعود الحياة للغرفة المملأى بهمى بذكراياتي الحزينة
 ومراح الطفولة الحلوة الغضة يسري في روحها المسجونة
 في ارتقااص الأستار ، لثم المرايا في اعتناق المفارش المقرونة
 وتصيح الأوراق في عبث هاربة ، بين قبضتي مطعونة
 ويؤج الأثاث بالغمز واللمز وغنج التأوهات الدفينة !
 غير أني أراك في غمرة الركض تحومين في الدجى مجنونة
 تقلبين الغطاء فوق سريري تارة ثم تارة تسدلينه
 أي شيء أغراك فيه أجيبني ؟ يا رياح الشمال يا ملعونة!
 ليس فيه سوى سخافات ظهر وبلاهاة عفة مخزونة
 وتلال ثلجية تتعالى وبنار من الدموع السخينة

انظري طرفه الوحيد تراخى كعباب يشد طرف سفينة
ها هنا ! ها هنا حصاد الليالي وكنوز الفضيلة المكنونة
فاحملها على بساطك وامضي وامنحها لكل روح أفينه!
ثم مدى في الأفق ساقيك من أقصى المدى من ديارك لمسكونة
واعصبي في الظلام عينيك لا تخشى ستلقين جثتي المدفونة
سوف تلقينني وليلي وصمتي ومجاعات روعي المحزونة
في انتظار اللا شيء ! في مقعدي الحاني الذي يستمد منه أئينه
آه كم أن كم أحس بثقلي كم توطأت ظهره وبطونه
فتعالى ! شيطانتي يا أثيري الرحب يا قبلة الهوى المشحونة
يا جناح الأوهام يا فتنة الإثم وعملاق رغبتني المركونة
واغمري مخدعي بحلم السلاطين القدامى والجاريات الأمانة
بالدوار المسحور بالنغم اللاهي بعطر الهوى وصبي القنينة
واعبثي بي ! وعانقي جذعي المتخم هزي ثماره وغصونه
فأنا أنت وحدنا والليالي يا رياح الشمال يا ملعونة !

■ ■ ابتکار

یا حبیبی أنت لی أول حب
فاستمع لی استمع لی إن قلبی
لا تهددنی بأحلام العذارى
المنی العذراء أو هام الحیارى
أنت إن أسعدتني دوماً بحبك
وتمنیت خیالاً غیر طیفك
أنت إن أسقیتني كأس الهوان
تقتُ يوماً لضماد من حنان
فابتكر فی الحب ألوان الغرابة
وامزج الفرحة فیہ بالكآبة
یا حبیبی هكذا نحن النساء
وكذا أنتم على الدنيا سواء

قد تمنیت له عیش الخلود
حائر یخشى على حبی الولید
لا تكن فی الحب جباراً عنید
وضروب العنف للأسرى العیید
زهدت نفسي فی الحب السعید
یبعث النشوة فی من جدید
أنت إن أثخنت قلبی بالجحود
لید تحنو على جرحى الشهید
وأسالیب التجاء وشرود
والسنا الوهاج باللیل المدید
لا تلمنی! إننی بنت الوجود
ولذاک الحب یفنى ویبید!

■ أيام تمر

هل تذكر الضاحية النائبة
ووقفتي هناك في المنحنى
أودع القطر إذ ينثني
أظل أهذي حزينة
والبيت والحديقة النامية ؟
على انتظار اللهفة الحانية
ليعبر المحطة التالية
بمقلعة حائرة

من يا ترى قد أخره؟

حتى إذا بدوت خلف الباب
مقهقهةً ساـ ساـ خـرا
فأنثني لا أبالي في خطوات ثقال
أمد كفاضينيه
هل تذكر الشمس إذا ما ارتقت
نمضي ونمضي في رواء الصبا
وتحت خطوينا أنين الصدى
وتطفرف فرحة من حولنا
فأغبط الأرض التي تحملك
وإذا بنا نكي منى وصمتنا
تطل من فرجه المعشاب
أردت أن أثنأرا
وبسمة فاترة
وأفتح المزلاج !
ونحن في بستانا الأوحـد ؟
وساعد يحنو على ساعد
على سفير الشجر المجهـد
ونبلغ القمة من حننا
وذلك النور الذي يغمرك
حين تضيق المعاني

كأننا شطآن جاشا مياه وما بناء يملأ سمح الحياة

ونلمح العريش في ركنه مظللاً بالكرم والريحان

فنخفي روحين في حضنه نهتك عن كوامن الوجدان

إذ نجتوي الراحة لناًتلي نسقي يبيس النبت والأغصان

بين عروق الشجر فنبعث النبضا والماء إذ يخدد الأرضا

وانضم لنا وسرى غضا ثم اختفى وانـدثر

كهبة الريح بوجه الصخر!

هل تذكر الليل إذا ما دجا ونحن في الشرفة بين الشرود

إذ يعقد الطرفين سحر الرؤى بطرف نجم في سمانا بعيد

وشعري المغدودن المنتشي في راحتك مستبد عنيد

أهتف وي! ما بال هذه النخيلة بين العشايا الجميلة

ترمقنا بعينها الرعناء أهكذا تظل في الأجواء

معروقة السعوف والقامة مقامة مصلوبة كالشهيـد؟

■ ■ لذة الخطر

أود أن أكون بحارًا على سفينة
في ليلة نامت بها السماء والأنوار
حتى أحس أنني نهايتي وقمتي
لا أدعي إذا ضللت أنها الأقدار

لسوف أغدو رجلاً في رحلتي المروعة
فإن خوفي ربما يعوق لذة الخطر
وربما شعري يجدل الرياح الطيعة
وقد يشق مهجة السفين دمعي المنهمر

سيستقر فوق جبهتي السواد والسواد
وسوف يهبط الأسى وسوف يصعد الألم
ستمحي من خاطري أطيفاف قرب أو بعاد
وتستوي عندي اتجاهات العيون والقدم

وسوف لا أرقب فی السما طلوع الأنجم
فما أرى أسخف من تلهفات الانتظار
لن یسبح النجم علی سواعد التوهم
ولن یصیر لی دنی ولن یكون لی نهار!

لکننی قد خلوتی بالموجة المرتعدة
سیعصف الجوع بروحي بعد هدأة الشبع
سأحضن المجهول فی ریاحه المعرودة
وأعبر الأهوال فی أقصى مداها والفرع!

■ ■ ساعة مولدي

في ظلمة الكون لا ضوء به سار
كأن طيف الردى قد مدّ ساعده
فالأفق مكتئب والنجم محتجب
في ليلة من ليالي الدهر حاملة
جئت الحياة وفي عيني ظلمتها
ولا صدى آدمي عابر جار
وعائق الأرض في عمق وإصرار
والسحب هاطلة تهمني بمدرار
ثوب البسيطة من هم وأكدار
جئت الحياة وخلفي طيف أقداري!

وخيم الصمت فوق الدار منعقدا
كأنما الدار مما حل في خجل
كذا النساء تهاتت في مقاعدها
ما السر؟ ما خطبها هل كنت ميتة؟
ما كان أحوجني يا أم ناظرة
وفي جوانبها في شبه أستار
تود لو تختفي عن كل أنظار
راحت تهامس في ريب وإنكار
لا لم أكن غير بنت تلك أسراري
تظل ضوء غدي في ليالي الساري!

وهل طيف أبي في الدار منفعلًا
وقد توهم أن الأرض قاطبة
حتى إذا ما انحنى فوقي يداغبني
فراح يهذي لمن شب الرماد لظى
وفي جوانحه جمر على نار
في راحتيه وقد زينت بأقمار
رأى الحقيقة في رعب وإحغار
وأيقظ الميت في آيات إنشار

بنت؟ إلهي! وما أرجو سوى ولد يا وصمة في دمي يا ذلة العار!

وهل في إثر ذاك الليل منسرحًا فجر جديد زها من غير إنذار
ورحت في صحراء العمر ضاربة تحنو عليّ بصدر نائر ناري
في معصمي قيود البؤس خالدة والطوق في عنقي أشدو بأشعاري!

■ ■ ثورة على الشعراء

یا معشر الشعراء أثنختم فؤادی بالجراح
ضاق الوجود بظلمکم والأرض ناءت والرياح
اليوم تجتمعون كالغربان تنعق في صياح
تتناقشون وتنهشون بقيتي نهشاً مباح
فلقد وجدتم قصة في الليل تروي للصباح !

لكن هذا الليل والشك المشرب باليقين
والضجة الهوجاء تصحبها أعاصير الظنون
ستقر بعد هبوبها ستمر يعقبها السكون
وسترجعون إلى عقور يوتكم متحيرين
وستصمتون ستندمون أجل أجل وستندمون
لا شيء مني سوف يبقى عندكم غير الحنين !

فلسوف أمضي سوف أوغل سوف أعبر ذكرياتي
ولسوف أتركها لكم عبر السنين الآيات
لتغيروا وتبدلوا حسناتها بالسيئات
وهناك في كهف السكون وفي سراديب الحياة
سأضرم أجنحتي إليّ سأرتوي من نبع ذاتي

هيهات أرجع من جديد للأماني الكاذبات

سأغيب حتى يرتقي في مصر مجتمع شقي
حتى يطهر رجسه في منبع عذب تقني
سأغيب حتى يختفي وجه المنافق والغوي
ولسوف أبحر فوق يَم غائر داج عتي
لأعود يوم أرى المحبة والصفاء بكل شي
وأحس أن الأدمي رعى أخاه الأدمي

ولسوف تلتفتون في الندوات نحو المنبر
تتلهفون وتنصتون بكل قلب مسعر
فلعل^(١) لحنًا باكيًا من بين ثغر نير
ينساب كالمسك المعطر كالشذا كالعنبر
لكن أصدااء ستعلو كالعويل المنذر
وكان هذا الحفل بعدي مثل وادٍ مقفر

وستكشف الأيام يومًا عن غلام أسود
ملاً الغرور دماه منتحلًا صفات محمد
ويقول: إني شاعر سبق الزمان إلى الغد

(١) الديوان الأول للشاعرة .

سجدت علی قدمی الغواني واعتصمت بمعبدی
وأقول : یا هذا الضریر أثرت فی تمردي
ستظل ترقب فی الوری زنجیة لم تولد !

وستكشف الأيام یومًا عن فتی غض نحیل
متلونًا فی الحب كالحرباء مندفعًا ملول
من كل روض كل سرب یشتهي طیرًا أصیل
بالأمس هام بجارة الوادی بلبنان الجمیل
والیوم یلهث ظامئًا والنیل لا یروی الغلیل
وغدًا غدًا سیحب من ؟ جهلی وجهلك لن یطول

وستكشف الأيام عما قد تخفی واستتر
عن ثلثة لا تأتلی تصطاد فی الماء العکر
عن كاهن عملاق ینظم للإله وقد كفر
عن قائد كاللص یختلس الهوی عبر النظر
ولأترك التاریخ یروی كل فن مبتکر
عنی فرغم أنوفكم سأظل خالدة الأثر!

■ لقاء وفراق

«واستدرنا نسير في حلقة الحياة ، وامتدت

خطوات كلينا في اتجاه معاند»

تأثَّها في عوالم مفقودة
طويلاً في بقعة محدودة
وألقى على الوجود رعوده
الموت عافت أطلاله المهدودة
جنبيه دنيا من الحنين مديدة
قلب الروابي السعيدة المجدودة
كانت تغذي غروره ووعوده!

كنت في الكون كالغريب شريداً
كنت طيراً مهاجراً يأنف العيش
كلما مر عاصف في روايبه
سئمت روحه الفتية هذا
فمضى يذرع الفضاء وفي
ليريق الجمال والسحر في
وحقول الأوهام خضر المنى

برية في غاب كثيف ناء
بين مسرى الرياح والأنواء
ونما العود وانتشت أعضائي
سوى أن أعيش كالأحياء
من ظلال كثيفة الأصداء
في اشتباك مسلح وعراء
الريح وهمس الأشباح في الظلماء
وقبور الفراغ كانت سمائي!

وأما كنت في الورى زهرة
غرسنتي الأقدار ثم مساء
وتفتحت بغتة رغم ليلى
فأردت الحياة كالغير لم أبغ
غير أني رأيت حولي كونا
الغصون الجرداء تمتد غضبي
وأنين الأعشاب في قبضة
والظلام المغلف الجهم أرضي

والتقینا! أحسست رفة روح
قال: نبع من الحنان مشع
وخیال من الحقیقة یبدو
وهزار علی غصونك یشدو
أنا كأس الرجاء ساقی الأمانی
وأنا الفجر والنجوم علی جفینك
فدعی الغاب للوحوش وألقى
وتعالی فی روضة من ربیع

قلت: من أنت؟ قال: توأم ذاتك
جاء یلقى الضیا علی ظلماتك
وسط دنیا الغموض من كائناتك
ذوبته الأشواق فی أغنیاتك
أنا طیف الأمان فی عاصفاتك
ظل الحیاة فوق رفاتك
باسمات الرؤی علی ذكریاتك
یسكب الدفء فی خریف حیاتك!

غیر أنى أحسست نورا ونارا
وتراءیت زورقا تائهًا وسط
وكذاك الزهور فی الغاب تنمو
عبثًا تؤثر الحیاة بكون
ألفت أرضها التي أنبتتها
رب فجر مشعشع نذفت
ربما حن ثغره لجبین
وافترقنا لم أدر کیف افترقنا

وخطى اللیل تستحث النهارا
محیط یضمینى جبارا
قلقات لا یأتمن الجوارا
غیر غاباتها ولا استقرارا
وسقتها الشقاء والأخطارا
عیناه دمعا وحرقة وأوارا
اللیل واشتاق للذجى فتوارى
هكذا نحن فی الوجود حیارى

■ ■ نعيم الشقاء

ولم ييغ بعد عنك قلب ولا نظر
وحبًا كحبي فوق ما يحمل البشر!
من النجمة العليا والشمس والقمر
وحطم أغلال الطبيعة والدهر
تنازعه الأنواء والريح والمطر
ويغدو ثقيلًا كالحديد والصخر
كثورة بركان وأنات محتضر
هو النعمة الكبرى فما أغرب القدر!

عزائي أي لم أخنك ولم أزر
ولكن حبًا مثل حبك شاعري
وفوق عقول الناس أبعد عنهم
تحدى تقاليد الوجود وعرفه
فليس غريبًا أن يصير مهددًا
فيبدو شفيقًا كالخيال من الرؤى
ويزأر مجنونًا وينساب خافتًا
ونشقى به ... نشقى ورغم شقائنا

■ ■ أمي حواء

كان لنا جد له جارية سوداء
حفظت في عوالمي تاريخها المجيد
فلم يكن لجدتي من قبلها أولاد
وذاذ يوم قال عراف لها عتيق
لكن لن يعيش أو يرجى له بقاء
وحين مر بائع الرقيق بالجواري
مرت عليها جدتي بعينها الرصينة
وصاح جدي مالها وبطنها الكبير؟
فإننا في السفر الطويل مرغمون
قال له جدي : وكم تريد من ثمن؟
فأمصلت من معصمها جدتي
ووضعت حواء طفلاً مات في شهور

ومات جدي جدتي وطافت الغيوم
فحزَّ في قلب التي عاشت على سناها
أحسستها تحبني بروحها المنكوبة
لأنهم يدغدغون ردفها الجبار

ومرت الأعوام والحياة لا تدوم
واحتلت الديار أمي غيرت رؤاها
وحين جئتُ في الدنيا ولم أكن
فأمنا حواء كانت تكره الكبار

وعشت في أحضانها وديعة سعيدة
وكان ذاك حينما سمعتها تقول
لكنني أغضبتها في مرة وحيدة
فوق الفراش في الدجى في حلمها

وفي الصباح قلت ما سمعته لأمي
إذ كان شعبان الذي قد رددت ذكراه
وظل بعد ذا أبي يغیظها يصيح
مردداً إذا رآها حلمها المفضوح
فإذا بها تضحك جذلي والدموع تهمی
زوجاً لها في عهد جدي غاب في ثراه

وكنت في طفولتي لا أعرف القبور
وتشتري خوصاً وتمرًا تسبق الفقى
وترتمي على جدار هيكل رخامي
وهي تصيح في انطلاق دمعها السیال
وفي الرجوع تشتري الثمار لي الهنية
فإذ بها تحملني تجرني تسیر
بين ممر في الجبال السود ضيق
وتنحني على بناء آخر أمامي
قم سيدي ! سيدي ! قوما انظرا أحوالي
كي لا أقول أين كنا ساعة الضهرية

وحين باع والدي دارنا المهدومة
أن نهجر المأوى الذي يفيض
فأفردوا أصحابها ركنًا لها في الدار
وظلت الجارية الوفية المسكينة
وكلما اشتاقت إلينا بغتة تزور
لم تقبل الجارية الوفية الكريمة
وولولت وصممت تقضي به الحياة
بين الرياح والدجى والقيظ والأمطار
تذكر جدي جدي بلهفة حزينة
حتى اختفت في عالم النسيان والقبور

■ ■ ■ لست لي

«وقال الوتر : سأظل أهنج بالحب

وأترنم بالجمال حتى أتقطع»

ابتعد عني ! أكاد اليوم أهواك حبيبي !
آه إن النار في قلبي على وشك الشبوب
ها هو التخدير في جسمي وفي حسي يشي بي
إنه في علامات هوى غرض رطيب
هل كالفجر ضحوكا في دياجير قطوبي
إنني أخشى على نفسي مني ، من لهيبي
ابتعد عني ! فلن تغدو يوماً من نصيبي !

لا تسليني كلما «الهاتف» يسري كيف حالي
وإذا صرنا وحيدين فلا تطر جمالي
إنها المرأة يغريها التمني بالمحال
لا تدعني أنشد الشعر وأستوحى خيالي
لست أَرْضَى اللهو بالنار ولا أبغى ضلالي
إنني أخشى على نفسي مني من لهيبي
ابتعد عني ! فلن تغدو يوماً من نصيبي !

كم تمنيتك في أمسي ولكن في الخفاء
كنت لا أجرؤ بالفكر على ذكر لقاء
كان يكفيني حديث عابر كالغرباء
فإذا ما كدت أنسى وكذا اليأس دواء
جئت تزجيني كؤوساً من حنان ورجاء
إنني أخشى على نفسي مني ، من لهيبي
ابتعد عني ، فلن تغدو يوماً من نصيبي

■ ■ درس فاشلة

أبغضت حبك غیر أني لم أزل
إذ لیس هجرک ما یبلبل خاطري
ولم اتأیت علی سکون غامض
سؤل تمر ولا أراني أهتدي
إذ أنت أول من سعیت إلى اللقاء
فلو أنني أسرفت في بذل الهوی
ولو أنني أعرضت عنک فربما
لکنني أفرغت فيک تجاربي
وصنعتُ ما فتن الشباب وإنها
وظننت أنك سوف ترعى مثلهم
وظننت أنك سوف تقرأ حبهم
فاليوم أضحي الشعر عني موضحة
فعزفت عن إغراء قلبك كي أرى
ووهبت نفسي للطبيعة لم أشأ
وتركتهن أفاعيلا لا تأتي
وغرقت في صمتي الوديع وربما

في غمرة الذکری أعیش طويلا
بل كيف خنت ولم هجرت ملولا؟
لم تبد عذراً قد أرى مقبولاً
لجوابها أو أستشف حلولا
وأنا التي مالت إليك قليلاً
لظننت أنك عفته مبذولا
خلت النوى قطعت هوی موصولا
طبقت علما راسخاً وأصيلا
عادات نفسي لم تكن تمثيلا
حبي وإن لم ترو منه غليلاً
شعراً وتبدع في الهوی تخيلا
ليروج ما قد ينظمون هزيلا
في الحب قلبك وحده مسؤولا
أن أستبيح لنفسي التجميلا
ترضى غرورك تنشد التجميلا
كان السكون لما أحس رسولا

وتجاهلت أذني نداءك تارة
حتى إذا أقبلت مفتون الهوى
فشلت إذن في الحب كل تجاربي
أهناك وقت يا فؤادي بعد ما
أهناك وقت كي نعيد دراسة
وثناءك الموفور والتبجيلا
أعرضت عني واعتزمت رحيلًا!
من أين لي أن أبدأ التبديلا
هد الزمان كياننا المهزولا
الحب العويص ونحفظ المجهولا؟

■ ■ دعاء الفجر

يا خالق الكون والأحياء دبرني
يا رب عشت على أرضي معذبة
كأنني كنت لولاهم منعمة
وهبتني المال لم أشعر بقيمته
وجئت بالحب لم أسعد بلذته
وقلت عيشي مع الأحياء واختلطي
وحين صاحبهم يا رب مخلصه
إما ألبى ندراء العافي دمهم
كأنما الشعر لم يخلق لشاعرة
يا رب لي رغبة في الفجر أعلنها
لا تشق بالنار والظلماء أجمعها
إني بحكمك يا مولاي راضية

فليس لي في الورى إلا من عون
بالمال ، بالحب ، بالأصحاب بالفن
ولست بالولد في هم وفي حزن
وكان مصدر شكي في الورى ظني
إذ كان كالريح كالإعصار في غصني
فالناس للناس كالأجفان للعين
عانيت من غدرهم من لدغة اللسن
أو يسفكون دمي في خفية الجبن
كان لوكريث^(١) قد عادت إلى الكون
ولي عليك دلال وحده يغني
أمّا سواي ولا ابنا سوى ابني
لكن غيري لا يُشقيه بل يفني

(١) لوكريث بوجبا .

■ ■ رب الأنانية

ألا أيها الحب كم شوهوك بهذي الحلى بهذي العطور
 بتلك المساحيق في وجنتيك بهذا الرداء الموشى بنور
 لماذا يريدونك ابن المدينة أنت البدائي وابن الكهوف؟
 لماذا سقوك رحيق الخلود وأنت ابن آدم تكوي الرغيف؟
 ففيك التوغل بين القلوب وفيك انقضاض وفيك هجوم
 وفيك انخزال وفيك اشتعال وفيك الصفاء وفيك الغيوم
 وإنك تولد مثل الجنين وتكبر حتى تشيخ ملولا
 ومثل المريض يصيبك داء ورغم الدواء تظل عليلا
 ومثل العقول تصاب بمس فإذ بك في لحظة تنتحر
 وتعروك سكتة قلب فتهوي ويلهو بطيفك طيف القدر
 وأنت الظمى وأنت الأكلول حديث ثراء تموت بتخمة
 وأنت الحقير تلم الفتات وتمضغ وسط القمامة لقمة
 لماذا سقوك رحيق السماء وقد أشرقتك دماء الجنون
 وخلعوا عليك صفات الجمال وأنت الجميل ولكن ضنين
 تمرد ! فهم سلبوك الحقوق وغشوك بالحلل المرهقة
 فطالب بحقك واهتف بأنك رب الأنانية المطلقة!

فحب الأمومة حب «امتلاك» لشيء صنعناه نحن لنا
وحب الصداقة حب «امتلاك» لما نتسلى به في الدنيا
ونحن نخوض غمار الحروب «لنملك» عزة أوطاننا
ولسنا لوجه الإله نصلي ولكن «لنضمن» جناتنا
ونحن نحب ونفني غرامًا «لنحظى» أخيرًا بمعشوقنا
وتضحية الحب حب امتلاك لراحة هذا الضمير بنا
فإن خيروك أترضى حبيبك يحيا بحب غريب سواك
يحطم فيه قيود الوفاء ويمضي سعيدًا يعاف لقاك
وإلا يموت فماذا تجيب؟ أترضى له العيش بعد الخيانة؟
ألست تفضل موت الحبيب وتخشى احتراقًا وتأبى إهانة؟
تمرد! فهم سلبوك الحقوق وغشوك بالحلل المرهقة
فجاهر بشخصك واهتف بأنك رب الأنانية المطلقة!

■ ■ هواجس

إني أريد أن أموت كي أرى وجه الفناء !
لكي أغير الوجوه والدروب والضياء
لكي أضم في يدي شيئاً سوى هذا الهواء
يا كم أريدكم أريد أي قلب لي يشاء !

أريد أن أحس أن أعيش أن أصير ... أن ...
أريد يوماً واحداً يحوي الوجود والزمن
أن أرتدي ما لا يمس أو يرى أو يحتضن
وأن أكون لا « كما أو مثلما » بل لم يكن !

أريد أن أضحك حتى إذ بقلبي ينفجر
أريد أن أبكي فتستغني الربى عن المطر
أن أسأل الإله ما جدوى السماء للنظر
وربنا المهزوم في ضلوعنا ... نحن البشر !

■ ■ ■ **أین هی ؟**

«أنت تعيش مع نفسك منذ ولدت حتى

الآن فهل تعرف نفسك؟»

بحثت عنها عندما يغفو ويحلم الندم
وحین يقذف الدجى دخان حرقاة الألم
وعندما تجأر أفواه القبور والعدم

فتشت في الوديان في المغاور المجهولة
وجلستُ في الوجود في العوالم المأهولة
وطرت في مركبة بنورها محمولة

سبحتُ في بحيرة بغير رأس أو ذنب
مياها من فضة وأرضها من الذهب
وفوق أفقها على صدر الدنى وشم اللهب

بحثت عند ربتي من أشرفت في ظلمتي
من أغلقت على بابي ألف ألف مرة
وبعثت كنوزها على بساط فكري

بحثت في الأماكن القريبة المعهودة
وقلت هم أعلي وهم قد أسكنوا «نفسى» الشريدة
فإذا بهم لا يعرفون أنها موجودة!

■ ■ الطمانينة

يا قلب كم فيك من تصاوير
جمعت فيك الأضداد قاطبة
واحيرتي بالشعوري أونة
وفيك من ظلمة ومن نور
وعشت في دومة الأعاصير
وشقوتي بازدحام تفكيري !

فكم تعذبت في هواي وكم
وكم تلمست في الظلام سدى
وكم تمنيت براء عاطفتي
صوري الوهم من رؤى مرة
نوم خلي الإحساس والفكرة
وعفت طعم الشكوك والغيرة

وحين نلتُ الشفاء لم أنل
لا غيرة تكويني وتقتلني
وجدتني بالهناء ضائعة
غير الهدوء المमित والملل
لا نفضة من مشاعر الوجمل
أبحث عما يطيح بالأمل !

يا لطمأنيتي عليك وكم
أهكذا حينما وضعت يدي
ترى أيحيا الهوى على ريب
أخذت المستعر في قلبي
عليك يا «حبي» يختفي حبي
وهل يموت الهوى على قرب ؟

■ اللحن الثالث

يا رب إني سرت في أمسي على درب عسير
وتلفتت عيناى بين الناس في قلق مثير
وعلى الطريق تسمرت قدماى من تعب المسير
فلقد ضللت ، ضللت ، واختلطت على عقلي الأمور !

حتى إذا وارىت عيني عن رؤاي الداجية
ولمحت طيفك قائمًا أسرع نحوك شاكية
وكشفت عن سر الدموع وعن جراحي الدامية
وعرضت مأساتي عليك سردتها لك وافية !

ناديت : ها أنا يا إلهي والفؤاد ومالدي
كلي موجهة إليك أعوذ من ياسي الشقي
من ضعف إيماني ، ومن شكى ، ومن قلقي العتي
فلتغفرن ضلالتى يا رب لا تقسو علي !

ناديت : ها أنا أستعين بعطفك الحاني المديد

فلأقضین بقیة الأيام فی أمل سعید
کی أسترد قریرة ثقتی بنفسی بالوجود
بک أنت خالق کل شیء من تمیت ومن تعید!

لکن رفضت شکایتی أعرضت عنی لم تسل
لم تقبل الندم المریر ولم تنرقبس الأمل
فبعثت فی نفسی التمرد والسامة والملل
وترکتني وحدي وحقدي فی دمائی یشتعل!

والیوم ماذا تبغی یارب ماذا تنتظر؟
من کائن أفرغت فی أعماقه لیلاً عکر؟
ماذا یهمک إذ أنا أهوی وإذ أنا أنحدر؟
أولست أنت أردت ، أنت أردت لی هذا القدر؟

■ ■ معجزات القرآن

«من وحي ابني المجنون»

هي ليلة مرت عليّ كأنها عام وعام
الكون فيها كان أخلد للسكون وللظلام
والبرد ... البرد المفزع كان يمتض العظام
لكنما ننام الجميع ولم أزل أنا والغلام
يقظين لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام
هو في الجنون وفي رؤاه بغيهب المرض العقام
يرتد من ركن لركن ثم يهذي بالكلام
ويصيح أو يبكي ويضحك أو يعود إلى القيام
وبعينه ضوء مخيف مستفز في اضطرار
وأنا كمنيت في الدجى يرنو لميت في القتام
أصبو إلى الفرش الدفيء وأشتهي طعم المنام
وأكافح الرعب المميت وجهد أعبائي الجسم !

وطعت سيول الثورة الغضبي على قلبي ونفسي
فتنكرت روعي لروحي ، أنكرت ديني وجنسي
ومضيت أصرخ في أسى وكان بي أطياف مس

وأنا ألوح باليدين وبالسواعد فوق رأسي
وأصيح في وجه السماء وقد تجمد كل حسي
يا أنت ، يا ... أتركني مغلفة بآسي
أوهكذا حملتني ما فوق مقادوري وبأسي
أتظل تملأ من جديد كلما أفرغت كأسني
لا لست موجودًا وإلا كنت ترحمني وبؤسي
لا لست موجودًا ولم توجد ولم توجد بأمس !

يا كم أحس مرارة في الذكريات ... ويا لتعسي !

فإذا بصوت من بعيد هاتف يدنو إليا
من عمق عمق اللانهاية جاءني يسري نقيًا
صوت مع الليل البهيم أحسه في جانبيًا
ينساب كالينبوع في كلي ويجرفني عتيًا
ويهيب بي هيا اقرئي شيئًا من القرآن هيا
فجرت فوق فراشة ولدي وأرقدت الشقيا
من أين جاءني القوى بل كيف لم يرفض عصيا ؟
ومددت فوق جبينه من غير وعي راحتيًا
ومضيت أقرأ آية الكرسي أتلوها مليًا ؟

ومضت على هنيهة كالدهر لم أتكلم
 مأخوذة ما زلت أصغي للرنين على فمي
 أتربص الحركات من ولدي بحس مبهم
 فإذا به يرنو إليّ بنظرة المستسلم
 ويدها تلفتان في لهف الغريق بمعصمي
 وكأن معركة تدور بعقله المنفصم
 وكأن حبالاً شد من طرفي ضياء مظلم
 فمدت فوق سريره في خفة المتكتم
 جسدي وقلت لأنتظر نور اليقين الملهم
 وأنا كبحر عربدت كل المشاعر في دمي
 الشك والهزة المريـر يحطمان توهمي
 لكن شيئاً في دمي ما كنهه؟ لم أعلم!

وظفقت أنتظر الذي سيكون أو قد لا يكون
 أتري سيغفو هادئاً أم هل يعود إلى الجنون؟
 ورأيتـه متقلباً حيناً يساراً أو يمين
 وكأن قيـداً شـده في فرشـه ، قيـداً متين

فهمست : أن نومته یارب تقتلع الظنون
ولسوف تغمر قلبي الضلیل بالحق المبین
ستكون آخر رغبة لی أستردها الیقین
فإذا به فی الحال یغلق عینه بین السكون
وینام کالحمل الودیع ، ینام فی رفق ولین

وظللت وحدي فی الدجی أبکی وأضحک کالأفین
أحسست أن الله فی قلبي ، یدلنی حنون
فخجلت من ضعفي ومن قلقي ومن سبي المهین
وهتفت : عفواً أنت أدري بالعباد ومن تكون
عفواً فأنت خلقتنا یارب من ماء وطین !
هی لیلة فی العمر لن تنسی علی مر السنین

■ ■ رامي

إيه رامي ! يا شاعر الروح عن
كل لحن إشراقة من صميم الذات
هو منك الشباب والحب والحسن
هو صوت السماء هوم في الأرض
عن واملأ فراغنا آمالا
يقظني تحظم الأغلالا
تحانوا عبادة وابتهاالا
وجاب الزمان والأجيالا

هاته ! يبعث الرماد لهيبا
كم نشيد يشق غيم الليالي
تتساقى النفوس عطر صداه
أنت لحن مرقرق يتندى
فالحياة الحياة في التغريد
في فيافي العراء والتشريد
سابحات في غمرة التريد
وقصيد في لوحة التمديد !

■ ■ الرحیل

«إلى صديقة»

عندما أرحل عن هذا الوجود
واملؤوا قبري ضجيجاً وروعود
إنني اعتدت على هذا الجنون
كل ما حولي أنين في أنين
اتركوا الريح وأوراق شتائي
إن تغب عني وعن أفق سمائي
وانفضوا اللففة عنكم والهوان
ربما أصبحوا إذا ذقت الحنان
لا تقولوا إنها كانت ... وكانت
ها أنا مت وها روحي استكانت
إنما النسيان للأموات أفضل
ربما يزلف عقل في التخيل
ربما ذكراي تذوي بالإعادة
مثلما يسرف قسُّ في العبادة
لا تظنوا القبر بالأدمع يسقى
لا ، ولا الحزن على الأموات يبقى

فتعالوا
لا تبالوا
عشت فيه
أرتضيه
تتصبب
أين تذهب
لفراقني
يارفاقي
كالرواية
في النهاية
وأمان
ولسان
وتمل
فيضل
ويضوع
في الضلوع

إن من يهتم يُشقى باهتمامه
وكذا حب عنيف في اضطرامه
لا تبالوا لم أخف ظلمة قبري
الشذا والشمس والبحر بشعري
بل تعالوا واجلسوا حولي سريعًا
عن دناكم عن مآسيكم جميعًا
سوف أصغي إنها مهنة عمري
إنها الشيء الذي يحيا بقبري

من يود
يسـتـرد
وسـكـوني
غمـروني!
واذكـروالي
واشـتـكـوالي
وحيـاتي
في ممـاتي

■ لقاء في الطريق

أي المشاعر في الدماء تدفقت
وأبى السلام أبيت من قبل أن
وكذا تشابه في الخصام شعورنا
أعطيته ظهري وكم ملك الذي
ووقفت صامته أحرك في يدي
وخشيت أن أرنو إليه وطالما
ورجفت حتى لو تلمس أصبعي
كم أمنيات عربدت في خاطري
فلو استطعت على الخدود صفعته
ولو استطعت سخرت منه شتمته
يا أنت لا تغتر لست ملومة

حين التقينا بعد هجر مؤلم
يدنو يمر على غير مسلم
كالأمس في وصل وحب مفعم
في الصدر من قلب توهج بالدم
مفتاح بيتي أو أساور معصمي
أغرقت عيني في سناء المظلم
لهويت فوق الأرض كالمحتطم
لو أنني حققتها لم أسلم
ثم انشيت بقبلتين على الفم
وركعت فوق خطاه كالمتندم
أهواك حب الأم لابن مجرم!

■ ■ النغم السجين

«شفتا شاعر بدون كلمات

ينشد باكياً الآية الكبرى»

إذا ما سلوت هواي الحبيب

وصارت رؤاي عراءً جديب

وحزن غروب

وكانت مع الحب مخضوضره

وإن صار ليلك لي مقبرة

فليس غريب!

فإني ولكنني لن أقول

فعندي إليك حديث طويل

قديم وجديد

سيبقى على شفتي الأدمية

فهيهات للغنة البشرية

ولا للقصيد...!

■ ■ حلم

أحلم أحياناً بشيء غامض في ليليا
أراه غير أنني أنساه عند صباحيا
لكن أظل بعده جذلي طوال يومياً!

ما هو؟ ما كنه رؤاه؟ ما مدى أوقاته؟
أحسه يخطفني في كونه في ذاته
حتى إذا ما غاب عني عشت في لذاته!

فيه دنى بعيدة التصوير عن هذي الحياة
وفيه وجه كائن هيهات لي وصف رؤاه
وفيه حب لم أحس مثله! ولهفتاه

■ ليلة العمر

ليلة لفت دجاها حولنا
قد غدونا في حنايا ظلها
لم نكن غير جناحي طائر
لم نكن يوماً غريبين هنا
مثلما يلتف ضوء مؤتلق
طفلة حمقاء أو طفلاً نزق
في سماء الحب يعلو ينطلق
فوق هذي الأرض لا لم نفترق

كم ضحكنا فحسبنا قلبنا
وبكيننا بدموع مرة
وتناجيننا خيالاً ورؤى
وبعينيك بعيني قصة
هذه الخفق وأعياء الوثوب
طهرت زلات ماضينا الكئيب
وتكاشفنا ظلالاً وغيوب
وبجينينا أوار ولهيب

آه من ليلة عمري إنها
لست أنسى لحظة مرت بنا
لم أغلقنا علينا بابنا
حارس الجنة لا تقلق علينا
عوضتني كل أيام شقائي
ضمنا الصمت وأحلام المساء
وهتفنا في شموخ الكبرياء
إنما نحن هنا أهل السماء!

■ ■ ثورة قلب

علام الشک یا قلبي علام الخوف والوجل؟
وهذي الزفرة الحری وهذا الضيق والملل
وتلك القصة الكبرى وأسطورة آلامك
ألا تطوی؟ ألا تنسى وتمحو طيف أو هامك؟
تود تحمل الخالق عبء وجودك الظالم
كأن الله لم یخلق سواك بكونه القائم
ألا أغلق عليك الباب والشباك والدارا
أطل! فبعداك الأفاق لن تحجب أنوارا
تمرد كيفما تقوی وثر متخبط الياس
وته في كونك المسحور مبتعدًا عن الناس
ولكنك لن توقف دورة هذه الدنيا
ولن تبعث طيف الرعب في أحشائها العليا
ولكنك لن تبتركف الغي في البشر
ولن يبقى لهذا العاصف المجنون من أر
ولن توقظ من حولك غير عيون كلبتك
وقد نامت على قدميك في هذيان ثورتك

ستبقى في صراع الفكر تنعى همك الحائر
وتخشى الغد والمجهول واللاشيء والحاضر
ستبقى أنت في حربك تطوى الليل والوقتا
وخلفك عمرك الضائع يهوي ساكتاً ميتاً!

■ ■ أمی

لفظة ضاعت على ثغري ومن سمعي صداها!
وخيالات نعیم أين من عيني رؤاها
كيف أنسى طيفها الحلو على مر السنين؟
كيف أنسى؟ وهي أفراح حياتي وشجونني؟

أه كم راقبت أمي وهي في عهد الكهولة
في فراش الساء تستوحي خيالات الطفولة
كن وكم أصغيت في ليلي لماضيها العجيب
وهو ينساب بعيني كرؤى حلم رهيب!
كم روته وهي لا تدرك من فرط الحنين
أنها قد سردته كل يوم كل حين

طفلة كنت بقصري في بلادي أتمشى في الحديقة ذات ليل
حين جاءوا خطفوني فوق ظهر الخيل ولوا هارين!
وهنا في مصر حطوا آمنين فتبتنتني بتحنان أميره

ثم تستغرق في الشكوى من الساء الوييل

مرض «السكر» والضغط ومن ليل طويل
وأنا كي أبعد الحاضر عنها وأساه
آه حكى قصة السلطان من كان تراه؟
فإذاها بغتة تشرق كالفجر المذاب
وهي تستوحي خيالات الصبا عهد الشباب!

عادة كنت نظيره حين صاحبت الأميرة في زيارة
وإلى القصر اتجهنا قصر عابدين الكبير وهناك
افترقنا في فناء القصر تهنينا

ثم تستطرد أمي في ابتسامات وزهو
كيف كانت تخلع اليشمك في فسحة بهو
كيف كانت تمشط الشعر على مرآة زينة
وهي تستعرض في شوق رؤى القصر فتونه
حين مر الشاب ذو الشارب مفتول الخصل
وبعينييه برييق ونداء مشتعل

ربة الحسن العجيب! من تكونين؟ أجيبي!
يا ابنة الشركس لا تخشى سؤالي ستكونين عروسي على مر الليالي

ثم تحکي وهي تستلقي على الفرش بضعف
کیف راحت تصعد السلم في رعب وخوف
ذلك السلم ذا الفرش الوثير والمرايات الصقيلة
والأزاهير الجميلة! وهو يجري وهو يجري ونادي تعالی
غیرر أني غببت في لمحظة عین!
من ترى یا أم كان الشاب؟ في لحظة صمت
كان یا بتي ولي العهد یا خيبة بختي!
لم تغفوا وأنا وحدي مع الليل بفكري
كدت أغدو ابنة السلطان ما أغرب دهري!
غیرر أني وسط أعماق شرودي أتذكر
وأرى عین أبینا من وراء الغیب تنظر

آه أمي

ها هو الموكب يمضي في صراع ونضال
غیرر أني لست أنساک على مسر الليالي
أنت لي عهد تولى لم أكن أحمل فخره
فإذا ما صرت أما رحت أستوفيه قدره!

■ ■ الملل

عندما يحرق العيون عراء القلب والكون والفضاء المديد
 حيث لا شيء غير شارة قايل تبدت على جبين الوجود
 بقعة من دماء خافق شمس يتنزي بمغرب مشهود
 وغيوم وراءها ساخرات يتهاسن ودعي لا تعودى!
 عندما يهدأ الصراع وتنهى قوى العقل والكيان الزهيد
 وتضيق الأفاق في العين حتى تتراءى على مدى محدود
 وتمر الأيام طافحة بالملل المرء بالأسى بالجمود
 في ظلال الخمول فوق مهاد اليأس في شبه ميتة وهمود
 ما تراه بوسعه يا إلهي؟ ما الذي في مقدور قلب وحيد؟
 أو تلقيه هكذا كلقيط عاريًا من حنانك المنشود
 بعيون محدقات حيارى في الظلام المغلف الممدود
 جائعًا يرضع الشقاء من الأرض ويمتص ثدي أم حقوق
 صارخًا والقلوب من حوله كالصخر تروي أديمها بالبحود
 أترى الفطرة الشحيحة تمتد فتطفي سعير هذي البيد؟
 أو تجتث غاية الهم فأس صدئت في أكف طفل وليد؟
 أيهذا الإله أنت ملاذي كن عطوفًا على قلوب العبيد!

■ ■ ثورة على شمس الغروب

«من اليسير أن تتحول الأكذوبة

إلى حقيقة إذا وجدت المدافعين عنها»

الشمس عند الغروب المخضب المقهور
تلك التي كم أثارت مدامعي وشعوري
اليوم تبدو كوهم لقلبي المغرور !

أما ترى كل يوم تجيد دور الشهيدة
تظننا قد نسينا أفعالها المشهودة
تلك المسيطرة المستتدة الممدودة

أما تراها الوليد الصراخ كالمسوع
أبا الخطيئة وابن الخنثى الخليع الضجيع

أما ترى كالعواني بناها المشبوبة
ذات الحلى السيوف المشرعات الرهيبة
فم الجحيم المعمي ، أعماقه المقلوبة

الشمس عند الغروب المخضب المسفوك

ألم تكن في صباها تسبي عيون الملوك
حتى تفانت غراماً في عبدها الصعلوك

أليس في كل يوم تدعو الرثاء إليها
تلك البغي التي كم عرت لنا فخذيتها
وألهبتنا انتشاء ومرّغت شفيتها

يا شمس! يا شمس كفي عن دورك المفضوح
كفي عن الكذب حيناً عن الرياء القبيح
لا تلعبني بشعوري لا تستزيدي جروحي

■ ■ لأجل من ؟

ألأجل عيني أم لأجل عيونها
وعلام تمكث في المسرة ساعة
ألأجل أن أنيبك عن أخبارها
هلت عليك فرمت أول موعد
أغرب ! فما هي تشتهيك ولا أنا
ما زلت طفلاً في التجارب إن تكن
طيران في جشع رشقتها معاً
بالله من يدريك كم من ليلة
وتظل تحكي عنك في سخرية
وأقول ننذره ليدخر الهوى
هي قصة ندري مصير ختامها

تهفو إليّ تود أن تلقاني؟
متحدثاً في لهفة وحنان
أم هل شغفت بصوتي الرنان
ونأت فرمت لي اللقاء الثاني
إذ نحن في إحساسنا صنوان
رجلاً بكل ثقافة الإنسان
فتغييا وظفرت بالخسران
يجري الحديث وأنت في الأذهان
ونعيد ما مثلت في إتقان
وتقول لي لا بل دعيه يعاني
ستظل حائرة بلا عنوان !

■ الهزيمة

سئم الغاب والسكون الدجيا
 فذرعت الفضاء نسراً قوياً
 باعثاً في دجاه ضوءاً سنيا
 حثت الخطى وناديت : هيا
 وشواظ الحنين تكويه كيّاً
 أن أراعي كياني البشرياً
 مارداً مد ظله الوحشياً
 ضاحكاً تملأ الفضاء دويماً
 وتمحو شعاعه النذهبياً
 وألقي شقائياً الأرضياً
 وبهذا الفراغ ملء يدياً
 وتشدد القيود في قديمياً
 بسجن يضمني أبدياً
 من كياني مقدرًا مرثياً
 من رؤى الأمس غائباً منسياً
 كل ما في الوجود منك إلياً
 وحطمت الغرور في جنيباً !

كلما ثرت وانتفضت كليث
 وتهربت من ضالكة نفسي
 كلما طاف في وجودي خيال
 وعلى الدرب في طريق أماني
 ولهات الهوى يمزق صدري
 كلما رمت أن أحس بنفسي
 جئتني ! جئتني ! مررت ببالي
 ساخرًا من جهلي وضلة وهمي
 تحمل الضيق والفتور إلى قلبي
 وإذا بي أفيق من نشوة الحلم
 بخمول الأفعى بذل اليتامى
 آه من قوة تسخر روعي
 أنت خلدتني بماض من الذكرى
 لا الليالي ترى انتزاعك مني
 لا ! ولا الفكر يرتضيك خيالاً
 عبثاً ! فاسترح ملأت وجودي
 عبثاً ! فاسترح هزمت نضالي

■ ■ نعمة الجاهل

«من حسن حظ الناس أن اللسان يستطيع
أن ينطق بغير ما ينطق به القلب ، وإلا انقلبت
الحياة إلى جحيم لا يطاق»

لماذا خصني الله بهذا النقص في عقلي
بهذي الطيبة البلهاء هذا الطيب والجهل؟
فعثتُ كريشةً بين مهب الخبث والكذب
وصدقت الألى قالوا بأن الفجر في الغرب
وقالوا إنهم وصلوا من المريخ في الحال
وأني عندهم أغلى من الأولاد والمال
وعادوا بي من البحر كما ذهبوا وبي ظمئي
ورغم الدرس لم أعصم من الأهواء والخطأ
ورحت أحل للناس مشاكلهم وبي عقد
وأبعدهم عن الأخطار لكن لست أبتعد
وكنت إذا أردت الشيء أسرع ولم أحجم
ولا أذكر أني قد تمنيت ولم أقدم
لذاك هبطت كالطير لأصعد قمة الهوة
ورحت على حبال السرك أجري جد مزهوة
وكان الله لي عوناً على الأقدار والبشر

وكان هو الذي يأتي وينقذني من الخطر
فكما كانت يدي يومًا لتدفعني لإنتقادي
ولا من وحي إحساسي ولا من فكري الشاذ
ولكن رغم إخفاقي سعدت بنعمة الجهل
لذلك خصني الله بهذا النقص في عقلي

■ ■ سهرة في الشرفة

جلست بشرفتي العالية
ويغمرنى في ظلام المساء
وكان بعقلي شتى الأمور
فقلت لأنفض هموم الخيال
أمامي الطبيعة هيمنة
لأنعم قليلاً بهذا الجمال
تurf بي النسمة الحانية
حنين أحاسيسه العاتية
وألف شعور بأعماقيه
لأهرب من الفكر من ذاته
لأغرق بأحضانها راضية
فما من عيون هنا صاحبة

وأطلقت عيني نحو السماء
ورحت أراعي ضياء الهلال
فكان صغيراً كطفل ينام
وإذ هو حكة ظفر الإله
وإذ هو هالة ثدي تعرى
وبحرة ماس على رقعة
وإذ هو وسط الفضاموزة
وظفت بأجوائها الزاهية
وأرقب أطواره النامية
تظلمه كلة داجية
تمزق ستر الدجى الغاشية
لعذراء في فرشها غافية
من الأفق شطآنها قانية
تدلت وقد نضجت هانية!

وأطرقت رأسي نحو الطريق
وفي كل ركن إلى زاوية

من النور والظلمة الساجية
تضمهما الصبوة الحانية؟
وأكبر أرواحنا السامية
إلى اللانهاية في ثانية

وقد حُضِن الأرض خيط دقيق
فقلت أحتى الضياء والظلام
وأحسست أن الوجود كبير
وأنى ذرة حُب تطير

هنالك في الوجهة الثانية
الحقيقة تبدو هنا جارية
وعدت لهذي الدنى الفانية
الرصيف بأسماله البالية
الشقي يحس الحياة يرى ماهية
القرفصاء وسيقانه عارية
وفي خطوها عشرة الزانية
حنانك هذي الرؤية العانية

وأقلق حلمي صدى حركات
فحدقت تحتني إذا بي أحس
تركت الخلود الذي فوق رأسي
فهذا غلام تمدد فوق
ينام وهل مثل هذا
وذلك كهل وقد جلس
وتلك فتاة لعبوب تسير
فيا مصر! يا كعبة القاصدين

■ ■ نيلنا الخالد

يا نيل ما أبهى رؤاك بناظري
بك هينم الماضي البعيد بخاطري
تمضي الدهور وأنت أنت مخلد
بالله هل أحسست راحة كائن
خذني بعيدًا إن أطول رحلة
قلبي على كفيك يسبح في المنى
يا نيل هل بين الأحبة عائق
وهل استطاعت أن تكاتمك الصدى
إني لأعجب كيف يحيا في الورى
كيف السبيل إلى ارتواء نفوسهم
هل ذلك القمر المتيّم في العلا
أيميل في أحضان غيرك راقصًا
يا دفقة الأشواق يا عطر المنى
يا نيل هل خلدت مصرك أم ترى

يا سائرًا فوق الزمان السائر
ومضى يشد غدي ويربط حاضري
ترنو إلى الدنيا بنظرة ساخر
لمستك مثلي في حنان زاخر
هي أجمل الرحلات عند مسافر
روحي تهيم على جناحي طائر
لم ترعه هل من شريد ساهر
خلجات شاعرة وأناة شاعر
قوم بدونك قرب نهر آخر
بالطهر من نبع شفيف طاهر
يهفو لثغر غير ثغرك عاطر
أم هل يجاملهم بنظرة عابر
وضياء روعي في ظلام أعاصري
خُلدتما بجمال عبد الناصر!

■ ■ قلب المرأة

من قبل أن أمشي على درب الخطايا والبشر
من قبل أن أنساق كالشاة الذبيحة للقدر
ويضممني طيف الغرور يلفني الوهم العكر

قد كان لي في عالمي المجهول في كوني إليه
أبدًا يراعي عيني وينشر في دجى دربي سنائه
ويرف في صبحي الجديد فأستفيق على شذاه

كم دار في فلك الدجى ليصد عن عيني الغيوم
واجتاح عمق خواطري ليزيح عن قلبي الهموم
ولو أنني شئت النجوم لعاد يحمل لي النجوم!

لكن قلب المرأة المغرور مشبوب الخيال
حيران يجهل ما يريد ولا يكف عن السؤال
ويظل يستوحي الملل ، يحب تعذيب الرجال!

■ مطبخ الغرام

هل تذكر مطبخنا الضيق
إذ نحنن كطيرين نحلق
هل تذكر كم كنا نهوى
وكان المطبخ عالمننا
إذ تدخل كالطيف الشارد
وتكاد بأذرع كالمارد
وتصيح: أحبك لا أقوى
فأقول: اللحمية لم تنضج
الشورية قد فارت ويحي
ذقها! ذق مقدار الملح

والأكل ورائحة الدخن؟
وأزيز الموقد في الأذن
أن نقبع فيه ولا نبرح
نستغرق في الضحك ونمزج
مشبوب الخافق والمقلنة
تحتضن الموقد والحلة
أن أبعد، لم أرك الأمسا!
أعط الكباس هنا نفسا
هدئ نار الشورية أطفئ
واعصر لي القوطة لا تبطئ!

هل تذكر؟ ما أحلى الذكرى
ما زال المطبخ ما زلنا
هل يرجع ماضينا هلا؟
لكن الحب مضى ولى!

■ ■ لست حاقدة

«كثير من الناس يصفح ولا ينسى ، وكثير ينسى
ولا يصفح ، ولكن هل نستطيع أن نصفح وأن ننسى؟»

لا ! لست جانية ولست بجاني
إني أبارك في الوجود توحيدي
هي هزة للعقل من إغفائه
هي منك لا تعدو سوى الهبة التي
لا لست حاقدة عليك فإنه
فلكم يهاجمنا الشقاء بسرعة
فإذا السعادة أقبلت مرت بنا
ما الحقد؟ ما البغضاء في شرع الهوى
إن القلوب إذا تسامت وارتقت
وأنا الشريدة في سماء تخيلي
لا لست حاقدة عليك وإنما
فلقد نرى الأيام تسقط خلفنا
لكن يا ويل القلوب إذا رأَت

إن الخطيئة في دم الإنسان
والغدر منك وشقوتي وهوائي
وتجارب الدنيا على الوجدان
كان الزمان يعدها لزماني
قدر وما الأقدار في الحسابان
كالبرق تخشى ومضه العينان
تخطو كما يخطو الهزيل القاني
ما قيمة التنكيد والأحزان؟
نظرت إلى الأحداث في استهجان
أستقبل الأنواء في إذعان
ما زال جرحي يستفز كياني
كتساقط الأوراق من أغصان
آمالها تهوي كعمر ثان !

■ ■ رحلة ريفية

ومضيت نحو الحقل هائمة
والعشب من أندائه درر
إذ كان فجر منى وعاطفة
وبدا لعيني جدول عبق
وعجبت إذ يخلو بعاشقة
بتأفف المغصوب يلمسها
فدفنت كفي في جدائله
رفقاً بروح أنت ظالمها
فافتر ثغر الماء في دعة
لكنني في غي عاطفتي
فطفقت بالقدمين أركان

والطير يشدو في الربى نغمه
والغصن وفي وعده كرمه
ورؤى ربيع جد مبتسمة
فجلست أستوحيه منسجمة
من أزهر الشطين منهزمة
ويفر من سيقانها النهمة
وهتفت رب التيه والعظمة!
وبكل محطوم ومنحطمة
وإذا يدي بالشجر ملتزمة
لم أقتنع بهواه منتظمة
عبثاً فإن شفاهه نومه!

ووقفت إذ بالنمل في ذعر
حملته جثثاً مشرحة
وبدت لي الأبقار سارحة
كل مليكات الجمال هنا
وقرونها الملساء تومئ لي
صفاً يسير بمأتم الخير
راحت ضحايا جلسة النهر
سبقت خطى الجاموس في السير
وعرائس الفلاح في الخدر
هذي الغصون مهابط الطير

ومضت تحش العشب في نهم
وتحك في الأغصان منخرها
وترقرقت عيناى إذ رأتا
هذا الغفور لكل سيئة
ومضى الحمار وفوقه ثقل

ومشيت في طرق معرجة
عصف التراب بها فغبرها
ومشت دواجنها منقرة
وكلاهما تغفو على كسل
وتصيد أسراب الذباب وقد
والببط في كتل موحدة
وتمر أغنام فتفزعها
ونسأؤها راحت تحدق بي
حملت بطرف الرأس جرتها
إن السذاجة هاهنا نبتت

ياريف مصر ويا منى وطني
يا ملتقى الأبناء من بشر

ودجاجة كبرى بأجنحها
يا أيها الماضي المليء أسى
يا مسقطاً لرؤوس من فتحوا
لتعش هني البال مغتبطاً
تحمي الجمال الغض والقوة
ورؤى غد بالبشر مجلوة
في كل عقل مظلم كوه
بين السنى والطير والربوة

■ ■ اللقاء الأخير

وهناك في الــــركن القصــــي
هناك عند المغرب في المشرب
كان اللقاء في البرد في جوف الشتاء
وصبيت في القدح الصغير الشاي لي
بأنامل متخاذلة فدلقتــــه
ثم انتحلت العذر قلت : الخير آت أبشري!
وضحكت ضحك المتتصر

وخلعت معطفك الثقيل

والعاطفات تهزني لتصد عني رعشة
لم تعلم ما كنهها لم تعلم!
حتى الدموع كنا نحس لهن في أعماقنا
ظماً ولوع فشربتها وشربتها
متعانقين

وعلى الطريق عدنا وظل الصمت فوق رؤوسنا
وأنين ريح مصطخب من حولنا
كنا نسير والكون كالقبر الكبير
قلبين ممتلئين بالحب العظيم وبالشقاء!

والأرض في بلبل رطيب وكأنها
الدمعة الكبرى على جفن الفضاء
وهناك في الأفق البعيد
ومضات نجوم مرتعش
تنساب من صدر السماء
وتغيب في حضن النهـر
وعلى الطريق عدنا كمتين استقرا
فوق مركبة الفناء ثم اختفينا في الظلام
وغيب القدر العتي في هوة النسيان
في الأبد الخفي أشلاء حلم لي جميل

وهناك في الـركن القصي
هناك حول المقعدين الصامتين
والمائدة الفارغة
ننام الصدى عن قبلتين
لم تبق من ذكراهما بعد اللقاء
غير انتفاضة رعشة تكوي الدماء



(3)

الأجنحة البيضاء

(1959)



■ ■ وهية أم عربية

بنبي ! إذا أراد الله أن تحيَا بـدنيانا
 وشب على الربى عودك مزدهرًا وفينانا
 تعلم - قبل بدء العيش - كيف تعيش إنسانا
 وقسم قلبك الواسع للأحياء أكوانا
 فكن نهرًا إذا عبروا وإن حلوا فشطآنا
 وكن «ربا» إذا احتكموا وعند الظلم سجانا
 وإن فضحتك أعينهم فكن للناس أجفانا
 ولا تؤمن بما أسموه أقدارًا وحسبانا
 فإن الحظ مكفول لمن كافح أو عانى
 وكن لي في غدٍ طفلي وإن أصبحت سلطانا
 فإن الأم لا تنسى الذي في المهد قد كانا
 وإن ناداك صوت الحرب كن في الحرب شيطانًا!

أجل ! كالجان يا ولدي وكالشيطان لا تحجم!
 فإن الحق في دنيا الخداع اليوم لا يغنم
 وإن شرائع الغابات أضحت في الوغى أسلم

فکن فی الحرب عاصفة تزلزل قوة المجرم
وإن رکعوا علی قدمیک یا ولدی فلا ترحم
فإن العرق دساس ومن عادی هو الأظلم
وإن أدمی قواک الیأسُ فارفع رأسک الأعظم
وثرُ کاللیث متفصّصا تکال هامک الأنجم
وخذ من حاضری عظة لعلک فی غدٍ تعلم
فشعبک لم یعد یرضی ولوبالموت أن یهزم
وأرضک ثورة کبری أضاءت أمسنا المظلم

أجل ! کانت لنا الثورة بلسم جرحنا القاسی
وآه الیوم لو تدرك ما صنعته للناس
فقد جاءت علی أعقاب أعوام من الیاس
وکان الحکم فی أیدٍ من الحکام أنجاس
وکان عدونا الغاشم یجثم فوق أنفاسی
فکنا بین أنیبٍ مشرعةٍ وأضراس
وهبت ثورة الأحرار فی عزم وفی باس
وکان رجالها منا وکنا الجسم للراس
ففجرت السلام الحر من أرضی وأغراسی
وفی حلك اللیالی السود کانت خیر نبراس

وكالإعصار في بدني محت ذلي وإتعاسي

فيا حلمي ! ويا أملي ! ويا إشراقي الذاتي
تذكر ! ربما الذكرى تفيدك في الملمات
تذكر أنك المولود من أصلاب ثورات
وأن دم العروبة فيك يسري في الحنيات
وأنك غاية كبرى ونحن قضاء غايات
فإننا قد بذرنا الوعي في حقل الهدايات
ومهدنا طريق الغد في ظل المساواة
فثبت حقك المرودود في ضوء الكرامات
وعش حرًا ... ومت حرًا تؤمن نصرك الآتي !

■ ■ فرحة النصر

انتصرنا ! وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة
ونفضنا عن يدينا عبء أعوام من الذل مريرة
وانتصرنا... —————

انتصرنا ! حطم الشعب العراقي قيوده
انتهينا ! أثبت الشعب العراقي وجوده
والتقينا فغدونا قوة كبرى عبيدة
كل قلب عربي قد أحس اليوم عيده
يا دعاة الحرب ما جدوى التهاويل المديدة
إنها ثورة شعبٍ عاف بالأمس ركوده
لم يعد يسجد للباغي ولا يخشى وعيده
فلتضجوا ، ولتشوروا ، واقلبوا الدنيا علينا

إنما نحن انتصرنا

وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة
ونفضنا عن يدينا
عبء أعوام من الذل مريرة
وانتصرنا... —————!

إنها قصة شعبٍ ثائرٍ رغم سكونه

كان بالأمس غريبًا في حماه ، في عرينه
ورأى الفجر مطلقًا خلف أسوار سجونه
وأحس النور يسري زاحفًا فوق جبينه
فتخطى الموت عزمًا وانبرى فوق سفينه
ظائمًا للنور ! للنور ! على مرأى عيونه
بالغما مرسى أمانيه وشيطان يقينه
أيها الغرب إذا شئت انتقامًا من جنونه
فخذ الثأر من الفجر الذي هلّ علينا

إنما نحن انتصرنا

وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة

ونفضنا عن يدينا

عبء أعوام من الذل مريرة

وانتصرنا...!

صانعي الأزمات ! تجار الردى ! أهل الجحود!
هيئوا للحرب من أبنائكم أقوى الجنود
وأبيدوا العرب بالذرة من كل الوجود
عبثًا فننى وهيهات لشعبي أن يحميد
إن شعب العرب لا ترديه نار أو حديد
إننا نحمل في الشرق تعاويد الخلود

ولنا سبع من الأرواح كالقط العنید
كل عرقٍ نازفٍ یبعث عمراً من جدید
فلتضجوا ولتشوروا وقلبوا الدنیا علینا

إنما نحن انتصرنا!

وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة

ونفضنا عن یدینا

عبء أعوامٍ من الذل مریرة

وانتصرنا! —————

قد شربنا الیوم — نحن العرب — أكبر الحیاء
وسرى فی الدم حتی لم نعد ندري مداه
قد شربنا الوعي نازاً واحترقنا بلظاه
وشربنا الوعي نوراً نحن نمضي فی سنائه
وسنمضي! سوف نمضي! رغم تهديد الطغاة
أی سجن یخنق الإحساس فی قلب الأباه؟
من یصد السیل عن مجراه من یثني خطاه؟
عبثاً نفنى ولن نحني لكم يوماً جباه!
فلتضجوا ولتشورا وقلبوا الدنیا علینا

إنما نحن انتصرنا

وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة

ونفضنا عن يدينا

عبء أعوامٍ من الذل مريرة

وانتصرنا...!

أيها التاريخ سجل ثم سجل لا تفكر
سجل استقلال أرضي منبع الوعي المبكر
ثم خط النصر في أرض العراق المتحرر
عد إلى لبنان واكتب نصره حتمًا مقرر
وامض نحو الأردن المحتل يا تاريخ وانصر
خط نصرًا ثم نصرًا ثم نصرًا ثم كبر
وارفع الأعلام في أجواء آفاقي وانشر
أنالاً أنيبك لكني أرى الله يدبر
إنها تورات شعب عربي تتفجر
وإرادات قلوبٍ حرةٍ لن تتكسر
فلتضجوا ولتشوروا واقلبوا الدنيا علينا

إنما نحن انتصرنا

وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة

ونفضنا عن يدينا

عبء أعوامٍ من الذل مريرة

وانتصرنا...!

إیه آمریکا! بلاد الغدر والظلم المهین
اسمعی صرخة بنت النيل أخت الثائرين
عهد الاستعمار قد ولی وحکم الخائنين
إنه تصمیم شعب عربي لا یلین
والمساواة التي نبغی حقوق ویقین
وشعار العرب أمن وسلام وسكون
فإذا لم تبغ نصحا ما الذي سوف یكون؟
فلتضجی ولتثوري، واقلبي الدنيا علينا

إنما نحن انتصرنا

وكسبنا الجولة الكبرى الأخيرة

ونفضنا عن یدینا

عبء أعوام من الذل مریرة

وانتصرنا....وانتصرنا!

■ رسالة إلى جميلة

«إلى جميلة بوحرید فخر نساء العرب»

من جليلة ... أختك الحرة في مصر الأبية
يا جميلة ... اقبلي هذي التحية اقبلي من الأماي ... والتهاني
عن جميع المؤمنات ... بالحياة ... بالحقوق البشرية
ولتسكن رمز الوفاء أنت يا فخر النساء ... يا رضي الذات العلية ...
أنا لو خيَّرتُ أن أَعِدو نبية ما تخيرت سواكِ بسناكِ
بالشذا الطافح من جرح أساكِ، بالذي تحمل في زهو يداكِ
من قيود منك خجلي ... وحيَّه
إنهم حتى هناك، في فرنسا: الوحوش القاتلون الطغاة الظالمون
إنهم قد يشعرون أن في أعماقهم روحًا خفية
تتحلى بعض حين بالصفات البشرية ... تتحدى الهمجية
تحد العرب على كنز ثمين نحن ندعوه جميلة ... يا جميلة!
ليس في مقدورهم أن يشتروه ... بعقود ولآلي
أو بخمر وليال ... أو بحرب وقاتل ... مثلما قد يشترون
إنه كنز مليء بالمشاعر ... بالحياة
كان لا بد لكي تحيا الجزائر ... أن تراه
ليس تقوى قوة في الأرض أن تفتنى سنه
إنه لن يتبدد إنه لن يتبدد!

قد ثوى في كل قلب عربي وتمدد
باعثاً روح الحياة ! ولهيب الوطنية
فاسخري منهم وغني للصباح
إنه يخطو على نار... ودم... وجراح
إنما سوف يهل... ناضر الفتنة ساحر
إنه منك يطل... فانشري فجر الجزائر
يا جميلة... واقبلي هذي التحية ...
من جلىلة

■ الفجر الجديد

المجد في العلياء للأبرار
وعلى الدنى لاثنين يمتلكانه
يا مصر مجدك خالدٌ ومخلد
اليوم تسطع في الوجود حقيقة
اليوم فجر تحررٍ وتيقظٍ
اليوم أشهد أنني مصرية
حلبٌ بها أهلي حماة عشيرتي
دمشق قاهرتي وحمص ديارتي!

يا شعر زف أرق لحن في الهوى
حلم على أيك الخيال موسدٌ
بعثته روح الله روحاً حرة
مدت جناحاً بالوفاء وآخرًا
وتجسدت بإرادةٍ بشريةٍ
فبدت على أفق العروبة مارداً
وبدت على أفق العروبة هالةً
وبدت على أفق العروبة نسمةً

واعزف هواك بأوثق الأوتار
ومغيب في دوحة الأفكار
رفافةً بأريجها المعطار
نشر السلام مهيمناً كشعار
وتشكلت في أغرب الأطوار
يحميه من غدرٍ ومن أخطار
تضفي على الأجواء ثوب نضار
منغومة الألحان والأشعار

خطرت هنا مشبوبةً محمومةً وسرت هنالك شعلةً من نار
وكذا الشعوب إذا تسامت حرةً تهفو إلى أمثالها الأحرار ... !

■ ■ لبنان الشاعر

لبنان ! يا بلد الطبيعة والجمال الساحر
لبنان ! يا جبل السماحة والإبهاء الظافر
يا أيها القلب الكبير بحبه المتوافر
يا بلسم المحزون يا أمن الشجي الحائر
يا عازف النغم الطروب رجعت لي ... يا شاعري !

أنا في خيالي ذكريات لقائك البش الحنون
هي جنّة فيحاء عشت بحضنها عهداً ضنين
نشوى ، أهيم على الروابي الخضر ، احتضن السكون
ما زلت أذكرها وفي جنبني فيض من حنين
وأود يا ... يا كم أود ... فهل لدهري أن يلين ؟

أشتاق يا لبنان للتفاح من يدك الحبيبه
أشتاق أقضمه ومن شفتيك كي أستاف طيبه
أشتاق للحضن الشذي وللجمال وللعذوبه
أشتاق ! عل الدهر يسمح لي فأشكره مجيبه

هو ذاك نداء فتاتك السمراء من أعماق طيبة !

واليوم يا لبنان إذ تخلو إلى عهد جديد
اليوم إذ رفضت إرادتك الأبية أن تحيد
لا الحكم ، لا الدولار ضلل شعبك الحر المجيد
اليوم سرفى الركوب موفور الكرامة والسعود
يا قطعة عربية من موطن العرب التليد

اليوم إذ مزقت أستار المصائب والمحن
أدعو لشعبك بالمحبة ، بالسلام المستكن
لا ظالم فيهم ولا مظلوم يحيا ممتهن
لا دين يفصل لا تعصب لا دسائس أو فتن
فالدين للديان والحب المهيمن للوطن !

■ ■ لن نرقب الفجر

ألا أيها اللاجئون الحيارى ومن شردوا في حنايا الطرق
أصيخوا فإن النجوم العذارى تهدد سرًا حزينًا قلق
أصيخوا إلى الجبل المشربب يحدق فيكم وراء الأفق
لزيتونكم لشذا البرتقان إلى المخمل الأخضر المؤتلق
أصيخوا فإن الهواء السجين يود من الأسر أن ينطلق
وفي كل ركن نداء حزين من البلد الكوكبي الألق
فلسطين ترنو وراء الحدود ، فلسطين في دمعها المختنق
تنادي تعالوا تعالوا إليّ أكاد من الشوق أن أحترق!

تعالوا إليّ أحبائ قلبي ! رجالي نسائي عيالي الحبيبة
سألتم منكم جراح السنين وأحنو عليكم كنوزًا خصيبة
وأنسى بكم ذكريات الشقاء فإني من بعدكم كالغريبة
دياري قبورٌ ودربي صخورٌ ومائي سعيّرٌ وروحي سلبية
أأخصب تربي وأنثر زهري ويأتي العدو فينشق طيبه؟
لعنّ! لعنّ! إذا لم أجد لصرخة روحي قلوبًا مجيبة
ولا كنتُ يومًا إذا متُّ ظمأى وقد أشرقتكم دماء العروبة!

«اللاجئ» :

حنانیک یا أم هذا العتاب یحز بأضلعنا كالنصال
أأنساك؟ واه! أتُنسى الحیاة؟ محال وإن رف ألف خیال
غَدًا «لا غَدًا فی قلوب التمني» ولكن غَدًا فی أكف الرجال
غَدًا! «لا غَدًا فی نشید المغني» ولكن على ساحةٍ من قتال
سنفنی العدو ونطوي السجل فإما حیاةٌ وإما زوال
فیا أم لا تعتبی إننا مع الفجر سوف نشد الرحال
ومدی ذراعیک عبر الحدود وضمی فتاك وقولي : تعال!

«شعب مصر» :

فلسطين یا أخت أمی سآتی وشعب العروبة یأتي معی
سأمضي على عاصف من ریاح فصبري وصبرك لم ینفع
وأصرع غاصبك المستبد ولن أستیح له مصرعی
فشمعته أذنت بانطفاء وصوت منایاه فی مسمعی
سأحمل كل قوی بور سعید وعزم الفدائي فی أذرعی
وأحضن فی قبضتی السلاح وثأری وثأرك فی أضلعی
ولن أرقب الفجر حتی یضیء ففجری سیوقده مدفعی!

■ ■ حكومة الجزائر

جزعت فرنسا ! أجل فاجزعي وحق عليك الأسى والقلق
وما كان من تافهات الحوادث هذا التملل هذا الأرق
فما تجزعين سوى من حكومة شعب الجزائر إذ تنبثق
فإعلانها مطرُقٌ سيدق مسامير نعش عليك انطبق
فقد ولدت فوق ساحة وغي وليس على صفحات الورق
نياشينها من قلوب الضحايا ، مراسيمها بالدم المؤتلق
وأعلامها رفرفت فوق أيد تصوب مدفعها المنطق
ووزارؤها في سجون المنافي هنالك خلف الدجى المختنق
وأبناؤها في فيافي الوهاد وفوق الجبال وعبر الطرق
وما ألقت كي تكافئ فردًا وإن كان كل بها يستحق
ولكن لتبعث نور الحقيقة حرًا يطوف الدنى منعتق
وتحفز عزمًا تقوي تعمق روح الفداء تثبت حق
وما هي فخر لأبطالها فقد أحرزوا في الفخار سبق
وخطت تواريخهم من كفاح وكل له قصة من عرق
وما فكروا في المقاعد يومًا وجبل المشانق حول العنق
فيا لحكومة شعب الجزائر يا نجمة من ضياء الق

ستهرع نحوك كل الشعوب الأبية في خطوها المستبق
وهيهات يقوى يعرقل خطوك مستعمر أو يسد الأفق
وهيهات يُغري ضمير العروبة يوماً لتناك أو تفترق
فسيرى يسدُّ ربي خطاك فأنت إرادة شعب صدق
جزعت فرنسا! ألا فاجزعي وحق عليك الأسى والقلق

■ رسالة حب

«إلى العراق»

هواي لديك قدر هواك عندي
 على قلبي فتهلكة وتردى
 ولكن كي أخفف عبء وجدي
 أقبله لأغمره بسعدي
 وأعجب إن صمتُ ولست أبدي
 لقا قلب بقلب بعد بُعد
 لأنك لم تخن بالأمس عهدي
 على أمل اللقاء المستجد
 تناجيني على ليل وسهد
 وتذكره بإعزاز وود
 وأنك بالدم الوضاء تفدي
 فقلبك لم يكف عن التحدي
 ونصرك صدفة وبغير قصد
 وتشريداً ولم تبخل بجهد
 تهدده على نارٍ وحقد
 تفجر فائضاً عن كل حد

أحبك يا عراق! وفي يقيني
 وأخشى فرحة الأفراح تطغي
 وأهتف بالغناء وما لأشدو
 وأرغب أن أراقص كل فردٍ
 وما عجبني إذا أعلنتُ حبي
 فما بالكون إحساس يضاها
 وأشهد لم أفض بالحب إلا
 وأنك كنت رغم الصمت تحيا
 وكننت وراء سجنك مشرئباً
 وأعلم كم تكن هوى لشعبي
 وأعلم كم «جمال» لديك غالٍ
 وأنك إن صبرت على البلايا
 فما كان الكفاح وليد يومٍ
 دفعتَ ضريبة التحرير سجنًا
 وكان هناك في جنبيك ثأرٌ
 وبركان يدمدم بالمنايا

تفجر فوق رأس الظلم نارًا
ولقن كل حکم مستبد
فبورك فيك منبع كل فخر
غدوت أبا البطولة والتفاني
وها أنا من سناك الغد نشوى
ويا وطن الأباة إليك حبي
وغوره بأعماق التردی
دروسًا في انتقام الشعب تجدي
ونجمًا للضمائر سوف يهدي
وصرت عرين أشبال وأسد
فمجدك يا عراق اليوم مجدي
وتهنتي وإخلاصي وودي !

■ ■ رجل القدر

«أهديت إلى أبطال الثورة»

ومضى المذيع بصيح في فرحٍ ويعلننا الخبر
هو ذا «حبيب الشعب» قد عبر الرياسة ، قد حضر
هو ذا يوقع مولد النور الجديد المتشر
هو ذا يضم أخاه «شكري» في الجهاد المتصر
هو ذا يخاطب شعبه ويصب من فمه الدرر
هو ذا وأصغينا إلى الصوت القوى المستعر
وتلفتت عيناى نحو الحاضرين على حذر
فإذا الدموع تجول في كل العيون وتنحدر
وإذا القلوب تكاد من فرط التأثر تنفجر
فذرقتُ كل دموع أفراح الورى ، لم أدخر
ومضت عيناى في السكون هنيهة مثل الدهر
شردت بها أفكارنا عبر الحوادث والذكر
ثم انتبهتُ على صدى يطوي السكون المنهمر
هذا الرجل ! هذا الرجل !
رجل رهيب غامض رجل عنيد كالصخر
رجل يحار العقل فيه كأنه بحر هدر

قلب العوالم كلها في فترة تحوي العمر
وعلى خطاه تحطمت كل الحوائل والجدر
ما كنه هذي القوة السماء فيه؟ وأي سر؟
أتراه يتلو في الدجى آيات ربٍ مقتدر
أتراه يحمل في الورى «خاتم سليمان الخطر»؟
فأجاب صوت آخر «لا! بل هو الحر الأغر
إيمانه هو سره ولئن ينل فلکم صبر»
ولكم تعرض للمكايد، للمخاطر، للضرر
ولكم مشى فوق الدروب الداجيات وما عثر
هيهات يعثر في الدجى قلب مضيء كالقمر
واليوم إذا زرع الكفاح وأن أن يجني الثمر
مدت له «سوريا» اليدين على يقين قد وقر
بيضاء كالثلج المعطر فوق أجنحة المطر
ورقيقة كشذى النسيم على أفانين الشجر
وحبيبة وصديقة وشقيقة طول الدهر
لكنه أبداً سيبقى في نضال مستمر
حتى يرى شمل العروبة قد تجمع واستقر
حتى يحقق للعروبة كل مجد... كل فخر
هو ذا «جمال» بكل ما صنعت يدها وما ذخر

«فجمال كل فعالة ستظل خالدة الأثر»
فأجاب صوت آخر «أتراه مهدي المنتظر؟»
إني أراه كأنما جذب القلوب وقد سحر
وبناظريه أرى الغد المأمول مزدهرًا نضر
وأرى أمانيه الكبار تفوق أحلام البشر
هيهات ندرك سره من ذا يجيب ويختصر؟»
فأجبتهم وعلى فؤادي بسمة الغيب الأغر
«أولا ترون بأنه رجل المشيئة والقدر؟»

■ ■ إلى شعب الأردن

یا من تريدون الهوان لشعبکم
غلوہ إن شتتم وشدوا قیدہ
مارف ثغر النای إلا بعد أن
هیہات إن الشعب عملاق صحا
شعب البطولة والكرامة والنهی
إناعلی ثقةً بأنك سائر
ماقیمة الأشواک فی أعوادها
ما زال فی الأردن شعبٌ ثائرٌ
سیشق فی ظل المشانق دربه
الحقُّ مشعله ینیر طریقہ

هو لن یبیح لكم هوان حماه
سدوا علیه رحابه وفضاه
جرحت مُدی الحطاب قلب رباہ
ویل لمن فی غیّہ ینسأه
یا شعب الأردن الذی نهواه
رغم الظلام إلى العلا وسناه
ما دام للزهر الندی شذاه
حرٌّ أبیٌّ لا تحدقواہ
ویضم فی ظل الردی دنیاہ
والله یرعی خطوه الله !..

■ ■ سلم وحياد

في كل مكان قلناها قلنا للفرد وللحشد
للعالم قد أعلنها بالأمس ، اليوم وللأبد
إننا شعب حريحيًا في ظل العزة والمجد
لن نقبل أي مساعدة تقترن بشرطٍ أو قيد
قلنا أرضي أرض سلام فدعونا نعمل في جد
إذ نبغي توفير قوانا لبناء النهضة في بلدي
قلنا ونظل نقول غدًا لم ننحاز لأحد أبدًا !

إننا بلد حارب دهرًا بصنوف شقاء وعذاب
لينال أخيرًا رغبته رغبة أحرار أنجاب
وعليها يحرص في ضنٍ وقيها من ذئب الغاب
يلتفت يمينًا ويسارًا ويصيح لغربٍ متغابي
من لا يتدخل في شأني هو مني أغلى الأحياب
أعلننا الأمس سياستنا سلم وحياد إيجابيًا
ونظل نقول نقول غدًا لن ننحاز لأحد أبدًا !

أعداء السلم وإن هزموا من كل شعوب الحرية

ما خضعوا للواقع لا! لم تخمد أحقاد ناریه
إذا لجؤوا لدروب أخرى ولشق مسالك فرعية
تستهدف تشتيت قوانا ولصد عباب القومية
لكنال نأبه يومًا بخيالات هي وهمية
فرسالتنا هي حرية... والسلم هو المسئولية
ونظّل نقول نقول غدًا لن ننحاز لأحد أبدًا!
قالوا ولكم قالوا عنا! قالوا مصر أرض مزارع
وأشاعوا الأسطورة فينا فخضعنا للأمر الواقع
واليوم وإن كنا حقًا خيبينا آمال الخادع
لا يكفي كي نخلق مجددًا أن نبني في مصر مصانع
لا بل نبني... نبني دومًا لنعوض ما ضيبت الضائع
نبني شعبًا حرًا يقظًا هو ذا مستقبلنا الرائع
ونبت القومية فينا لنعرقل من خطط الطامع
ونظّل نقول نقول غدًا لن ننحاز لأحد أبدًا!

■ مع المجاهدين في سوريا

سوريا الحبيبة! يا آمال أمتنا
اليوم يومك يا شماء فانطلقني
هيهات يشتبكون اليوم عن عمدٍ
فالعرب حولك يا سوريا وعن كثبٍ
والنيل يا سوريا! والنيل يا أملي
أهلوه قد أقسموا في ظل قائدهم
«بجول جمال» وذكراه بخاطرنا
لن تُهزمي وضيء الفجر منهمرٌ
ما من فواصل بين الموت في نظري
حرية النفس في الدنيا غريزتها
يا حلية الشرق من در ومرجان
وصارعي في عزمٍ وإيمان
يستنفذون بقايا صبرك الحاني
رغم التفرق لم يألوا كإخوان
إليك في شغف مستطلع ران
بالحقد في دمهم يغلي كبركان
ترف رف أريج عبر أغصان
لن تخضعي اليوم في ذل وحرمان
وبين حرية في قيدها العاني
من وحي ربي لا من وحي إنسان

■ ■ بعد المعركة

أجل! هُزم الوباء وكان يسعى
فقاومناه ركنًا إثر ركنٍ
أجل! خرجوا ونار الغيظ تغلي
فقد جاؤوا على طير الأمانى
فذاقوا في الكنانة كأس سم
وكانت بورسعيد لهم مقرًا
أحارسة القنال وأي مجد
بلغت ذرا السماء وإن عيني
فكيف نفيك حقًا أو جميلًا
أسيدة المواقف أي ذكرى
إخالك حين يسبح بي خيالي
أخالك جنة هبطت إلينا
وأسمع في نسيمك لحن خلدٍ
وأنشق في الثرى المخضوب عطرًا
وأخشى أن أوله فيك شمًا
أملهمة الخيال وكيف أشدو

ليمطر أرضنا موتًا
وأسقيناها عارًا وانهما
مراجلهما وتضطرم اضطراما
سكارى النصر واهتزوا قوما
تدورها الندامة لا النداما
يروون الغليل به انتقاما
صنعت وأي نبل قد تساما
لتعجز أن تحدد منك هامًا
وحقك يا أبية لن يساما
سوى ذكراك تضرمني ضراما
وقد تركت له نفسي الزمام
وشاءت أن تشيد هنا مقامًا
تهدهده الملائكة انسجامًا
يفوق شذاه أنداء الخزامى
كما صنع الفراغنة القدامى
وقد أسكرت في شفتي الكلاما؟

لقد عشنا لشهد ما شهدنا
وكانت قصة التأميم كونًا
سمعنا فيه مداحًا وذامًا
ومن صلى لمحتنا وصاما
وكم مرت علينا من وجوه
ونحن اليوم إذ نطوي سجلاً
نعاهد أنفسنا أني حيينا
إلى الشهداء نحني الرأس فخراً
سنرضع طفلنا حقدًا ومقتًا
لمن جعلت شعائرها حروبًا
بريطانيا التي اغتصبت ربانا
سنبغضها ! أجل ونظل نحيا
ومن ذكرناه نغتم اغتنامًا
حوى الأضداد وازدحم ازدحامًا
وشاهدنا الأماجد واللثام
ومن أصغى لصرختنا وناما
تعانقنا عدااء لا غراما
حوى بالأمس أحداثًا جساما
فلن ننسى الألى ولو كرابا
ونقسم بالأرامل واليتامى
ونورثه عدااء وانتقاما
وبينت العداوة والخصاما
ودنست الحمى سبعين عامًا
على حذرٍ عقولاً لن تناما

■ ■ منعف المرأة

أنت قاس :

غیر أني أعشق القسوة في قلب الرجال
إنها توقف من حد غروري وضلالي
إنها أبعد شيء أنا أخشى منك يوماً
وهي «مغناطيس» حتى إن سئمت الحب يوماً
وهي إحساس لذيذ حالم يغري خيالي ...

أنت لي ! مهما تناسيت ليالينا الغوالي
رغم هذا الزهو والخيلاء ... لي رغم التعالي
كن كما شئت وأسرف في التناهي مستبداً
وامض في صمتك في هجرك حراً ... وتحدي
أنت لي ! والكل يمضي سائراً نحو ... الزوال

تحداني أنا؟ وي ! كيف يا قلب احتمالي؟
أبـن دمعـي وأنيـبي وأفـانين دلالي!
تحداني؟ وما قيمة ضعفي إن هزمتُ

وهو في الحب سلاحٍ وبه صلتُ وجلتُ
وهو درعي وجيوشي ومعدات قتالي!

إنه - يا وحشي الكاسر - موسيقى الجمال
روضت قلبك فاسترخيت في حضن الليالي
إنه كلمة سر كلما ناديتُ : سَمْسِمُ!
فُتح الكنزُ فأمضي من هوى قلبك أغنم
وبه شيدتُ ذاتي وتخطيتُ محالي!

سوف تأتي! «هودج» الخيبة مشدود الرحال
وعلى يمناه ضعفي وبيسراه هزالي
سوف تأتي! أنت قربان صلاتي وخشوعي
أنت لي زورق حبٍ ينثني عبر دموعي
نحو شطٍ من حنانٍ ... وعيبرٍ ... وظلال!

■ ■ حنين وذكري

أهدهد حبك كل صباح
وأشرب من راحتي الدموع
وأعزو حنيني لسجني الكئيب
وأمضي أرفرف مثل الطيور
وأدفع قلبي عبر البحار
فإذا بي أعب الهوى من هواك
وأنسج فجري بخيط سنك
وإذا بي أسيرة حب عنيف

وكل مساء أحن إليك
لأسكبها من جديد عليك
فأقلت منه ومن قبضتيك
وأشدو على كل غصنٍ وأيك
لكيلا يميل على شاطئك
وأحضن أفقي في ناظريك
وأعزف لحنى على شفطيك
وإذا أنا... أنت وكي.. لديك

إذا الريح هبت وهل الشتاء
طوانا ببرديه حتى انتشينا
فأمضى - مع الوهم - أطلق روعي
أوسد فوقك رأسي الغرير
ورأسك هذا العنيد الجموح
فأعصر وجهك في راحتي
فتهتف : «إن الزمان طويل
لماذا أصور حلم اللقاء

تذكرت ليل شتاء معطر
كأشهى ربيع طوانا وأنضر
تحث خطاك إليّ وتأمّر
وبركان صدرك تحتي يزأر
أبى أن يضم الوساد وأنكر
وأهمي : «نم شاعري ! لا تفكر»
ووقتي بقربك أغلى وأندرا!
وفيم احتياجي لهذا المخدر؟

وفي الصيف حين يهز النسيم
أصور والقلب ثر الحنين
أصور مقهى وركنا ضنيناً
وطيفاً تلملم لا يستكين
فأمضي وأمضي وفي خطوتي
وأهفو إليك وفي مقلتي
وأحنو عليك وفي مهجتي
لماذا أصور حلم اللقاء

قلوب الربي بالشذا المستطاب
هنيهات لقيانضارا عذاب
ومائدة تستحث الشراب
وسيجارة في فم وكتاب
مراح الطفولة ، عزم الشباب
يمر سؤال ويمضي جواب
دمُ العاشقين جميعاً مذاب
وفيم احتياجي لهذا العذاب؟

■ ■ وسأمنني

وسأَمْضِي في كل مكان
أتحدى قدرِي وزماني
أتحدى الصور المرئية
أتحدى العين البشرية
لن أجري كالطفل الأهلج
لن أقفز أو أثب كأعرج
لن أزحف كالودود.... كأفعى
لن أعثر في الدرب كأعمى
لن أقذف ناسًا بحجارة
لن أعبأ بعيون المارة
لن أصغي لحديث جماعة
لن أقرب سوقًا أو باعة
لن أحكي للككون حكاية
فالوقت ثمين للغاية
وسأَمْضِي.....

أتأمل؟ لا! لن أتأمل
سأكون الظمئ والمنهل

وأمد على دربي خطوي
وأراقص نفسي في زهو
وأدور... أدور... كدوامنة
شماء القامة والهامة
وسأرقص للفجر الساري
للطل على بدني العاري
وأمر على الشط المغربي
وأعناق أمواج البحر
وسأرقص عبر سواعده
وسأرقص فوق وسائده
والموجة من رقصي سكري
تغمرها العربية الكبرى
لن أخشى أهوال مكاني
فالبحر له شط ثاني
وسأمضي... ي

أتأمل؟ لا! لن أتأمل
فالوقت وإن طال تلمل
سأمر على الروض الحالم

وسأرقص للطير الهائم
وأحط على كتف الشجرة
وأعناق أجوائها حرة
وسأسحب فجري من رأسه
وسأملأ روحي من كأسه
وأسير مع السحب أثيرا
وأصاحب في السير النورا
وسأرقص والشمس بقلبي
سستموج بإشعاع ذهبي
وتفيض على الكون المظلم
وسأغرق في فرحي المفعم
فأنا ما زلت من الأرض
وبأعراق تراها نانبض!
وسأمضي.....

■ ■ حب وطب

غداً سأراك طبيبي الجميل ، سأمضي إليك قبيل الأصيل
غداً في «العيادة» سوف أداعب حلم انتظاري بصبر ملول
سأجلس بين الزبائن حتى يشير إلى «التمورجي» النحيل
فأمضي إلى غرفة «الكشف» ذهلي أجز ورائي غلامي العليل

غداً ستضم يدي في يديك وتضحك في نشوة ظافرة
وتهتف حين تراني : «أهلا ! لماذا تغيبت يا شاعرة؟»
وتمضي تهدد كف فتاي وتعتب في رقة ظاهرة
«ألا تعلمين بأن الغياب مضر بحالته الحاضرة؟»

ستحنو عليه بصدر رحيب وتمضي تعالجه في حنان
وتشغلك المهنة المستبدة عن رؤيتي عن وجود الزمان
ولكن خلفك قلبي الوجيب سيرنو إليك كشط الأمان
وكالأمس ، كالغد ، سوف يذوب حيناً إليك برغم المكان!

سيقف الغلام فأقرب منه وطيف ابتسام على شفتيك
وأصلح من لبسه في اهتمام فيبدو التعجب في ناظريك

وتتلف «یا بخته!» ثم تهفو إلى أخیرا وأهفو إلیک
ونهمس بین اشتباك الیدین «سلام علیک... سلام علیک»

سیأتي غد ثم یأتي سواه وتُنهي العلاج وأمضي وحیده
ولن تعرف الغد أني تركتُ لیدیك فؤادی شهوًراً عدیة
وأنی فی ظل صمتك هذا اقتنعت بحبی وعشت سعیده
أجل! سوف أمضي وليس لیدی سوى الذکریات وهذی القصیده!

■ ■ من المرأة إلى الرجل

ماذا تريد؟ ماذا تريد؟ يا أيها الرجل العنيد
يا أيها الرجل الذي لن يستفيد ولن يفيد
إني أراك مع الزمان حملت لي حقداً حقود
تمضي السنون وأنت أنت تريد تجهل ما تريد
أغرثك «سيكلوجيتي» فمضيت تبحث لا تحيد
عني وعن نفسي ، عن كنه سري في الوجود
وكأنني شيء غريبٌ نادرٌ شيء فريد!
فهناك بين الكأس والأصحاب في المقهى البعيد
وهناك تحت شجيرة الجميز في الحقل المديد
وهناك حتى في الخنادق حيث يحتشد الجنود
لا شيء إلا سيرتي تلهو بها وقتاً سعيد
لا شيء غيري يستفزك أن تقول وأن تعيد
ماذا تريد؟ ماذا تريد
إني إذا أحصيت ما قد قلت عني لن أجيد
صورتني عريضةً حيناً وشيطاناً مريد
ونسبت كل الحادثات إليّ من زمن بعيد
فأنا السفالة والنذالة والخيانة والجحود

وأنا أنا حواء أغرت آدم الغر الطريد
وأنا التي جنت قيس فطاف من بيد لييد
وأنا التي أكلت ذراع طليقها حتى يعود
وأنا التي سببت قتل عشيرتين من الصعيد
وأنا التي وضعت لضررتها سموماً في الشريد
ولقد أكون أنا التي أشعلت نارك بور سعيد!
ماذا تريد؟ ماذا تريد
أنا كل شيء في حياتك إنني شيء مجيد
البيت دوني كالردى والكون كالقبر المديد
والصبر ديني والحنان شريعتي والعطف جود
وأنا بكل كياني المهزول كالطفل النجيد
أتحمل الآلام والأمراض في عزم شديد
ولقد تخزك إبرة فتئن كالطفل الوليد
وتكح ، تعطس في الشتاء كأن جسمك من جليد
وأنا بفستاني القصير وبالسواعد والزنود
من أي ضلع جئت منك فإن ضلعك كالجرید!

■ الروب الحائر

ذلك «الروب» الذي على المشجب دهرًا
إنه ما زال مشدوهمًا يرى في الأمر سرًا
إنه ما زال يشكو من فراغٍ وخواء
ويرى الأعوام تمضي وهو يهفو لمساء
فيه يكسوك دفيئًا غامرًا ظهرًا وصدرا..!

ذلك «الروب» يعاني وأنا منه أعاني...
إنه كل الذي منك على طول زماني
ذكريات من غرام مر كالفجر الرطيب
وبقايا من أحاسيس ونجوى وشبوب
إنه محزن لئيمٍ وعناقٍ وحنان!

آه كم بيني وبين الروب أسرار رهيفة!
كم توغلت بجنييه وطوقت دروبه
كم تجمعنا على يتمٍ وحرمانٍ وجوع
وتساقينا حنينًا وهوى عبر دموعي
وطوينا الليل في نجوى وأحلامٍ مريية؟

یا لبوهیمیة الأصداء فیہ والنداء!
إن فی کمیہ إغراء تمشی فی دمائی
من ثایا الکتف والإبطین أشتم العرق
عطره المسکی ینساب علی طول العنق
من خلال الیاقه الزرقاء أرنو لسمائی!

سوف یبلی! إیه یا سخریتی الكبرى! سبیلی
هاهی «العتة» فی جنیه تلهو... تتسلی
سوف یبلی وهوای الغریزداد شباباً
ویصب النار فی قلبی ویصلینی العذابا
غیر أني لا ولن أشکو یوماً أو أملاً!

■ ■ لن أعود

أقسمت أني لن أعود إليك يومًا ! لن أعود
لأظل أصرخ في الدجى وحدي وتعصف بي الرعود
لأظل أطرق بابك الموصود أستجدي الوعود
ليقول عني الناس «جنتُ في هواه ... ولن يجود!»

لا ! لن أظل فريسةً للذكريات المجهدة
من صنع أوهامي أنا هذي المنى المتجددة
ماذا جئتُ لكي أعيش سجيناً ومقيدة
عبثاً ... سأحتضن الدنى عريضة ومعربة !

إني أحس بألف شيطان بروحي مستمر
إني سأهزأ بالقوانين السخيفة ، بالبشر
قد عشت آلاف السنين ، ألفتُ أشباح الخطر
وعرفت كيف أضرم في جنبي قلباً من حجر!

يكفي ! سأملأ أعيني بالضوء بالضوء النقي
ولسوف أسبح في خضم من شعورٍ مطلق

دنیاي سكرى بالحياة وبالجمال المشرق
يكفي! لقد غام الطريق بعیننا... لن نلتقي!

أرأيت هذا الكون كم حب كحیننا أثاره
كم شب في قلب الوری وبنظریه الأمس ناره
أرأيت كم هتفوا له حیناً وكم شقوا إزاره
أواه لو تدري الذي ضیعت یا... یا للخسارة!

كنا سنخلق من وجودینا العجائب یا عنید
كنا سنرجع «قیس» فی الدنيا «ولیلی» من جدید
كنا من الضدین سوف نكون البعث الفرید
سأصب نوری فی دجاك، تصب نارك فی الجلید!

■ ■ **تمرد عابد**

وخالق النور في جسمي وتكويني
 النور يخطف أبصاري ويعميني
 إني من الأرض والدنيا تناديني
 كما شممت بجناحي رياحيني
 هذا الصفاء بروحي كاد يقينيني
 تقوأي نحوك منساقًا كمأفون
 أمام عيني بلا شك وتخمين
 الوضع يحكمني والوقت يطويني
 أهبط برأسي من حين إلى حين
 والموج يصخب في عزم وفي لين
 أنني العنان لها حينًا وتثنييني
 أريد أسمع ضحكات الشياطين
 إن الصراع يقويني ويحييني
 ما أنفه السجن من غير المساجين
 وما صلاتي وإهداء القرابين
 ماذا عليه إذا أهوى كمطعون
 ممن يُخاف وما جدواه يحميني

يا خالق الناس من ماء وطين
 أود أهرب من نوري ... أنا بشر
 أود أحمل أخطائي بما ثقلت
 أود أن أنشق فوق الأرض أتربتي
 هذي السكينة في نفسي تؤرقني
 غدوتُ كالآلة الصماء تجذبني
 أتلو مشاعر قلبي وهي واضحة
 وأذرع العمر مدفوعًا كقاطرة
 يا من خلقت بدنيانا توازنها
 الطير يصعد آفاقًا ويهبطها
 دعني لأقداري الهوجاء تعصف بي
 شدو الملائك في سمعي يهددني
 أريد أصرع شيطاني ويصرعني
 نفسٌ بغير خطايا؟ أي مهزلة
 لمن دموعي؟ إن لم تهم تائبة
 هذا الضمير الذي حصته أبدًا
 ما دمت أجهل أعدائي وسطوتهم

يا ضيعة العمر في عقل يحيرني
من ذا أكون وما كنهني ومكنوني؟
إني انحرفت عن الدنيا وواقعها
فما وصلت إلى دنيا ولا دين!

«وحي من الله»

يا حائر النفس في الدنيا وفي الدين
هذا التحير من وحي الشياطين
ما زال ليلك يسري فيك منتشرًا
لولاه ما جئتني تشكو وتشكوني
أين السكينة في جنبيك تحملها
وأنت تخبط في ظن وتخمين
هذي الزوابع تجلو النفس من صدأ
إني أحثك من حين إلى حين
فما أريدك عن خوف تقدسني
ولا أريد تهواني كمأفون
حرية النفس في قيدٍ تلازمه
عن طيب نفسك لا قسرًا كمسجون
إني عرفتك كم تشقى بمعصيتي
وما أردتك أن تشقى وتعصيني
سل قلبك الغد إن أصررت عن عمدٍ
على الخطيئة هل يرتاح من دوني
وهل ملأت فراغًا في جوانبه
وحل فيه هوى أغلى من الدين
إني أنا الله في عطفِي وفي كرمي
وحدي الملاذ ومأوى كل محزون
فلا انفصالك عني اليوم يبعدي
ولا انفصالك عن دنياك يدنيني
عهدت فيك صنوف الضعف من قدمٍ
لم يخل في الأرض إنسان من الطين

■ ■ خيال وحقيقة

رأيتك ! يا ليتني لم أرك لأنهل من حبي الجارف
ويا ليت قلبي اكتفى بالخيال وعاش على رنة «الهاتف»
سأبكيك حتى تغيض العيون وأحنو على جرحي النازف
فقد كان طيفك لي سلوتي وكان لي الأمن في عاصفي!

وكنتُ أقضي النهار ببיתי كظمانةٍ تشد المنهلا
أروح وأغدو على ذهلةٍ وأهتف ليل أن يقبلا
وأسمع صوتك عبر الأثير فأبصر نفسي والمنزلا
كطيرٍ أتى العش بعد اغتراب ومل الروابي والجدولا

وكنتُ إذا ما لمستُ «المسرة» تنفخ عطراً وتعبق عطراً
إخال صداها رنين الحياة يحطم بين ضلوعي قبرا
أضمك في طيفها تارةً وأحنو عليها وألثم ثغرا
وأسكب أنفاسي الحارقات وتسكب في مهجة الليل فجرا ..!

وتحكي وأحكي مشاعرنا وأحلامنا في الوجود الكبير

وکل الذی کان فی یومنا مشار هموم ونبع سرور
ونہفو إلى عالم آخر فنسبح فی روضه المستنیر
وفی مسکن فوق شط الغدیر سیجمعنا فی الربیع النضیر!

وأهمس للقلب بعد الحدیث : أخاف علیک الأسی والندامة
أتحیا علی أملِ غامضٍ وتعشق - دون رؤاه - كلامه ؟
فیہتف قلبی : ولو کان أعمی ، ولو کان حتی مثال الدمامة
سأحیا علی حبه مستمیتاً وأحفظ بین ضلوعي غرامه !

وحین رأیتک أنکرت حبی وأحسستُ أن هوای محال
وما کان فیک الذی كنت أخشى ولكن ثقیلاً كصخر الجبال
فیا لہف نفسي تحطم حلمي وكان شهياً خلوب الجمال
رأیتک ! یا لیتني لم أركُ ویا لیت قلبی اکتفی بالخیال !

■ بين النيل والبحر

على طرف «اللسان» برأس البحر حيث
يصب النيل في البحر الأبيض المتوسط

أنا هنا أمشي على طرف اللسان هنا وحيدة
أرنو إلى الأفق البعيد وأحضن الدنيا المديدة
الليل حل وإنما القمر المهيم مؤتلق
وتكاد أنفاسي من الريح العيفة تختنق
العزلة الكبرى تضم كياني الهش الضعيف
وأنا أضم مدى الجمال ، أعبه حرًا شفيف
فعلى يميني النيل والبحر الصخوب على شمالي
وهما أمامي الآن يمتزجان في حضن الوصال
يا نيل إني اليوم أعتب يا أبي على خضوعك
كيف استبحت لذلك الشيطان يهدر في ضلوعك؟
كيف استبحت له كيانك أيها النيل العظيم؟
أنت الأصل هنا وهذا الضيف مغرور سقيم
ها أطبقت شفتاه في نهم الجنون على شفاهك
المالح الغدار مرر فيك جزءاً من مياهك
يا نيل كيف رضيت أن تفنى بأحضان غريبة

أی انجذاب فیہ ! آی هوی وأسرار رهییة؟
هزمت عناصر شره ما فیک من خیر توافر
فبدوت مرید المیحاتائراً حیناً وساخر
یانیل این حیاؤک المغری وصمتک یا وقور
این انطوت نظراتک المالی بأسرار الدهور
این الصدی النعسان والقبلات والآه الدفینة
وخطی کرفات الطیور تشق أحضان المدینة
لکن عینی لا تمل رؤاک فی ظل التسامح
هیئات هذا البحر یزار ضاحکاً حیناً ونائح
هیئات یرغمنی علی تشیت أحلامی الکبار
هیئات یبعث فی دمی رعباً وفی رأسی دوار
أهواک أنت وإنما أخشاه إذ بالموج یقذف
شتان بین الحب من أجل الهوی لا من تخوف
بی فیض تحنان إلیک وبی حنین ! بی حنین
وصلاتٌ قربی بیننا یانیل من قدم السنین
ودمٌ تدفق من میاهک فی حرا کالضیاء
ورسوخ ایمان بحقینا علی صمت الإباء
ومشاعر فیاضة فی عمق عمقینا عتیة
وبشاشة وسماحة وعذوبة فینا نقیة

وهوى! هوى! للضوء، للشمس الدفيئة، للقمر
وعوالم وسعت على صدري وصدرك للبشر
عفوًا! إذا عتب الفؤاد فأنت أنت منى فؤادي
فأنا ابنة النيل العظيم وأخت أحرار البلاد!

■ ■ لمن أشکو؟

لولا بعبادک یا حیب القلب
ماکان للأغراب تعب دربی
أنت الـذی جرّأتهم فتقربوا
لما رأوک الأمس تهجر حبی
لولا بعبادک ما تفوه عاذل
عنی إلیک ... وعنک لی بالسب
أشکوک أم أشکو إلیک أم أننی
أشکو تصاریف الزمان لربی ...؟

■ ■ مات حبي

يا ويلى قـد مات هـواي
يا ويلى مـن ثلـج دمـاي
أنا غضـبى مـن قلبـي المـجرم
إذ مـات هـواه ولم أعلـم
مـات ولم يـنـذر إحـساسـي
مـات ولم يـخـنـق أنـفـاسـي
يا ويلى لم أذرف دمـعـه
لم أوقـد للـمـيـت شـمـعـه
لم أغـمـض للـمـيـت جـفـنـا
لم يلبـس مـن يـدي الكـفـنـا
لم أنـصـب مـاتـمـه الغـيـالي
لم أصـرـخ بالصـوت العـيـالي
يا ويلى قـد مات هـواي
يا ويلى مـن ثلـج دمـاي

مات وقد خلفني حيرى
أتساءل ، أسـتـجـدي الـتـذـكـرى
لم يشـك الـدء ولم يهـزل
بل كان طروباً متهلل
لم أرجع يومئذ للدار
إلا والحب على نار
يرتقب إيابي بحنان
ويضمد جرحي وهواني
لم يعرف معنى للغيرة
بل كان شذياً كالزهرة
إذ صبغ من النور وشبا
وتربـع في قلبـي ربـا
يا ويلى قـد مات هـواي!
يا ويلى من ثلج دماي!

أنا غضبي يا قلبي القاسي
مات ولم تنذر إحساسي
لكنني اليوم على غيرة
أكتشف حقيقة المـرة

إذ هـل حـبـبـي وابتـعـدا
وكـأنـي لم أره أبـدا
وكـأنـي ما كـنـت أراه
بـالأمـس العـالم وسـنـاه
لم أشـعـر حـتـى بالـضـيق
وبـأـي حـوائـل وفـروق
إذ مـر ولم يـلق سـلامه
وأطـال مـع الغـير كـلامه
لم تخفـق في قلبـي نبضه
لم تلمـع في عـينـي ومضـة
لا شـيء سـوى رجـع صـداي
يا ويـلي قـدمـات هـواي ...!

■ ■ رحلة عمري

أيها الغائب عن عيني عامًا إثر عام
لا تلمني إن أنا أسرفتُ في نجوى غرامي
لا تلمني إن ظللتُ اليوم للحب وفيّة
إن حملت اليوم في جنبي ذكراك نديّة
إنما حبك كان الأمس فجري وابتسامي !

لا تلمني ! عشتُ كالقطة في أمسي ضريرة
رهن حكم الأخ والزوج وأوضاعي أسيرة
لم أذق من عطف أمي أو حنان الأب نهله
لم أكن أدرك إلا أنني روح مملّة
سم الناس دجاها ومآسيها المريرة!

وانطويت الأمس لا خل لنفسي غير نفسي
من صميم الذات أستوحي ومن عقلي وحسي
كل ركن - من وباء الناس - في جسمي محصن

وبأعماق كتابي أغرق الروح وأدفن
والدجى والصمت والأشباح خلاني ويأسي!

ومع العزلة لم أحمل بأعماعي شروراً
لم يكن مني زهداً إنما كان غروراً
خلتني نسرًا وليس النسري يطاد الذباب
ولمحتُ الناس نملًا زاحفًا فوق التراب
والدنى جدباء في عيني والكون ضريراً!

ثم أسريت بليلى مشرق الوجه صبوحه
وتحنيت على قلبي وضمدت جروحه
لم أكن أدرك يومًا أنني روح وفيه
أن في عمق الدياتجي بعض أضواء خفية
أن في هوة أعماعي آفاقًا فسيحة

كان إحساسي بكرًا لم يزل رغم الهوان
كان في قلبي كنوز من حنين وحنان
ولمست الحب في أندى معانيه الشفيفة

فتحدیت تقالییدی وأوضاعی السخيفة
وتخطیت حدودی ومکانی وزمانی !

وعلى ضوء جدید سرت فی درب حیاتی
کائناتاً یحمل فی جنیه حب الکائنات
کم وکم قابلت فی دربی تجاریب عدیده
کم ضممتُ الأرض والآفاق والدنیا المدیده
ثم شیدت علیها بعد حین فلسفاتی !

قد عرفتُ الکون بشرًا وابتهاجًا وتمتع
إنما العصفور لا یشدو سوى ما نحن نسمع
فإذا شئنا فوق الأرض خیر وسلام
وعلینا — کيفما كنا — حقوق للأنام
ليس شدو الطیر مقصورًا علی من کان أبداع !

إن یکن فی الکون شر ، إنه شر محبب
فیه سعی ونضال وطموح وترقب
وهو للإحساس بالإیمان والخیر عماد
تُغرق الريح سفیناً وبها حیناً تقاد

والثرى يحمل آفات وبالآثمار يخصب

وعرفت الحب قد يرتد ذلاً وشقاء
إنما الحرمان في الدنيا من الحب فناء
وأنا إن كنت أفنى اليوم طي الذكريات
فأنا أفنى اضطراراً وشعوراً بالحياة
وأنا أفنى انتعاشاً وانتشأءً وامتلاء

إنه الحب! ولفظ الحب خلابٌ وساحر
إنه الإحساس باللاحس من فيض المشاعر
هل ترى الرعشة فيه حز سيف متباطئ؟
أم ترى العاصف يعمي العين كالنور المفاجئ؟
أم وجودٌ يتلاشى فاسحاً كوناً لآخر؟

وعلى دربي عرفت العلم عجزاً وجمود
عجالات أينما دارت إلى الجهل تعود
رب أمي كفيفٍ عاقلٍ عن فيلسوف
إن بين العلماء اليوم حمقى بالألوف

إن أغلی حکمة تؤخذ من کف الوجود

وعرفت الصمت أحياناً تعابیر قوية
طالما تعجز عنها النبرات الأدمية
أن فی النفس كنوزاً من أحاسيس نضيرة
أن ما نقبس منها ليس إلا شبه صورة
ومضات من سناها وإشارات حية

وعرفت الشعر فنّاً تافهّاً، فنّاً مريباً
لم يعد يفتن محبوباً ولا يغري حبيباً
لم يعد فی زحمة الحاضر ركنٌ للمشاعر
کم وکم غنيتُ لحناً «باکياً» حيناً «وثائراً»
فسرى لحنی علی دنياک مجهولاً غريباً!

ورأيت العمر لهواً فتمتع بالشباب
ليس من حقک أن تخفيه كالكنز المهاب
إنه كالماء ينساب من الأصبع ساخر
أنت إن عدت إليه بعد حين كمسافر
سوف ترنو... ثم ترنو... فإذا البيت خراب!

وعرفت الحسن ربًّا لا يدانيه محال
عبثًا نهذي بأن الروح ينبوع الجمال
إنما المادة قيْدُكم له تحني جباه
إننا أضعف من إغراء عينٍ أو شفاه
والكلام الحلو سحرٌ ربما هدد الجبال !

وعرفتُ الدين في دربي أساسًا للبقاء
غير أن البعض ظنوه عزاء البسطاء
كيف نحيا دون إيمان بمن أحيى الوجود
أجمل الإيمان شك فيقين فصمود
وكذا الإيمان تسليم بأحكام القضاء

هذه رحلة عمري عبر أمسي الغابر
فإذا ما شئت أن تعلم سر الحاضر
كيف أمضي - دون رؤياك - ليالي الطويلة
فاستمع لي ! إنني أحيى بأوهامي العليلة
ومع الوهم حنين في دمي ... يا شاعري !

طالما أوهم نفسي كي أسري عن عذابي
وأقول الآن لو تأتي ولو تطرق بابي
ما الذي سوف أعاني؟ ما الذي سوف أقول؟
حينما أفتح شرّاعة بابي في ذهول
وأرى من كان حلمًا قد تجلى في اقتراب!

طالما أوهم نفسي في حنين جارف
وأقول الآن لو يسري رنين «الهاتف»
ثم أصغي... فإذا صوتك في سمعي وقلبي
ثم أصغي... فإذا خطوك في أنحاء دربي
يتحدى الناس والليل وبرد العاصف!

■ ■ الصلح خير

«في الحارة»

دعني! دعني!
لا تتبعني ...!
لا تتبع خطوي، لاتأت
أبدًا لن أرجع للبيت
سأضرم البنت إلى حضني
هي بتي! لن تبعد عني
وسأعرف كيف أقاضيك
وأهدم كل أمانيك
وسأقصم ظهرك بالنفقة
أبدًا لن تأخذني شفقة
يا خائن.... يا ناسي العشرة
ما ذنبي كي تجلب ضره؟
ماذا لو أنك لم تنس
ما كنتُ وما كنتُ بالأمس
أولست أنا «زينة الحنة»

من هام بها «الأسطى شحثة»
میکانیکی حی «البغالة»
ضحیتُ ولم أقبل ماله
لسواد عیونک یا ضائع
یا خائب! یارد شوارع
أبدًا لن أرجع للیبت
لا تتبع خطوی، لا تأت
ماذا لو كانت لی لیلة ولها الأخری
أنسیت التضحیة الکیبری؟
عامًا لم أغضب أو أحزن
والضرة تمرح فی المسکن
أمک تؤثرها باللحمة
وتعد علی شذقی اللقمة
وأبوك... المرأة أغرتة
فکل جدید زهوتة
أبدًا لن أر.....
لا تقرب... آی... آی... لا تقرب
ما زلنا فی ضوء المغرب
والناس عیونٌ تأکلنا

وامرأة ترقب ظلينا
خلف الشباك المردود
وحياتك ! لم أنس عهد
فاسبق وتسلك في صمت
سأعود ... إليك ... إلى .. البيت!

■ ■ تكلم

أرْحني فإنَّ الطريقَ طويلٌ وكلُّ الذي حولَ عينيَ فناءٌ
أريدُ النهايةَ حمليَ ثقيلٌ أفي الدربِ ما يستحقُّ العناءَ؟

سكونك أضفى عليَّ المللَ وما من صدىٍ غيرَ رجوعِ خطاي
أعود؟ وكيفَ وما من أملٍ وأمضي؟ وما من رفيقٍ سواي

أرْحني وعلِّمْ عيوني البكاءَ فإني أحبُّ الدموعَ الغزيرةَ
دموعَ الأسى أو دموعَ الهناءِ أليس الغديرُ يروي زهوره؟

تكلِّمْ وسبَّ أبي والجدودَ لعلَّ الشتائمَ تجلو الظلمَ
أبا الهولِ ! إني سئمتُ الجمودَ أريدُ التمنيَ ، أريدُ الألمَ

أريدُ ارتظامًا بصخرةٍ دربي فإني أسيرُ بغيرِ هدفٍ
أمضي؟ أراجع؟ يا ويحَ قلبي تعبتُ أما آن لي أن أقف !

■ ■ ■ نهاية الربيع

وطير الربى حلقت شاديه
ودب على العشب والرايبة
وكفكف أدمعها الجارية
وعب من الخمرة الصافية
قلوبٌ تبث الهوى شاكية
وجنة خلد هنا زاهية
أردد أنغامى الباكية
وفي مقلتي الرؤى الداجية

تهادى الربيع خلوب الرؤى
وأشرق فجرٌ دفع السننا
ومر على وجنات الزهور
وأهوى على شفيتها طويلاً
وبين الخمائل ، تحت الغصون
شبابٌ وحبٌ وحسنٌ نضير
ولكنني رغم هذا الجمال
وأهتف والقلب ثر الحنين

كأكرم ضيف يزور البرايا !
وحملت أغلى صنوف الهدايا
وبالخصب بطن الحقول العرايا
ولألات وجه الغدير مرايا
على الكون تعزف للحسن آيا
وبالغصن دفاً وبالطير نايا

ربيعَ الوجود أتيت الوجود
حملتَ تباشير فصلٍ سعيد
كسوتَ صدور الربا بالورود
وأنعشت بالدفء ثغر المياه
وبعثرتَ ألحانك الراقصات
فمرتْ بطيف النسيم رباباً

وأطلقت من سجنها الكائنات
فيا من حملت الهوى والجمال
حنانك أيقظت في الشعور
فإني وقلبي وروحي السليب

ووردت بالحب خدّ الصبايا
على راحتك كريم السجايا
وجددت في القلب ذكرى هوايا
ضحايا جمال الربيع ... ضحايا !

■ ■ عيناك

يا حبيبي أوحشتني اليوم عيناك فهل لي
 بعد طول الهجر والحرمان أن أعبّر ليلي
 وأراك؟ وأرى الدنيا على ضوء هواك؟ يا حبيبي
 أه من عينيك من هذي العيون الحالمات
 كل ما فيها لغوٌّ ورموزٌ غامضات
 فيهما أفقٌ ونور وكنوز ومرايا
 ومهاودون لـونٍ أو قرارٍ وخفايا
 فيهما غضبة ربٍ وابتسامات وليد
 فيهما روي تهادت فوق نارٍ وجليد
 صولجانان لعرشين شباب وجمال ... يا مليكي
 بهما طوحت في يُسرٍ بهامات الجبال ... يا مليكي
 يا لنجمين أطلا فوق أرضي في غرور!
 أه من فخى حديد وشباكٍ من حريير
 أي قلب يستطيع اليوم أن يرتد حراً
 بعد أن فتحت باب الجنة الكبرى فمراً ...

یا لشباکین من قصرٍ علی نهر فینسیا
یسکبان الذهب الخمری کالشلال من شمس الأصبیل یا جمیلی
کلما سددت لحظًا ثم أرخیت جفونًا
خلتُ خلْتُ الکون حبًا وهیامًا وجنونا!
وتصورتک ظلًا فوق أجوائی مقیم
لإله هدهدته کف «أولیمب» العظیم
ثم أحسست بإحساس غریقٍ ومسافر
مدفوق الشط جسمًا ممیت الإحساس خائر
حین هبت من أقاصی البحر «جنیة» بحر
لم تزل تسقیه من خمیرٍ وأحلامٍ وعطر
ثم ولت حین نادها إله البحر: عودی
والخیال الحلو ما زال بأحضان الشرید یا حبیبی
أوحشَثنی الیوم عیناک تعال لأراک
وأرى الدنیا علی ضوء هواک... یا حبیبی!

■ ■ ذكرى شاعرة

إذا ما شاء لي ربي وساعة ميتي حانت
فلا تبكوا على قبري فرب فجيعة هانت
وقولوا ضمها ليلاً وظلمة أفقها رانت
وأثقل ظهرها تعباً بما حملت وما عانت
وفوق فراش أبويها، فراش الطهر، قد نامت

وقولوا إنها عاشت كباقي الناس إنساناً
لها قلبٌ يناوئها صفاء الروح حيراناً
ضريراً في تطلعه، ضعيف الرأي مدعاناً
فشاد على ضفاف الوهم فوق الرمل بنياناً
وضل فمارأي في ثورة الأنواء شطآننا !

وكان خيالها يسري عنيداً طائشاً غراً
طغى كالسيل مندفعاً وحلق هائمًا حرًا
فكانت دوحة ثكلي وحيناً نخلة حيرى

وحیناً شمعة تخبو ولا تبقى لها ذکری
وما كانت سوى طیرٍ غریبٍ فی الربی ... مرا

وقولوا إنها عاشت سنا الحریة الباسم
وعاشت حرة تهوی كما تهوی بلا عاصم
وما عرفت علی الدنيا لها مولی ولا حاکم
ولا حسبت حساب الحاسد النمام والناقم
فلم تك فی الدنی تخشى سوى من ربّها الدائم!

وفی ظل الهوی عاشت بقلب نائر الحسّ
یهددها علی أملٍ ویطویها علی یأس
وكم لقتها درسا فما حفظت من الدرس
وكم لهتت وكم ظمئت وكم شربت من الكأس
وكان الحب آخر زفرة خرجت مع النفس ...!

■ ■ إلى الملكة دينا

ألقيت بمناسبة تشريف
المملكة «دينا» رابطة الأدب الحديث

ماذا أقول وقد بدوتِ إزائي
عيناى خلف الطلعة الحسناء
فبدا - وإن حاولتِ - دون خفاء
في رقعة فياضة وإبءاء
ما أنتِ غير قصيدة عصماء
كتألق النوار بالأضواء
بصفائها عن وهدة الظلماء
طاوعتِ ما فيها من الإغراء
بتعجب عن نفسك البيضاء
صرخاً به يعلو على الجوزاء
تزهو النساء به على الجهلاء
فعلوتِ من خلق ومن آباء
ببصيرة وبفطنة وذكاء
وعلى يدك رسالة العلماء

الحفل حفلك والغناء غنائي
لما رأيتك راعني ما أبصرتُ
حسنٌ وراء الحسنِ قد أخفيته
نيل وإحساس وقلب شاعرٌ
يا من نظمتُ لها القصيد تجلةً
دينٌ و«دينا» من سناه تألقت
روحٌ سمتُ بجلالها وترفعت
لم تلهك الدنيا بفتتها ولا
أنى حلتِ أرى الأنام تحدثوا
والمرء إن ملك القلوب فقد بنى
يا رمز نهضة أمة عربية
لم يشك الأصل الرفيع عن العلا
وسعيت نحو العلم ترثفينه
ورجعت راسخة العقيدة حرةً

ونشرتها بین الشباب جديرةً
ونزلت ميدان الحياة سعيدةً
يا أيها القلب الكبير تحيةً
هذي هي الدار التي شرفتها
الفرحة الكبرى تشيع بجوها
هي ليلة سنظل نحمل ذكرها
ونود لو سمح الزمان بغيرها
عفوًا إذا لم أفض بالمعنى الذي
فالشعر إن يطغى عليه شعوره
بمكانة التدريس والإلقاء
عن طيب نفس لا لأجل ثراء
أندى شذى من روضة غناء
لاحت على زهور وفي خيلاء
وبأهلها وضيوفها الكرماء
بالود والتقدير والإعلاء
وبغيرها وتتابع بلقاء
جاشت به نفسي وعز رجائي
عجزت معانيه عن الإفضاء

■ ■ حماد الألع

عجيب أن أعيش وأن أغني
عجيب أن أرى الأضواء تزهو
فقد مرت على قلبي هموم
ولست ألوم من سئموا فولوا
فلو أي حملت هموم غيري
لضقنا بالحياة وما عليها
ولست ألوم من صمتوا كموتي
نبش فيقبلون فإن حزننا
ولكنني حصدت ثمار حزني
وبت أرى الحياة بعين قلبي
عرفت الحب في الأفراد سَفَرًا
ولكن إذ عرفتُ فتحتُ قلبي
وقلت برغم إخفاقي سأحيا
فقلبي إذ سما في ظل روعي

وقد نال الفناء مناه مني
وأن أصغى إلى صوتي المرن
لو انقسمت على الأحياء تفتنى
ومن واسوا على حرص وضمن
ولو غيري تحمّل عبء حزني
وما عدنا نقارن بين خدن
وكانوا يسألون النجم عني
فقد قلبوا لنا ظهر المجن
وحنكني الأسى فجلوت ذهني
وكنت أرى زواياها بعيني
حوى صور الجحود بكل لون
وبالحب الكبير شملت كوني
أصون على المدى من لم يصني
تساوى الأخذ والإعطاء مني

ویسر لی الأسی صلتی بربی
فإن عبادة الفنان نجوی
رأیت الله فی لیل وصمتی
رأیت یذًا مضوأة تجلت
فمرت فوق أفئدة الیتامی
وظافت بالجبال ذری وهامی
فقلتُ : حنانک اللهم عفوا
جهلت حنانک الفیاض یطغی
فهب قلبی عیونًا من ضیاء
وزد مقدار حبک فی فؤادی
لأنی إذ أحبک یا إلهی
وناجیتُ الطبیعة فی تآنی
لما فی الکون من حسن لحسن
وفی نوم الوجود المطمئن
لتحتضن الوری من کل رکن
وکفکفت الدموع بکل عین
وحول خطی النمال بکل کن
جهلتک یا رحیم وأنت عونی
علی بحر التمرد والتجنی
یصد بها عثار الیأس عنی
لأملًا ما استطعتُ فراغ ذنی
أحب الناس والدنیا وکونی

■ ■ دعاء الأمومة

انتاب ابني - علاوة على مرضه العقلي -
مرض جسماني خطير بعث هذا الدعاء من
أعماق قلبي

رب ! إن كنت إليك اليوم أشكو وأعاتبُ
فيقيني أن على شكواي يومًا لن أحاسب
طالما دلت مخلوقك ما انفك يطالب
يا أبي ! يارب هذا الكون ! يارب البرايا ...

صغت لي التمثال ياربِّي جهمًا ومشوه
فمضيتُ العمر أشكوك وأبكي ... أتأوه
بغثة أحسستُ ثغري ساكنًا لا يتفوه
وفؤادي ناكرًا أنك خلاق الضحايا

هكذا روضتُ نفسي بعد ثورات جنوني
وقنعتُ الأمس من دنياي بالطفل الأفين
واحتفظت الأمس بالإيمان في ليل ظنوني

كان يكفي! كان يكفي أنني أرضي شقايا!

لِمَ هذي القسوة الكبرى على قلبٍ شريد؟
لِمَ تعذبي وإذلا لي بتعذيب وحيدي؟
أحسبتَ اليوم إيماني أقوى من حديد
وأنا يارب شكُّ ... وذنوبٌ ... وخطايا ..؟

ربما يارب قد تبغي هنائي بفراقه
ربما من سجنه الأرضي تهفو لانطلاقه
ربما ... لكن لي عقلاً تردى في وثاقه
لا يرى فيما ترى غير المآسي والبلايا!

لِمَ إذن أعطيتني هذا الهوى المشبوب فيًا
لِمَ سلمتَ له قلبي وقيدتَ يديا
أه لِمَ أفنيتني فيه ولم تبق عليا
لِمَ لم تترك له شيئاً على الدنيا سوايا؟

أنت أدري أنه أسباب عيشي وبقائي
أنه الشيء الذي يربط أرضي بسمائي

أنه حتى وإن سمم في الكون دمائي
غير أني لست أرضى جنّة دون فتايا!

إنه قيثار روعي لا تدعه يتطحم
كيف إن قطعت أوتار فؤادي يترنم
كيف أجلك وفي جنبي أفقٌ متهجم
كيف أشدو بهواك الحر في سجن أسايا؟

أنا إن كنت تمردت على حكمك يوماً
ربما كان لأنني لم أكن عانيت همّاً
بعدهذا الألم الجبار لا أملك لوماً
إنما أدعوك: هل تقبل يا ربي دعايا...؟

■ ■ قتلتني يا ولدي

كما تجعد الرياح صفحة الغدير
كغيمة تطفو على وجه الدنى المنير
كصرخة غضبي بسمع نائم قريـر
كحزة السكين فوق الطبق البلور
قتلتني يا ولدي ... سممت لي شعوري !

الكون ! ما الكون ؟ فإني لا أرى إلاك
روضي الذي أينعته تلهوبه كفاك
فطائرٌ يندرنى ... وطائر ينعاك
رحماك إن الموت في عيني وفي تصويري !
قتلتني يا ولدي ! سممت لي شعوري

الحب ؟ ما الحب ؟ وفي قلبي هوى من نار
وأنت لي أبى ، أخى ، زوجي ورب الدار
أنت امتلائي المتشبي في هوة الأقدار
رحماك ! إن الموت في حسي وفي تفكيرى !
قتلتني يا ولدي ! سممت لي شعوري

■ ■ إهداء

يا ابنة العمر إنها لعداك
وتطوف الغيوم عبر سماك
كل فرد يرى على دنياك
سوف أحيأ بصورتي لأراك
هو أقوى من الردى الفتاك
قد تحانى عليك يلثم فاك
إنها سنة الذي سواك
فالمعاني التي بها معنأك
وغرور الإنسان في منفاك
وبقاء الجماد في يمنأك
ليس يستأهل الوجود بكأك
فاحفظيها لأستشف رؤأك
صورتى وهي مالها إلاك
وتراعين في الوجود أخاك
يوم لا يحمل الجواب سواك
حين أدعو الإله أن يرعاك !

هذه صورتي إليك ملاكي
كلما تغدر الحياة وتقسو
وترين الذي رأيتُ ومثلي
فانظري ! انظري إليها فإني
إن قلباً حوى الأمومة يوماً
فإذا ما رأيت فيها خيالي
فاحضنيه ولا تتني لموتي
واقربي صفحة الحياة عليها
ثم قيسي تفاهة العيش منها
وتلاشى وانحلال كياني
وابسمي ابسمي اذدراءاً وهزءاً
صورة أوضحت معالم نفسي
فسأمضي وليس عندك إلا
وبها سوف تذكرين عهدى
إنما أنت من ستسأل عنه
والجزاء الذي سأهديك بعدي

■ ■ تدر

«إلى ابني»

أقسمتُ أني لن أحبك يا فتى
قلبي يثور على حنان أمومتي
قلبي يحب يحب يشعر يشتهي
آلاف أشواق وألف صبابة
وبه استوت كالجن عريدة الهوى
قلبي يثور يهب يقفز غاضبًا
وأراه يرسم في الهوى خططاله
أفنيه فيك بني وهو معذب
وأود لو أنساق إثر ركابه
يا قلب يا قلب استكن فإنما
تالله لن أثنيك عن درب الهوى
إلا بقدرٍ عاقلٍ وضمنين
يأبى علي متاعبي وشجونني
ويود لو ضم الدنى يجنون!
ومئات أوهام به وظنون
وتمازجت بعناصر التكوين
ويود يفلت من ظلام سجونني
مستغرقًا في نشوة وحنين
يبغي لذات الهوى المفتون
لكن حبك لا ينني يثنيني
لك ما تريد وما لمت ببيني
لا بل أحثك فامض هاك يميني!

■ ■ زمان ويا مكان

إذا ما هرمتُ وهد الزمان كياني وصارت رؤاي قبيحة
وأمسّت حياتي فراغًا فراغًا وبينني الكئيب دناي الفسيحة
وكل الذي أشتهي في الوجود فراشًا ولقمة عيشٍ مريحة
فكيف أسلي كآبة ليلي وحتى يومي الذي سوف أقضي أيامه طريحة؟

سأحكي ! ولكن لمن سوف أحكي؟ وعندي حكايات جيل كثيرة
سأفتح كل خزائن قلبي وأنهب منها كنوزي النضيرة
فإن ضاق بي القوم كلفتُ نفسي وأجرت عندي فتاةً فقيرة
لتحمل عبء حديثي الثقيل وتصغي إلي بعين قريرة

سأحكي : «زمانٌ وياما كان» وعني وعن حسني الرائع
ووجهي الجميل وخصري النحيل وعن شعري الناعم اللامع
وأمضي على لذة وانتشاء أعب من المنهل المترع
فما من عجوز سوى ربة الحسن - في أمسها - والصبأ اليانع

سأحكي : «زمانٌ وياما كان» كأني أحكي لها ألف ليلة
وتمضي الفتاة تدلكِ رجلي وساقِي وكل عظامي النحيلة
وتتبع في الأرض قرب السرير فأفرح حين أراها ذليلة
ألسْتُ اشتريت صباها النضير بمالي وأفقدتها كل حيلة ؟

سأحكي لها كيف لم يك يوماً سوى قمرٍ في الفضاء وحيد
وأني عاصرت عهد العجائب ؟ عهد البطولة في بور سعيد
وأنى في زمني كنت أكتب شيئاً جميلاً يسمى قصيد
سأحكي وأحكي فلن أملك الغد إلا حكايات عهد سعيد !

سأغمض عيني عن حاضري وارتد نحو الهوى والضياء
وتمضي المواكب في سيرها فتوناً ودينا تفيض بهاء
وأرنو ولا شيء في غرفتي سوى الصمت بحضن طيف الفناء
وغير الصبية تحنو عليّ وفي يدها جرعة من دواء

رجوتك يارب ألا أعيش لكيلاً أحقق هذا الخيال
فما العيش إلا شابٌ وحبٌّ وإن أوغلا في دروب الضلال
فدعني أمتُ قبل أن أستفيق وأرقب موتي البطيء الزوال
فإني أطمع في القرب منك وأنت جميل ... تحب الجمال !

■ ■ منذ عشرين ربيعاً

منذ عشرين ربيعاً ... في صباي
ها هنا ... كنت أغني لهواي
يا نسيم إسكندرية ! يا مغانيها الشذية !
منذ عشرين ربيعاً ... يا له من عمراً طويلاً وحزين !
إنه كان بأمسي قدر ما بيني وبينك ... من سنين
وهو في الحاضر عمر العاشقين ... في حياتي
كنت أهواك كبيراً وكبيراً بالسنين بالجمال
كنت أهوى الحسن في كل خيال
غير أنني اليوم ما عدت أفرق أي وربي ! كلما أسأل قلبي
هكذا يلقي جوابه ... «المهم الاستجابة»
منذ عشرين ربيعاً يا لها من أخيلة ومئات الأسئلة
هذه الدنيا الرحبة أترى وليت عنها وأنا وحدي أعيش
في دياجها الرهيبه ؟ أترى تحيا عليها مثلما أحيا غريبة ؟
أم تراك ؟ ... لست غضبي أنه شرع الحياة
وهي ؟ هل تبدو جميلة ؟ والذكور ؟ والبنات
أترى فيهن من تدعي جليلة ؟

وخیالی؟ أتناجیه مرارًا؟
عبثًا! إنا نسينا أجمل الأشياء فینا
ذلك النسیان إذ یأسو الجراح
منذ عشرين ربیعًا! إنه عمر طویل!

■ ■ ساعة العمر

بينني وبينك ساعةٌ مرت بنا
هي ساعة لا العمر يعدلها ولا
أسقيتني فيها رحيق خلودها
إن كنت أنت نسيتهَا يا شاعري
فلربما قد عشتهَا في غيرها
لا ليس لي أمرٌ ولا لك من يدٍ
إذ كيف كنا نستطيع عبورها
نحن الخجولان اللذان مع الوري
ما بالنار حنا نثرثر في لظى
أو هكذا شأن السواهي في الدني

يا للمصادفة الحبيبة إنها
إذ رححت تقرأ يا عنيد قصيدي
ولمحتُ أنك غرتَ من أفكارها
فهملتُ أخطف من يدك قصيدي
هي وحدها أضفت نعيم بهاها
وتقول لي: «لا أستسيغ صداها»
ومن الهوى المنساب في معناها
والغيظ يأكل مهجتي وحشاها

لكنْ أبيتْ علی فرض إرادتی
ومع التقارب والتباعد ضمنا
شيء سرى كالنار فی جنباتنا
شيء تملکنا وقاد زماننا
ثم انتبهتُ وفي يدي قصیدتی
هي ساعةٌ لا العمر يعدلها ولا
ولويت ساعدك الذي أخفاها
شيء إذا شبّهتُ لیس يضاهي
وثنى الضلوع وأحرق الأفواها
وطوى الدنى فی عيننا ، أفناها
والعقل مني غائبٌ قد تاهها
یرجى لنا بعد النوى لقیهاها!

■ ■ خملة شعر

وأين مقامهن اليوم صارا
وأرقدت الشعيرات القصارا
قديم العهد آثرن الجوارا
عن الماضي ويسدلن الستارا
عن الرقباء أحكمت الحصارا
بما حملنها العهد اضطرارًا
لأنظار العشيقات السكارى
وقد احتل الخواطر والديارا
بهن على الثرى ذلاً وعارا
وكن لك الأمانى والفخارا
كما تنأى عن الثوب الغبارا
فهمن مشردات كالحيارى
وأين مقامهن اليوم صارا!

تُرى كيف استحلن مع الليالي
أفوق الصدر وسّدت الغوالي
أطى صحيفتين خلال سفر
أم أنك شئت أن يغفلن حينًا
وفي درج من الأدراج ناء
وهل ضاقت بهن النفس يومًا
وخفتَ إذا مكثن غدون نهبًا
وخفتَ إذا مكثن رأيت طيفي
ومن إحدى النوافذ رحت تلقي
فبددت الشعيرات الغوالي
ومن شبحي الأخير نفضت كفاً
وجاءتهن ريح الليل غضبى
تُرى كيف استحلن مع الليالي

■ ■ تفاعلة رجل

وكان مساء شتاء حزينٍ رهيبٍ تجمد في الغرفة
وفوق الفراش الدفع الوثير رنت في شرود إلى لمبة
هنالك فوق صوان صغير تشد وترخي بسخرية
خيوط ضياءٍ خبيثٍ تجلى وقد رققت حوله كائنات
لتسويحي الـــــرؤى والحيـــــاة

وألقّت بسماعة «الهاتف» وقامت على حذر وانفعال
ومطت على حيرة شفيتها وزمتها في أسى وانخزال
وما زال يسري صدى صوتها غريبًا عليها ينادي: تعال
طليقًا ترده الكائنات سجينًا بأعماقها الواجفة
كزمجرة العاصفة ...
ومدت خطي في غرورٍ وزهو لمرأتها كي تكحل عين
تضمصر خصرًا، تعطر صدرًا وتخفض من شعرها خصلتين
وفي فكرها يتهادى سؤال: «أسوف يطيل المكوث؟ وأين؟»
وسارت إلى بابها في ذهول وفي اليد مزلاجه ينتظر
خطى العاشق المنتظر

وفي الصالة الجهمة الواسعة ... على صرخة الكلبة المفزعة
مضت وهو من خلفها تابعٌ يسيران في عثرة ضائعة
كلصين يستبقان الخطى وتحميهما الظلمة الشائعة
وراحت تنحي ستارًا ستارًا وتبعد عنها وعنه الظلال
وتهمس سسس سسس كرى : تعال !

وحين استقرا على وحدةٍ وفاضا هناء ونفح ضياء
ترأى لها ظل شيء صغيرٍ تمدد فوق الصوان ... وناء
وقام فتاها على نشوةٍ ولم يدر ما هو معنى الحياء
كأن التي جنبه «عاهرة» أتاها كريمًا سخي العطاء
وجاء بقرطاس «تفاحة» ومد يدًا ثم قال غدًا
لك مني زجاجة خمرة ... !

ودوم في قلبها عاصفٌ كالخضم ...
تفجر حقدًا وحزنًا وفاض سأم ...
وراحت تحددق في كل ركن
وما زالت اللبنة الساخرة
تقهقه في شهقة فاترة
وتفتح عينًا وتغلق عين ... !

■ ■ تناقض

مع الليل أسأل قلبي الحزين
وفي الليل يُفتح باب السجون
وفي الليل نكشف عنا القناع
ويقتل فينا الظلام الصراع
مع الليل أسأل قلبي الحزين
وكيف عشقتَ الذي لن يكون
فيهتف قلبي صخوب الدمِ
لماذا رياح الشمال تجوب
وفي سيرها تلتقي بالجنوب
لماذا يظل غيم أفق
يلبي الشروق نداء الغسق

وفي الليل يحلو اعتراف النفوس
وعبر الحياة تطل الرؤوس
ونبسط كل الذنوب السحيفة
فيهوي الغرور ونبدو حقيقة
لماذا تعيش بظل التمني
وما أنا منه ولا هو مني؟
أنالم أشذ ولم أجرم
خلال الزمان
فيعتنقـان؟
ويحنو عليه؟
فيمضي إليه؟

تعربد شمس الضحى فوق نهر حزين؟

تنام طيور الفضاء بجوف الغصون؟ لماذا؟

ويصمت قلبي ولم أكملِ
مريـر المذاق وكالحنظل
فما زلت أخفي اعترافاً خطير
ولكن عليه الحياة تسير

أيا قلب يا أفق ذاتي المضيء
تحس ببعض الشعور الدنيء
فإن كنت أنت الأبى الطهور
فكيف بقلب شقي حقيير
وإن كانت القدم الطافرة
فكيف بتلك الخطى العائرة
ولكن قلبي يرد السؤال
فنادى إلهك رمز الكمال
لماذا خلقت القلوب الكبيرة
أراك وإن كنت تبدو حنوناً
فتحقد حيناً وتحسد حيناً
تحس وترضى بهذا الشعور
وماذا بعمق دجاء يدور؟
تمد الشرور لها مرقداً
وأى اندفاع لها أو مدى..؟
إذا كنتُ أحقد أحسد حيناً
لماذا خلقت التناقض فينا؟
حقيرة حقيرة حقيرة ..؟

■ ■ أشجار البلوط

مترجمة عن العبرية

همست إليّ... متأرجحة في ظهر صيف مضطرم
«ماذا ترى؟ هو ذا الثرى! وكياننا الممتد
في ظل حنون...
أو لا تحسهما ضريحًا قائمًا...
وَجُد ليتزعا المتاعب والشجون؟
فاقربهما... أطفئ لهيبك في رطوبة أرضنا
يا عنصر الدم الصخوب...
لتمت! أجل موتًا حقيقيًا أكيد
موتًا يصاحبه السكون
كم مرة في اليوم أنت تموت من ألمٍ
وتُبعث من جديد...!
سنقيم منك وليمةً متوزعة....
النصف للديدان والثاني... لنا
لغذائنا... وتستطيع غداً... غداً
أن تُبتعث... في زهرةٍ من روضنا
في أي ركنٍ بالدنى...

فبكل شيء ... من كل شيء ...
تسري الحياة بلا انتهاء ... فتعال لا تخش الفناء
برّد دماءك في رطوبة أرضنا
يا عنصر الدم ... يا لحم!
وكذا أسرت في حنان ... أغصانها المتأرجحة
متوسلات بينما ...
تلك القبور ... ظلت تحدّق صامته؟

■ ■ حان وقت الرحیل

ودجا اللیل والعجوز تعاني عبء ذكرى شبابها المنكود
ومضى الحارس الغلیظ : «حان وقت الرحیل يا أنت ... عودي!»
وانثت تهبط السلام في صمتٍ وتطوي دروبها المجهولة
وطيوف الرؤى تعید إليها ذكريات كئيبةً وجميلة
يوم كانت - بأمسها - زهرةً يانعةً بين فتنةٍ وتدلل
علمتها الحياة كيف تثير الوجد في مهجة الرجال وتشعل
يوم أن كان حلمها البكر تحظى بنیل يغدو لها كشریک
فإذاها في لمحاة العين تُختار عروسًا وزوجة للملیك

ومضت فترةً تقدّر بالعاملین مرًا على جناح الريح
في ظلال الحنان والحب والمجد وفي موكب من الأفراح
وعلى حين بغتةٍ شبت الثورة كالنار في قلوب الرجال
فإذا الشعب ناقمٌ ضاق بالتاج على رأس خائن محتال
حول أسوار قصره طاف كالموج صخبًا مجلجلًا مشورًا
إنه بارتظامه بالصخور الصم هيهات أن يمل الهدیرا

وإذا الزوج في العشيّة قد فرّ وظلت عروسه بالدار
تنقذ التاج للنهاية أو تبقى على عرش طفلها المنهار
بيد أن الساعات كانت سجلاً من بنان الهزائم الموصولة
خضع الجيش في رضاء وأرعى حرس القصر كل عزم وحيله
ودجا الليل والملیكة ما زالت تعاني طوائف الذكريات
ومضى الياور الأمين ينادي : «حان وقت الرحيل يا مولاتي!»

وانثنت تهبط السلام في صمت وتطوي دروبها مخذولة
نحو منفى الذين ينسون يوماً ما لشعبٍ من الحقوق الأصيلة
غير أن الزمان لم تكفه مأساتها بين غربة وشقاء
بل طوى الزوج والوليد سوياً في دجى الموت ، في قبور الفناء
وتكر الأعوام في سأم ، في عزلة لا ترى سوى الأشباح
وسوى الذكريات تنهش جنيها وأعباء عمرها والجراح
وإذا الزهرة النضيرة تذوي ويجف الشذى بمر الزمان
نسى الناس من تكون ومن كانت وغاب اسمها عن الأذهان
وتراءت لها الحياة كصفحات كتاب وشيكة الانتهاء
لحظة ... ثم تختفي مثل حلم في دجى الليل مثقل بالبكاء

واعترهاها الحنين كالنار يمضي بخطاها لموطن أصلي
حين لبت وفي يديها جوازٌ خُطَّ باسم غير اسمها الشخصي
ها هي اليوم في الطريق إلى عاصمةٍ غاب شكلها والمعالم
إذ كساها العمران كل طريفٍ في المباني وفي الرياض البواسم
في دروب بالأمس كم وقف الشعب وحيًا مرورها ثم حيًا
نحو قصرٍ قد ضمَّ ملكين حينًا فغدا اليوم متحفًا شعبيًا
ها هي اليوم في حناياه تخطو وتناجي أجواءه الزاهيات
كله ! كله ملئ بذكرها ولكنها عديم الحياة
الفراش الوثير ! والمقعد الحاني ! وحتى مرآتها المصقولة
أترى تعكس الجمال كما كانت ؟ ترى تعكس العيون الكحيلة!
أم تراها كذلك القدر القاسي عليها عنيده شريرة
لا تراعي الشعور والحس ، لا تخفي تجاعيد وجهها المحفورة

واستقرت هناك قرب جدار قد تحلى بلوحة زيتية
مثلتها وقد أحاطت بها بعض الحسان النبيلة الملكية
ومضت تمعن التأمل فيها ولهيب الحنين ملء دماها
تبصر الفن كيف يدخر الذكرى ويبقى على ازدهار صباها
وتناهى صوتٌ إليها لطيف كان يرنو - وراءها - للصورة
صاح : ما أجمل المليكة ويحي ! تلك كانت جنيةً مسحورة

فإذا الشك يحتوي روحها ويمحو حلامها المبهورة
أوحقاً؟ أجائز ما تراه؟ أتراها هذي الفتاة النضيرة؟
ودجا الليل والعجوز تعاني عبء ذكرى شبابها المنكود
ومضى الحارس الغليظ ينادي : حان وقت الرحيل يا أنت ! عودي!
وكما جرت الخطى ذات ليل حين فرت من قصرها مخلوعة
طأطأت رأسها الصغير بجهد وهي تنساب كالخيال مطيعة
وانثنت تهبط السلام في صمت وتطوي دروبها المجهولة
وطيوف الرؤى تعيد إليها ذكريات من الهموم ثقيلة

■ ■ سیدی

قد كان قلبٌ كنهيرٍ حالمٍ
كالهیکل النائي المضيء بلا صدی
وكلقلب غابٍ في هدوء مسائه
قد كان قيثارًا تراخى حسه
حتى رأيتك لم أعد أدري سوى
لم أدر ماذا قلت أو قال الهوى
قد تعجز النجوى ورب إشارة
يا للهوى! حدثٌ صغيرٌ تافهٌ
فإذا أنا كشجيرة رفاقةٍ
وتكاد من فرج تطير غصونها
وإذا أنا دوامةٌ صخّابةٌ
حتى إذا اخترقت عيونك مهجتي
لم يعتكر بالريح أو يتجعد
وبغير طيفٍ ساجدٍ متعبد
من قبل أن تأتيه عاصفة الغد
أوتاره الصماء لم تتأود
أني انتظرتك منذ ساعة مولدي
لكن لمستُ حنان كَفِّك في يدي
جذبت عنيّدًا للهوى المتوقد
صنع الحياة وقادنا كالمرشد
غنّت بها الأوراق للفجر الندي
من غير ما هدف لها أو مقصد
في عمق بحرٍ بالمشاعر مزبد
أيقنتُ أنك رغم أنفي سیدی!

■ ■ الدجاجة

باسم الإله ! باسم الصليب !
 ويروح يذبحها في كفيه عزم لا يلين
 فترفرف المسكينة اللهثى وتهمد في سكون
 رحماك يا ربي وأنت لنا الرحيم الأكبر !
 رحماك ! هل هذي الدجاجة حين تذبح تشعر ؟
 عفواً فكم سألتك نفسي في عناد حائر
 ما سر حكمتك الرهيبة في عذاب الطائر ؟
 أيقنتُ أن لكل فردٍ في الوجود هنا نهاية
 أيقنتُ أو من أنه في كل ما سددت غاية
 أيقنتُ أن جزاءنا يا رب من جنس العمل
 أن انتقامك لا يحد وأن عفوك مكتمل
 لكن ما ذنب الضعيف وذنب طير أبكم
 ما ذنب روح في الوجود بريئة لم تأثم
 ما ذنبها حتى تعيش على اشتها بطوننا
 لأجلنا يا رب حللت «الحرام» لأجلنا ..؟

■ ■ إلى کلبتي

تعتبرینا أحياناً فترات من الیأس تنقلب إلى
سخریة واستخفاف بأدق مشاعر الحیاة

موتی ! فما العیش من نعم
إنی أراك الیوم ساکنة
وأراك تتفضّلین من ألم
وكانما تخشین واعجبی
موتی ! فإن العمر مهزلة
ها قد شربت أكلت فی نهم
سخر الزمان بنا فأوجدنی
إذ عشت طول العمر راهبة
ماذا؟ أكنتُ أراك سادرة
وأنا؟ أنا الحرمان یقتلنی
موتی ! فلم تلتکئین هنا
نعم الحیاة جمیعها فقدت

«بیجو» وما حوت الدنی خیر
أنتِ التي لم تعرفی الصبرا
وقد انکمشت ذلیلة حیرى
الموت ! وهو الراحة الكبرى
مثلتها وأمثل الدوراً
هل فی دناک رغائب أخرى
وحملت أنت العبء والوزرا
من غیر خل یبعث الذکری
فی الحب ترتشفینه سکرى
وأعب طی کؤوسه المرا
أهناک ما یستأهل العمرا؟
فعلام تبقى السلوة الصغری؟

موتی ! فإن حیاتک انطفأت منذ ابتدأت هنا تعیشینا

من يوم جئت هنا «مقطفة»
من يوم أن شاركتِ عابثةً
عضعضتها ونزعت شاربها
وهي التي عاشت مدللةً
صينيةً وفدت على بلدي
أكرمتها ولكم نكرم في
لكنها كالبعض واعجبي
ومضت كما تمضي الحياة بنا

كالأرنب البرى تجرينا
«بوسي»^(١) هوى باللهم مفتونا
وقرضت فروة ذيلها حيناً
وكأنها ملك يدانينا
وأتى إليّ بها المحبونا
وطني الغريب وإن يكن «دونا»
عشقت وكم عشقت فراعينا
فعلام أنت اليوم تحيينا؟

(١) بوسي : قطة صينية .

■ ■ الهوی المنقود

إنی افتقدتک لم أجدک فی الفؤاد هنا مکاناً
وظللت أرهف مسمعی لم أستمع لصدی هوأنا
ومضیت أخرق الدجی وأطل من خلف الدموع
على أشاهد ومضة رفاة خلف الضلوع
فیذا الدجی والصمت ضما بین جنبی هوأنا!

وخرجت من تیه الفؤاد إلى متاهات الحیاة
ومضیت أستبق الخطی وأمر عبر الذکریات
ومضى الخیال یعود بی نحو السنین الماضیة
قلقاً، یفتش عنک فی أنحاء ذاتی الخالیة
متسائلاً: هل كنت حلمًا قد تخلل أمسیاتی؟

حتى رأیتک مقبلًا فی درب غربتی الحزینة
فی عمق روحک أنه تحتاج أطياف السکینة
وعلى شفاهک بسمه حیرى ولحن یتتحب

والكبرياء تفيض في ضوء وإشراقٍ عذب
وبناظريك تجول أشواقٌ مؤججةً دفينه

فمددت ... من منا أجا ب هواه؟ من مد اليدا؟
من راح في ترنيمه الأطار يخفق منشدا؟
من كان أول من أحس دماه تلهب في الخفاء
من ضم ساعد إلفه ومضى به نحو الضياء
أتراك أنت؟ ترى الهوى؟ أم كان قلبي مرشداً؟

وتعثرت أقدامنا بالشوك حيناً والصخور
ودهت صواعق دهرنا منا الجوانح والصدور
والريح تزار حولنا وتعضنا ناب القدر
والرعد فوق رؤوسنا والموج يهدر والمطر
وعلى الدروب تمددت كتل الدجنة كالقبور

لكننا سرنا ... وفي أعماقنا روح الرضاء
نشدو ونلهج بالهوى متجمعين على الوفاء
الليل حول عيوننا فجرٌ وأضواءً نقيه

وشتاؤنا الممتد أزهاراً وأنسامٌ نديّة
وصفیر قاطرة الريح نداءً أطيّار الفضاء!..

لكننا سرنا وفي أعماقنا نبع السرور
روحین عانقتا الضیاء علی موجات الأثير
متراقصین علی أغاني الفن شوقاً واضطراباً
متمایلین علی ارتعاش اللحن زهواً وانسجاماً
متضخمین بعطرنا الممزوج من طهرٍ ونور

حتى إذا انتصف الطريق رأيت ظلك ضائعاً!
ولمحتُ طيفاً آخرًا يعوي ويزأر جائعاً
في عينه ظمأً تسلل منه ومضٌ كاللهيب
متوثباً يرنو إليّ بنظرة الذئب الرهيب
متوقد الشهوات منطلق الرغائب... تابعاً!

فمضيتُ أسأل أين أنت وأين طيفك؟ هل يعود؟
وظفت أبحث عنك في لهف وأحدق في شرود
وظللت أتحرق الدجى وأطل من خلف الدموع
على أشاهد ومضةً تهتز خلف دجى الضلوع

فإذا الظلام مغلفٌ والصمت منتشر مديد

ثم انتبهتُ فإذا أنا بالأمس ... بالأمس القريب
واريتُ نعشك أضلعي في ركنه الدامي الرهيب
إذا هلتُ فوق الجثة النكراء أتربة الفناء
وعلى ضريحك قد كتبت بالاحتقار وبالجفاء
« مات الذي خدع الهوى » لم يحترم طهر الحبيب

■ ■ النواء

انتهینا.....

انتهی الدرب الذی منه أتینا
إن نکن نبغی مزیداً من هوانا
لِمَ أرهقنا علی الدرب قوانا؟
لِمَ فقدنا فیهِ روحاً وکیاناً
لِمَ کَمَ نمش الهوینا...؟ لِمَ جرینا..!
ما علینا

حینما جنناه یوماً والتقینا
لو نسینا أن فی الدرب سوانا
قد طواه ثم لم یلق الهوانا
لو تذرنا ضحایاه الحزانی
انتهوا منه کما نحن انتهینا...

انتهینا

أین نمضی والدجی فی ناظرینا
أی إعصارٍ وثلجٍ فی دماننا

وفراغٍ هائلٍ ضمت يدانا
إن نكن نبغي لقلبينا الأمانا
لم تركنا الدرب حرًا... والتوينا؟

■ المرأة والحب

«زوزو» سيدة أجنبية ظلت جارتى عدة أعوام وافترقت عنها ، بلغني أنها هجرت زوجها وطفليها وأحبت غيره ، وفي الطريق العام قابلتها حطامًا وطلالا ... لم أعرفها وبادرتني بالتحية ، قلت لها عاتبة : ماذا فعلت ؟ أجابت

أنا مجرمة أنا مجرمة ...
رحماك يا أختي الحبيبة لا تكوني ظالمة
هم يجهلون وأنت أدري الناس أنت العالمة
أنا في خضم ... في خضم من دماء مضرمة
طفلاي يعتصران قلبي والهوى قد حطمه
أمسيتُ في عين الصديقات القدامى مجرمة
وغدوتُ في حلق العجائز بصقة متبرمة
وعلى فم الطرقات غنوة صبية مترنمة
وعلى جبين أبي بدوت حفائراً متقحمة
وبناظري أمي خيالاً من قبور مظلمة
وبخاطري طفلي ذكرى صورة متهمشمة
من أي شيء قد خلقتُ ؟ ومن أنا؟ أنا مجرمة
أنا مجرمة أنا مجرمة

ما ذنب هذا الزوج حتى أستبيح تألمه
وأنا التي كم عشتُ في أحضانه متنعمة

ووهبته طفلين قد بهرا سماه وأنجمه
 لا ! ليس لي ماضي ولا ذكرى تهوم حائمه
 قدري تخير لي الطريق فجئتته مترسمة
 هل كان في المقدور أن أخفي هواي وأكتمه
 وأصد قلبي عن هواه أصمه بل ألجمه
 وأصبح يا قلب ابتعدْ هذي الدروب محرمة
 هل كان في المقدور أن أهب الهوى وأقسمه
 وأعيش في كنف الخديعة حرةً ومعظمة
 حاشا ! فإن العار أهون لي ... ولست بنادمه!
 أنا مجرمة أنا مجرمة

أهواه يا أختي وأعبده عبادة مغرمة
 أنا من أنا؟ أنا آلةٌ في كفة مستسلمة
 قد بعثُ روعي للشياطين التي ترعى دمه
 هولي أنا وحدي أنا فإذا مضى لن أرغمه
 بل سوف أحتضن الردى وأضمه متبسمه
 لا لست أبغي اليوم إلا أن أعيش وأنعمه
 ومضت وفي خطواتها أنات روح هائمه
 ووجدتني وحدي على الدرب الفسيح متممة
 «حقاً فإن حياتها للشعر تصلح ملحمة!»

■ ■ مهزلة القدر

«رثاء إلى كل فنان كرم بعد موته
عسى أن يصل إلى آذان من يفتلون
الكحك بعد العيد»

نم يا أبي النفس معتبطاً
عانيت ما عانيت من ألم
وسهرت والدينا موسدةً
تجتاحك الأقدار ساخرةً
فالنفس تشقى من مشاعرها
أرخصت شدوك للأنام وقد
كحلتهم بالنور فانصرفوا
حتى إذا أغفيت منهزمًا
جاؤوا على عجل ومغفرة
كالشهب إن تسقط تشع سني
نم يا أبي النفس معتبطاً
فالموت للفنان مكرمةً
لا تحسد الأحياء في الشر
لم تجن غير المكر والغدر
لم ترع حق الجسم والفكر
وتضحج كالمسجون في الأسر
ولئن بدت موفورة البشر
أفرغته في مسمع الصخر
كالعمى بين مهامه القفر
وطويت صفحة ذلك السفر
ليقدموا لك أمجد النصر
وكذاك حال الشاعر الحر
اليوم تبلغ غاية الفخر
تحميه من ظلم ومن قهر...!

■ ■ أمنيات

ليت لي مرفأ بي يحتمي حسي إذا ثار أو أفاض عبابه
ليت لي خبرة بكل لغات الأرض أتلوها الورى وكتابه
فأرى حلم زهرة تتخفى وأرى عين نرجس مرتابة
وتصير الجبال والبحر والآفاق يوماً لناظري أهدابه
ليت للقلب بين ألف صديق مخلصاً واحداً يواسي عذابه
ليت عبد النفاق يصبح حرّاً وسجين الغرور يحطم بابه
والخفافيش تستجيب لمرأى النور والغاب يسترد ذئابه
وتواييت حقدنا تتهاوى وأزاهير حينا تتشابه
ليت للعين أن تقاوم سحر العين للقلب أن يحد رغبه
ليت قلب الفراغ يملؤه الله بحب لذته ... ومهابه !

■ ■ صلاة الفجر

یارب أعط السائل المحروم أسباب السرور
وامنح لكل مشردٍ ركنًا موشى بالحریر
أطفئ وقود الحرب في الدول المؤججة السعیر
وامح الضغينة من فؤاد الذئب للحمل الصغیر
وعلى جبین الكون ضغُ قبل المحبة والضمیر
یارب هب للروض بهجته وللزهر العبیر
والعش للعصفور والهمس المنغم للغدیر
وعلى فراش الأم أطلق ضحكة الطفل النضیر
امنح جمیع الكون أسباب السعادة والسرور
وأنا؟ أنا یارب جزءًا من هواك ومن سنائه
مادمت أنت تحبني ماذا أريد من الحياة؟

یارب إنك سیدي لك تنحني كل الجباه
عرفتك روعي في الضیاء وفي الجمال وفي شذاه
عرفتك ربًا كاملاً فوق الكمال وما علاه

يا رب إنك نبضةٌ هي وحدها قلب الحياة
فلأمتزج بك مثل قلب نابض تسري دماه
لأكن كجذعٍ ثابتٍ في روض خلدك ، في ثراه
لأكن هشيمًا محرقًا من نار حبك ، من لظاه
لأكن كعشبٍ غارقٍ وسط البحيرة ، في المياه
تُغنيه كثرةٌ مائه ويُمتني حب الإله
ما دمت أنت تحبني ماذا أريد من الحياة !

يا رب إن شئت التعاسة لي وإن رمت الشقاء
إني على الحالين راضيةٌ بما حكم القضاء
دع قلبي البشري يشعر بالتجارب والعناء
فلرب إن أكرمته يأبى القناعة والرضاء
دعني أحس تفاهتي إن الغرور هو البلاء
ماذا يهم إذا أنا أشقى على أرض الفناء
ما دام رأسي قد تطاول خلف سجني في إباء
ورآك ظلًا قائمًا حمل التعزي والرجاء
ما دمت أسقي حقل حبك بالدموع وبالبكاء
ما دمت أنثر شعلة الإيمان في أفق السماء

لتكون أنجمي التي تغزو فؤادي بالضياء
أمنح جميع الكون أسباب السعادة والهناء
وأنا؟ أنا يارب جزءاً من هواك ومن سنائه
مادمت أنت تحبني ماذا أريد من الحياة؟

■ اعطني حقي

أي دنيا فيه تبدو لي مهيضة
فإذا بي بين أحضان عريضة
وبقايا من أحاسيس مريضة
حينما أقسمتُ أني لن أخوضه
آه كم اشتاق أن أجلو غموضه!

وأرى الحب شمالي وجنوبي
أي فرق بين قلبي والقلوب
وافتقاد الحس إحساس الشبوب
أي سرفيه خافٍ وغريب؟
ما الذي بين حبيبٍ وحبيب!

حين يسري من شفاه لشفاه
كان إنني أشتهي طعم الحياة
ألمح الناس حيارى في دنياه
حينما يبلغ حسُّ متتهاه
أعطني حقي! فماذا أبغى سواه!

ما تراه الحب؟ ما كنه الهوى؟
أين يوم كنت أهفو نحوها
إنها اليوم خيالٌ باهتٌ
أنت قد أنسيتني معنى الهوى
أنت قد أسدلت حولي ستره

كلما أصغى إليّ ذكر الهوى
تغمر الوحشة قلبي وأرى
آه من حرمان قلب من هوى
قد نسيْتُ الحب من فرط النوى
آه دعني يا حبيبي أجتلي

أنت قد أنسيتني طعم الهوى
أهو حلوٌّ؟ أهو مرٌّ؟ كيفما
أشتهي التيه الذي يا طالما
أشتهي السحر الذي في كونه
إنه حقي وإن مُلكتَه

■ ■ اللحن الناظم

بالأمس في ظل الربيع نسيت أني في الربيع
فغفلت عن نجوى الطيور وعن أزاهير الربوع
وعن السنا الوضاء والأحلام والعطر البديع
وبقيت في ركني الصغير أعيش في دنيا الدموع
ومضى الربيع ولم يطبب لي جراحات الضلوع!

حتى أتيت مع الشتاء مدفئاً جحري الحزين
وكان أضواء الصباح تثير جدران السجين
وكان شطاً ضاحكاً قد ضم أطلال السفين
فإذا الفؤاد على نداء الحب يخفق في حنين
ويؤج منتفض الجواب كانتفاضات الجنين

حتى أتيت ولم يكن لي في طريقك من مكان
ماذا أردت؟ ولم أتيت؟ لأي أمر أي شان؟
لم تعرف الألم العتي ولم تذق طعم الهوان

لا لم تكن يوماً شريد القلب محروم الحنان
لكن أراد الله والقدر المسير والزمان

وقبعت كالحمل الوديع على سفوح الرابية
لم تدر ما سر الليالي الشاديات وما هيته
غابت وأنت فررت من أجوائهن الزاهية
لتعيش بالأمل الشقي وبالدموع الجارية
متقاسماً بيني وبينك كأس حب خاوية!

وهنا فقدتك عن هذا البيت من هذي القصيدة
إذ سطر الزمن العجول نهاية الحب الشهيدة
وعلى تفاهات الحياة تحطمت مثل مشيدة
ومضيت أبحث عن بقايا اللحن في روعي الشريدة
أيكون ذاك ختامه؟ أبت الأمانى أن تزيده؟

■ ■ اللیل عندي

في اللیل إذ یدفق التدفق في جوف الفراغ الأصم ، في العدم
في اللیل إذ ینطوي مدى الحركات یصبغ الموت لون كل فم
في اللیل إذ یستريح ناظره إلا من اللیل من دجى الظلم
اللیل عندي نداء آلهة مخنوقة في لفائف السدم
اللیل دنیا تحوي مشاغلها مثل النهار الیقظان لم تنم
ومثله عربدت مشاعرها لم تطو غیر الدروب والقدم
اللیل ! یاللدجى مغامرة ملیئة بالوعود والكرم
أخبط في جوفه محلقة في سجن الطائر المحیط دمی
وأنثنی کائنًا یحقق أوهام الرؤى في حقائق الحلم !

■ ■ عيد الأم

سألوا قلب الأمومة إذ تجلى
أذلك ضوؤه أم ذا شذاه
فتى الأوطان كن حراً أيّاً
تنام وملء جنينك الأماني
ويثنيها الحنان عليك يقضى
على المهدي الحبيب تمد كفاً
إذا ناديت لبت في خشوع
بدونك تستوي الدنيا لديها
فإن ملكت كنوز الأرض طراً
وإن مستك أحداث الليالي
فيا قلب الأمومة يا جبلاً
ويانبع الحنان وياغديرًا
خطرت على قلوب من وفاء
يرفرف بالأماني مستظلاً
أم العيد الذي وافى وهلاً
ولا تنكر لمن ربك فضلاً
بأجواء من الأحلام جزلي
فتشهد لن تمل ولن تكلا
وتبسط كالشرع عليك ظلاً
ولم تر في هواك الذلّ ذلاً
وتغدو شمسها في العين ليلاً
فما حملت كأغلى منك حملاً
تلقفت الأسي من حيث حلا
من الأعباء أنتَ ولست تبلى
ترقرق بالشذا طهرًا ونبلًا
فأهلاً يوم عيد الأم .. أهلاً!

■ ■ ذکرى لقاء

یا حبیبی کان التلاقی عیداً
کان ذاك اللقاء فی ركن روض
وتلاقت عیوننا فذهلنا
وتوالت علی العیون طیوفٌ
آه من لمسة الأنامل تسری
آه من آه منها
إن فی الحب عالمٌ لیس منا
وتساءلت: ما الذي بی سری
قلت: لا شیء غیر أنى أمضی
أنت علمتني الطموح وألهبت
صرت أهوى الضباء فی كل شیء
فترهفت بالشعور من الحب
ولمست الحنان والعطف فی الكون
فی انسیاب الغدیر فی أنة
فی المواء الكسیر للقط فی

فتمنیْتُ كل فرد سعیداً
لم تر العین حسنة مشهوداً
إذ ضمنا رجاءنا المنشوداً
من أمانٍ تواصل التجدیداً
فی کیانی فینثنی عریداً
إن فیها الفناء فیها الخلوداً
شاء ربی علی الوری أن یجوداً
ولم الصمت ضمنا معقوداً
فی سماء الهوی وأطوی الحدوداً
خیالی المقیّد المشدوداً
وأراه المهیمن الممدوداً
وطهرت قلبی المعموداً
وفی الناس تافهها ومجیداً
الغصن إذا اهتز بالریاح شهیداً
نبحة کلب طوی النهار شریداً

وعجيب أن ألمس الحب في
فترأت لي الحياة جمالاً
ونسيت الفناء والظلم والحقد
وعلبك أنت الذي يصب جحوداً
وضممتُ الوجود والموجوداً
ومن كان للهنا حسوداً

■ ■ الحاكم والرعية

في عصر يوم بديع بين الربى والربوع
تحت الغصون الشذية
مشى أمير كريم عفاً أمين حكيم
النفس فيه أيه
وراح يمضي خفاء ويصحب الرفقاء
في نزهة صيفية
فجاع والقوم جاعوا وفتشوا ما استطاعوا
على ثمار هنية
حتى رأوا عن قريب عبر الطريق الرحيب
حديقة أهلية
فحطوها جميعاً وهاجوها سريعا
بلهفة وحمية
فإذا بصوت رهيب صوت الأمير الحبيب
في صيحة نارية

إن صرتُ لصَّاحقيرًا ولم أراع الضمير

لغاية نفسية

ماذا سيفعل بعدي شعب يمثل مجدي

وكيف تغدو الرعية؟

■ ■ الجبال

(مترجمة عن الفرنسية)

كشف الفجر عن وجوه الجبال
فتراءت بعيدةً ذكرتني
يا لهذي الجبال تشبه حبي
قممٌ فوقهن قلبي أسرى
وأصولٌ من الوفاء تبدتُ
وسهول بها الينابيع تسري
إن هذي الرياح أنفاسي اللهثى
إن هذي السفوح مرعى خصيبٌ
أين منها الزهور لا عطريندى
هكذا غابت الفوارق عنا
هو أن الثلوج تطفو عليها
طارداً وحشة الدجى والظلال
طول بعدي عن مأربي ونوالي
عاليات كطيفه المتعالي
وتلاقت رغائبي ونضالي
ثابتات على مدى الأجيال
صافيات كدمعي السيال
وهذا الأنين لحن الليالي
وشقائي يقتات عشب خيالي
وتعريّتُ من شذى آمالي
غير فرقٍ مهمّاً تضاءل غال
ولهيب الغرام في أوصالي !

■ ■ كنز الهميد

أيها الليل ! سأعطيك صفائي وسكوني
وشذا روحي وأضواء حياتي وعيوني
سوف أعطيك ضميرًا فيه كنز أبدي
ووجودًا كله نبض وروح شاعري
وسأضفي فوق ظل الصمت أنغام لحوني!

أيها الليل ستغدو في الدجى فجرًا طروبًا
سأروي ببحار الشعر واديك الجديا
وبأفكاري الغوالي كالفراشات البهية
وبأوكار خيالي وبآهاتي الشذية
سأصوغ الروض والنسمة والزهر الرطيبا!

أعطني الحب ! ولا تبخل عليّ أعطينه !
خلني أسعد بهذا الحب أفنى العمر فيه
أعطينه ! أمنح القلب حياة عاطفية
كلها وجد وأشواق ونار أبدية
ليس للعيش - بغير الحب - معنى أرخصه !

■ ■ الشاعر والطبیعة

أنت ! یا أنبل القلوب ویا أوسع صدر لأرحم الأمهات
أنت ! یا أقدس المعابد یا أقوى قوى فی عوالم الكائنات
أنت إن ثُرت فالخطیئة منا ! إنما نحن كالطفلیات
نحن نسري فی جسمك الناعم الغض وفینا تصلب الأموات
غیر أن الوجود یحمل حیناً شاعراً ضج من شقاء الحیاة
ویرى الأمن فی یدیک ویحمی روحه فی أحضانك الدافئات
منك قد أدرك الحقیقة واستشرف عمق العوالم الأخریات
إنه وحده الذي یقرأ السفر ملیئاً ومتخماً باللغات
فنداءاتك الخفیة فی جنیبه نبضٌ یؤج بالعاطفات
وابتسام الرضى على ثغره منك بریق الضیاء فی النظرات
والندی اللؤلئی فوق اخضرار العشب شعر منضد النغمات
إن فی رعشتیکما بوح سر بالذي أج من لظى الشهوات
والدموع التي بعینیکما ما هی إلا ومیض فجر آت
وبقلییکما الكبیرین حبٌ دافقٌ یملاً الدنی بالحیاة
وهواك الذي یقید خطویه على صخرة من العادات

فارحمي ! كلما توجهت غضبي شردتُ روحه مع العاصفات
فإذا ما غفوتما هام طيف الأزل المستنير فوق الشفاة
وترامى في هدأة الحلم صوتٌ هو لحن الدعاء والصلوات
فلو أن الوجود لم يبق فيه غيره فاسكبي حنانك هات !

■ ■ اللعبة البالية

«لماذا نحن إلى الماضي ولا نطلب العودة؟»

الطفل إذا امتلك اللعبة حطمها رغم نضارتها
قد تبدو للعين حطامًا لكن تحتفظ بجذتها
فيظل يحن لمرآها ويللمم بقيات جثتها

لكن لعبتنا لم تحطم كنا طفلين كبيرين
فحملنا اللعبة في حرصٍ ولعبنا لعب مكيرين
فإذا باللعبة قد بليت تافهةً للعين

أبقتها لمسات الأيدي والزمن العاتي قد عجل
فطوى بمعالم فتنتها وبزهوة رونقها الأجل
فمللنا اللعبة عفناها وسئمنا منظرها المخجل!

ولذا فالحب نهدهده ونحن لذكراه دومًا
ونعود فنذكر مرآة لنفر ولن نرجع يومًا
منظره البالي قد أبلى قلبين غريرين وأدمى!

■ ■ ربيع وخريف

أيها الطارق وسط الليل أبواب حياتي
أيها الموغل في أعماق أسراري وذاتي
أنت يا منبع أحلامي ونجوى ذكرياتي
لا تلمني إن رأيت الخوف يجتاح ضلوعي!

يا ربيعي!

جئني يا حلورفاً على متن خريفي
جئني ترقص خطاراً على أشلاء جيفي
جئت تدعوني إلى الحب وللضوء الشفيف
للمنى ، للدفء للأشواق والحلم البديع

يا ربيعي!

جئت تغزوني أنا العزلاء إلا من شجوني
وتمنيني وما في قدرتي غير الحنين
وتذر الكون والآفاق في عين السجين
وتبث الجنة الخضراء في جذب ربوعي

يا ربيعي!

أنت قد أذهلت عيني حين أسرت كمشرق
لِمَ لَمْ تمهل لأستوعب نفسي وأحرق
فأحييك وفي جنبي شوق يتدفق
وأعيد الأمن والهدأة في قلبي الجزوع؟

يا ربيعي!

الصبا المفتون يدعوك فلم جئت إلیا
أو أغرتك ترانيم الهوى في شفثیا
كيف عانقت بقايا الضوء تغزو مقلثیا
وتناسيت مع الليل أنيني ودموعي؟

يا ربيعي!

كلما قربت خطوي نحو دنياك الجميلة
خفتُ خفتُ القدر الغاشم والدنيا البخيلة
وتحسست على كتفي يد الليل الثقيلة
وتراجعتُ لجحري بلهائي وجوعي

يا ربيعي!

■ ■ اصمت يا قلبي

اصمت لا تبك ولا تضحك فعلى الحالين أنا وحدي
سيان الضحك أو الشكوى ما عادت ثوراتك تجدي
لا تشرح لا ترو خفايا الأزمات ولا تقلق نفسي
أبغضتك تتحكم فظاً وكرهت عبودية ظالم
واليوم سأعتزل العالم
عالمك ال..... الحس

ضحكاتك تخدع إحساسي وتجدد في نفسي وهمي
وبكاؤك يخنق أنفاسي ويهد الباقي من عزمي
فادفن أفراحك كبخار مسجون في بطن الصخر
ووراء جدار كرامتنا أخف الأحزان المنشورة
واحجب في برديك الصورة
لا تبسك للأعين سرى!

خف الضجة واحلم واسبح في تيه دناك المنسية

دق الناقوس فلا تنهض فالصمت تعابیر حیه
رحمک ستقفز من صدري لا الحزن ولا الفرحة تجدی
لا تهتف أنك محتاج أن..... الکبری
فی هوة أعماق أخرى
فعلى الحالین..... أنا وحدي!

(4)

أنا والليل

(1961)



إهداء

إلى أختي العربية ... في أي مكان من الدنيا تقيم .
إليك مع الأحرار في كل وطن تحرر .
أو خلف الأسوار في كل بلد عربي مستعبد أو
مستعمر .
إليك يا أختي وقد حملت أمانة الجيل معلمة وأما .

وشاركت في نشر المعرفة فناً وأدباً وعلماً .
وخضت معارك التحرير فلم ترهبي سجناً ... بل لم
تدخري دماً .
إليك يا أختي وقد أسهمت بالقلم شاعرة وكاتبة .
وزدت باللسان والبيان عن قدسية القومية العربية
خطيبية ونائبة .
ورفعت راية العروبة في كل مكان خفاقة وعالية .
إليك يا أختي جهد أخت شاعرة .
مناطق فخارها إيمانها بالعروبة على مستوى العقيدة
الطاهرة .
إليك يا أختي الكادحة والمكافحة ... في كل هذه
الميادين الرائعة أهدي ديواني الرابع .

جليلة رونا

■ ■ النغم الحنون

من وحي بيان الرئيس عن
الحركة الانفصالية في سورية

في روعي يتسلل صوتُ
ينساب فيهتز البيت
ينساب قويًا ورزينا
ينساب بطيئًا وحزينا
صوت يسري في أعماقي
ويجول الدمع بأحداقي
وعميًا عمق الأبدية
يحمل أعباء البشرية

ويضج العالم من حولي
وتموج الأصدااء بليلي
وكان طيورًا في الأفق
وزهورًا تهمس في رفق
فوارًا مصطخب اللون
وتمر الأشباح بعيني
ونخيلاً يكتسح القمة
وضياء يخبط في الظلمة

ويكف «المنذاع» ويصمت
ورفيقة أحلامي (□) تهتف:
تبكي .. أبكي .. عبثًا نصغي
ويرن «الهاتف» في سمعي
أسمعت؟ فأجهش بالدمع
ونحاول نسردها نشعر

(1) تشير الشاعرة إلى صديقة لها لبنانية تجمع بينهما الناصرية على مستوى العقيدة .

فتؤجل ما كنا نبغي وأعود لنجواي أفكر

ما أروع قلبك يا ناصر وأرق شعورك يا ثائر

يا نغمًا يشربه قلبي

حلوًا وشفيقًا وحنونًا....

أنا أعرف أنك كطيبٍ نستأصل في الأمّة داء

ولأن الرجعية أفعى تمتص عروقًا ودماء

ولأنك شهمٌ وقويّ والقوّة تجلب أعداء

ولأنك مبعوثٌ فينا

في ظل التاريخ الأكبر

وحنانك كالأب... بل أكثر

ولذلك قلبك يتفطر

حزنًا وعتابًا وحنينًا...

ولأنك إنسانٌ حرٌّ تفتخر بك الإنسانية

ولأنك تؤمن في ثقيّة وضيميرٍ بمبادئ حياة

ولأنك رمز القومية ولأنك بطل الحرية

آثرت سلامة سورية

حقتنا لدماء عريضة....

وبرغم التجربة المرة ولأنك أعطيت الثورة
عمر ك.... وسيتقى للثورة
ولأن الأنجم تتألق والمعدن تصهره المحن
والسحب الجهممة تتمزق والجرح يضمده الزمن
ولأن الوحدة حتمية
وحدود بلادي وهمية
فسيمضي التيار الجارف والدفع الثوري الزاحف
كي يصبح نهراً هفهاًفاً
ويعانق أفقاً وضفاًفاً
وسيتبقى القومية قلعة ونجدد لجمال البيعة

■ ■ سر القوة

من وحي صورة للرئيس وهو يصلي

والله لن يقسو عليك الله
هو ذا «جمال» رئيس أعظم أمة
لملوك أهل الأرض أعلى رأسه
هي ذي الكرامة تستفيض كرامة
هذا هو السر العظيم لقائد
الله أكبر! إنما إيمانه
الله يعلم أنه متجرد
لا الحكم يفتنه ولا الدنيا ولا
الله يعلم أنه لا يتغني
هذا هو النصر المحقق للذي

مادمت تأبى أن تخاف سواه
ولأجل حب الله تحت خطاه
وحنى الجبين لربه... مولاه
والمجد أقوى المجد في معناه
أضحت عمالقة الورى تخشاه
الثورة الكبرى له والجاه
من مأرب في الكون غير رضاه
مارددت في مدحه الأفواه
غير الهناء لشعبه وعلاه
من عون ربي يستمد قواه

■ ■ أحقا يضيع ؟

إلى صديقة من دمشق

وكل الذي كان بيني وبينك ... أحقا يضيع ؟
وفي لحظة من جنون مريع ... وكيف ؟
وليس الذي كان ... أمرا زهيدا
فما هو إلا الحياة ... وأسمى معاني الوجود
وشرع إله ... ولحن خلود
فكيف ... وكيف ؟ أحقا يضيع ؟

وما زال «بَرْدَى» وشط الجمالِ
يناجي خيالي ... ويذكر وجهي الحزين ...
وإن مرَّ طيف السنين
فما زلتُ في عينه حاضرة ...
وما زال بيتي بالقاهرة ...
يحن إليك ويحنو عليك ...
وجدرانه الناعمات الدفيئة ...
تناجي خيال فتاة بريئة
وذكرى ليالٍ مضيئة

قضيتها هنا... تبث المنى ...
بقلبين يفتقدان الأمل ... ويغترفان كؤوس الملل
وتطويهما الفكرة الساهمة
بأعماق غيمتها الواجمة
وما زال طيفك عبر الديار ... وفي كل حجرة
يهمُّ ويقفز مثل الطيور
يردد حلم الغدِ ... على المقعدِ
وفوق السرير ... وفوق الدَرَج
يخفّة روح رقيقة ... رقيقة ... وحتى الحديقة
وأزهارها ... تعيد الأمانى وتجترها ...
وما زال فيها ربيع شذاكِ ... وضوء خطاكِ
وحتى الشجر ... هنا ينتظر ... بعين على دربه حانية
حلول زيارتك الثانية
وحتى الخدم ... إذا ما ذكرتك طاف الألم ...
بأحداقهم وأضافوا السؤال :
«متى ستعود فتاة الشمال ؟ ...»
وأسال نفسي ولا أستطيع ... أكل الذي كان
حقاً يضيع ؟ وكيف ... وكيف ؟

وكنت إذا ما تأخر عنك خطابي قليلاً

تدفق ألف خطاب عليّ ، يذوب حنانًا وينساب طولًا
وييدي لهيب الحنين إليّ ... ويحفل بالشعر والقصة
كسائر أبناء سورية
وأتلو سطوره ... وأبسط نوره
على مقلتي ... وفي ظلمتي ...
فهل كل هذا يضيع ... وهل يستطيع

يبث الجفاء دعاة انفصال ...
ويبعد بيني وبينك سادة مال ؟
بلى ... تستطيع قوى الشر تخمد صوت الشعوب
ولكنها لن تميت القلوب ...
فإن الشعوب لها أمرها ... ورغبتها هي قانونها ...
وآمالها واقع لا محال ..
وفي الغد سوف تعود الرسائل ...
وأرسل هذا النشيد إليك ...
وأرغب ردك فورًا وعاجل
وبشرى حضورك للقاهرة ...
وذات صباح نصير ... نصير ...
سأرنو وأنتظر الطائرة ...
وقد هبطت في المطار الكبير ...

وأحضن فلك حنان العذوبة
وضوء العروبة ... وثم نسير ...
ونبكي من الفرحة الشاملة
وثم نسير
إلى الوحدة الحرة الكاملة

■ ■ قصة كلمة

بالأمس قضينا أعوامًا نتمرغ في الذل ونقبع
سلب الأعداء إرادتنا فغدونا للغاصب طوع
كنا إذ نصرخ تتلاشى الصرخة كالأنة في الأضلع
ونحاول نمشي نتعثر ونحاول أن نقف فنركع
وبرغم الخوف تمردنا حينًا لكننا لم نتبع
وخشينا العاقبة وخلصنا ما نلناه هو المطعم

فإذا إنسان من أرضي ينتفض بعزم وبهمة
عربي - ياخي - وحرًا أخلص عربي في الأمة
من بلد «بني مر» فقيرٌ وغنيٌ بكنوز الحكمة
انتفض من الأسر طليقًا واقتلع بكفيه الظلمة
وارجتث الطامع والخائن واقتاد الشعب إلى القمة
وتمرد في وجه العالم، وانطلقت من فمه ... كلمه

لا ... لا ... أطلقها بتحد، بصمود الحر، بإيمان

أطلقها في ثورة يوليو ، في وجه إله الطغيان
أطلقها وأمام جيوش تغزونا من كل مكان
وأمام البغض ، أمام الحب ، أمام الإغراء الحاني
لا ... لا ... وانطلقت كالمارد لنشيد حقوق الإنسان
لا ملكية ، لا تبعية ، لا استعمار على أوطاني !

■ ■ تحية الشعب للثورة

أحييك يا ثورة الملهمين
أحييك في كل يوم يمر
أنا الشعب كنت أقضي الحياة
أرى الحكم بين أكف الطغاة
وقلبي ... وقلبي رهيب أساه
وما كنت أرنو سوى للإله
وحين انطلقت أيًا ثورتي
شعرتُ الحياة ودفء الحياة
وفتحتُ عيني على موطني
وفتحتُ عيني على قادة
حياتهم عرقٌ وكفاحٌ
وأطفالهم ينهلون الدروس
وفتحت عيني على حاكم
وفتحت عيني على نهضة
وفتحتُ عيني على طفرة

تحية شعبٍ وفيّ أمين
وأطبع شكري فوق الجبين
على موطني كالغريب السجين
وأرضيَ يحتلها الغاصبون
يموج بكل أسى البائسين
فقوته هي حصني المكين
كأعذب ضوء سرى في العيون
ومعنى الحياة ومن ذا أكون
فإذا أنا صاحب هذا العرين
يعيشون مثلي ولا يملكون
جنودٌ على خدمتي ساهرون
مع ابني وبتني ولا يأنفون
هو الغيث ينعش جذب الغصون
بنائيةٍ من أساسٍ متين
ثقافيةٍ من جميع الفنون

فهبّت مواهبي الكامنات
وشبت بروحي قومية
وفتحت عيني على وحدة
فجئتك أشد من فرحتي
أحييك يا ثورة الملهمين
وأثمرت كل شهّي ثمين
سرت في القلوب كنار الأتون
تتوج نصري بنصر مبین
وأهتف والقلب ثر الحنين
تحية شعب وفي أمين

أحييك أنت انتفاضة روعي
فقد حسبوني شعباً ضعيفاً
وقد حسبوني لن أستقل
وحلوا هنالك في بورسعيد
وعدت وفي راحتي القنال
وقد حسبوا أن سحب الرعايا
فرحت أدير القنال ووحدي
وحسبوا إذا عاتهم ستسيطر
فبثوا السموم ، سموم الدعاية
وحسبوا العروبة من دسهم
أخي العربي إذا مسني
فيني وبينك لحم ودم
ونبع قواي وأنت المعين
فخيت فيهم ظنون الظنون
فظهرت أرضي من الغاصبين
فطرت لأستقبل الزائرين
وأمجاد أجدادي الأولين
سيخلي القناة من المرشدين
قبلت التحدي من المعلنين
حيناً على أذن السامعين
لكن على من ؟ على الساخرين
ستنأى يساراً وتنأى يمين
سلاحك يوماً فأنت الطعين
وميثاق روحٍ وماضٍ ودين!

ويقضي على قوة الجائعين
وصنت التجارب كي أستبين
ليأمن شر الزمان الخؤون
كي أستحث قوى العاطلين
لتتسع الغد للعابرين
لأدخل في زمرة الخالدين
وأهتف والقلب ثر الحنين
تحية شعب وفي أمين

وأرقيك من أعين الحاسدين
وسر انتصارك سرّ دفين
وكافح حتى تحدى المنون
وفي فترة من قصار السنين
كما قد حملت وما تحمّلين

وكيف استطاعت تدك الحصون
لأجل الكرامة لا تستهين
تمج الدماء وتأبى الأنين

وظنوا الحصار يززع روعي
فزودت نفسي بإيمان نفسي
ورحت أهىء لابني الحياة
وها قد بنيت وأبني المصانع
وها أنا أحفر أرض القنال
وها أنا أبني السدود لنيلي
وها أنا أنشد من فرحتي
أحييك يا ثورة الملهمين

أحييك يا ثورة الثائرين
صنيعك فوق قوي الكائنات
فلو أن جيلاً أراد الحياة
لما قام مثلك بالمعجزات
وما احتمل العبء والتبعات

وقد يسألونك عن ثورتي
فقل يا أخي إنها ثورة
وقل يا أخي إنها ثورة

فدائفة وهبت نفسها
أبت أن تحرر أبناءها
فما في التحرر من أوسط
وقل يا أخي أنها أقسمت
ستحيا لتشهد علم الجزائر
ستحيا لتحضن سوريتي
ستحيا لتشدو ونشدو جميعاً
لخير العروبة في كل حين
وتترك إخوانها الآخرين
ونصف التحرر ذل مهين
برب الخلائق والمرسلين
يخفق حرًا بنور اليقين
وتطرد حكامها المجرمين
نشيد الرجوع مع اللاجئين

فردد معي يا أخي في العروبة
نحيك يا ثورة الملهمين
لحن الوفاء لأم حنون
تحية شعب وفي أمين

■ ■ شهر يمر

يا وحدتي يا وحدة الأجيال
 شهر يمر وأنت بعد حزينَةٌ
 الأمس في عينيك يسري خافقًا
 فلقد ولدت كمارد في عزمه
 ونموت وسط الشرق أينع عادةً
 يا وحدتي جددت فيّ مشاعري
 أنا كنت قبل رؤاك أحضن ثورتي
 أنا كنت أحضن الضياء وإنما
 كانت أمانيّ الكبار تحثني
 حتى وجدتك وحدةً عربيةً
 نفديك بالأرواح والأموال
 تنتهدين على أسى قتال
 ونشيد المنغوم في استرسال
 وبرقة الأنسام في الأصال
 وكأنها بدرٌ بعمر هلال
 وسرى حينك في دمي وخيالي
 وأضم في آمالها آمالي
 ما زال في جنبِي ركنٌ خال
 نحو الضياء الأكبر المتعالي
 فوجدت ذاتي بعد طول سؤالي

واليوم أسأل والفراق يهزني
 إن العروبة أسرة أفرادها
 لم يهدمون كيانهما بأكفهم
 إني على وطني أحس كأنني
 ما الفرق بين الأهل والآهل
 رغم البعاد على هوى ووصال
 ويفرقون الشمل كالجهال
 جسدٌ هنا متمزق الأوصال

والنيل كم يهفو إلى بردى وكم يطوي شطوها مدينتي كالضال

يا أرض! يا آفاق! يا دنيا اشهدي هذي انطلاقة دولة الأبطال
سنمراً! نكتسح الصخور بقوة ورواسب العهد القديم البالي
إننا نناضل في سبيل حياتنا وهم لأجل ضروب الاستغلال
يا أيها الوطن الكبير إلى العلا واتبع مسيرك خلف خطو جمال
الوحدة الصغرى جهاداً أصغر فإلى الجهاد الأكبر الفعال
إن الطريق وإن يكن متجهماً لكن الأهداف الطريق غوال

■ ■ إلى مجاهدة جزائرية

أختاه! يا فخر النساء ومنبع الروح النقيّة
يا كنز إيمان ونبيل وانتفاضات حيية
يا من بعثت من الرؤى والوهم روح الواقعية
أشعلت باللهب المقدس، بالمنى، بالشاعرية
وبكل معنى للحياة، مسارب النفس الخفية
فإليك يا عربية الأخلاق من قلبي التحية!

أنا من أنا؟ أنا لست أملك في يدي غير القلم
لكن لي قلبًا تمزق بالجراح وبالآلم
كم من أخٍ لي في الجبال بكل ركن يعتصم
وهناك أحرار الجزائر في السجون وفي الظلم
أواه! كم بذلوا لأجل بلادهم روحًا ودم
ما أعظم الحرية السماء! ما أغلى القيم!

سيمد يا أختي لك الفجر الطروب غدًا شروقه

ولسوف تنفتح النوافذ في انتباه مستفيدة
وستشربين غداً نسيمًا طازجًا عبر الحديقة
وترين بلور السماء يشف في المقل الرقيقة
ولسوف تتكئين في فرحٍ على الشمس الطليقة
ولسوف يحتضن الهناء الحلو طيفك يا شقيقة!

لا تحسبي هذا النشيد إليك إغراء الحياة
إننا شدونا هنا والليل يسبح في دجاء
وسرى الصدى من قلبنا الباكي مهيبًا كالصلاة
فإذا القيود على الثرى وإذا الضياء على الجباه
والثورة الكبرى توج لظى وتقتلع الطغاة
وإذا النشيد هناك فوق الشط يحتضن القناة!

■ ■ مقبرة البيهن

لكنني نحو العلا سباق
سود ويغزو قلبنا الإشراق
وأمام جزاري العتي أساق
ودمقسكم وحريركم براق
واستغلقت في وجهي الأرزاق
فإذا صرخنا ترعد الأشداق
ولي الخضوع المر والإطراق!
والشعب في ذل لها منساق
تهوي بها ويجذعها الأوراق
وقراره المرسوم والميثاق
وتغض عن أحداثنا الأحداق
يا بيض إن دماءنا أشواق
قد طاولت آفاقنا الأعناق
عند الحروب ومالنا أخلاق
ودماؤكم كالماء سوف تراق
واستيقظت أفريقيا العملاق!

يا أبيض الخدين إني أسود
بيضٌ وكم في قلبكم من ظلمةٍ
أنال م أعد حياً كشاة تقنتي
أنا كم حرمت ولفني ثوب البلى
كم جعت في وطني وجوفك متخمٌ
عجباً لكم تستنزفون دماءنا
ألكم معايرني بأني أسود
من قال عن فئة تقود زماننا
من قال إن الدوحة الكبرى هنا
إني لأسأل أين مجلس أمننا
ما زال يغفو في سبات دائم
القارة السوداء مقبرة لكم
النعل نعلك سيدي لكننا
فاضرب فنحن البربرية كلها
سنثور ثائرة الوحوش بغابنا
إني أفقت لأجتي حريتي

■ ■ وطني الكبير

من وحي مجزرة الموصل

وطن العروبة ! كلنا جرحى بجرحك ... كلنا
دمك الشهيد هناك يغمر كل شبر هاهنا
وأينك المخنوق ردهه بكاءً قلبنا
فاصبر على ضيم الزمان فإن عزمك عز منا
وغداً ... غداً سيعم فجرك كل أرجاء الدنى
ونصير قلباً واحداً يشدو بألحان المنى

وطن العروبة ! كم أود أراك موفور الرغاب !
وأعيش للغد كي أراك مزقت أستار الضباب
وأراك كعبة كل فوج آمن بعد اغتراب
وأرى «جمالاً» قد نأى عن ظهره عبء العذاب
وأراء في ظل اتحادك ضاحكاً وسط الروابي
وأرى سوائفه التي ابيضت تعود إلى الشباب !

وطني الكبير على يديك وضعت يا وطني مصيري

ولأجل حبك قد غفلت اليوم عن وطني الصغير
ومزجته بك كامتزاج النهر بالبحر الكبير
ورفعت رايته وراء لوائك الحر الضمير
وطني فُصن تضحيتي ، صني من الخطر الخطير
وادفع بهذي الطغمة الحمراء في جوف القبور !

وطني عهدتك موطن الأحرار من قدم الزمان
فإذا تغلغل فيك منذ أمس سم الأفعوان
وكفرت بالأديان ، بالقيم المجيدة ، بالمعاني
وغدوت سجنًا للضمير ، وللكرامة ، والأمان
لتمت إذن ! لتمت على الإيمان في ظل التفاني
لتمت ! فإن الموت أفضل للأبي من الهوان

■ ■ نداء العودة

إلى كل عدوة للقومية
العربية أبعث هذا النداء

عودي! فما زلنا على شط الرجاء وفي انتظار
عودي! فإن الدرب مفروش بأضواء النهار
عودي إلى حصن الكرامة، للعروبة، للديار
فسيهبط الليل الحزين وأنت أنت بغير دار

عودي فإن خضنا غمار اليأس منك فلن نعودا
عودي! فقد نقسو عليك غداً وقد ننسى العهدا
ولرب تلفظك القلوب كبصقة ملئت صديداً
فالعضو يتر حين يحوي السم منتشراً مديداً

الدار ما زالت تئن بلهفة الباكي عليك
وشموعها النعسانة اتقدت لتلفت ناظريك
والله! حتى الله... رغم دجاك مشتاق إليك!

عودي ! فإن ضياءك المزهو وهم لا حقيقة
ودليلك الأعمى يسير على شفا حفر سحيفة
وسماك الحمراء تحرق هامة الأنثى الرقيقة
أواه ما أفسى العتاب من الشقيقة للشقيقة!

عودي! فما أنت التي تأبى العروبة يا شقية
أخجلتنا نحن النساء، وصمت جبهتنا النقية
وحطمت ذاتك حين حطمت التقاليد الأبية
فلترجعي ، لما نزل من عطفنا الماضي بقية!

■ ■ الصنائير الميتة

خطفوه وهو يسير سير العابر
خطفوا الصغير وما أتى ذنباً سوى
جاءوا الديار وفتشوا أنحاءها
ورأوا بركن الدار تمثالين قد
كان الصغير يراهما في داره
كان له نعم العزاء وقد مضوا
وبكى الصغير وقد رأى فيما رأى
وتقلصت كفاه في عصبية
لا تخرجوا بهما ولا ... لا تحطموا
إني ضممتهما بأعماق الدجى
هو ذا جمال أراه بعد أبي .. أبي
ولكم سبحت على غدير جبينه
ولكم تلمست الأنامل وجهه
وعلى سنائه غفوت معتمداً على
لا تخرجوا بهما ويكفيكم هنا

ورموه في النهر الكبير الزاخر
أن الصغير يحب عبد الناصر
بالأمس في كنف الظلام الباكر
صيغاً لناصرنا ، لأعظم نائر
كنزين من أمل ونور ساحر
بأبيه يوماً نحو سجن أسر
كنزيه بين أكف جمع كافر
متحدياً قومًا بغير ضمائر
أملي الكبير وكل كل ذخائري
وشدوت في جويهما كالطائر
وأبشه أمسي وأشكو حاضري
نحو الغد المرجو ، عبر خواطري
في لهفة نشوى وصمت طاهر
ربي وناصر نصري ومؤازري
أحزان أمي واحتراق مشاعري

وكلوه بالأقدام في سخرية
ومع الصباح، مع انطلاقة شمسه
خطفوه وهو يسير سير العابر
وتبادلوا همسات قصد ماكر
والكون يسبح في السكون الوافر
ورموه في البحر الكبير الزاخر

■ ■ من بورسعيدية

إلى آخر جندي هارب

لا تنظر خلفك يا أحمق ، لا تنظر نحو الأنوار
يا آخر جندي يهرب من بلدي كاللص الفار
لا تنظر خلفك فالخيبة تتبع ظلك في إصرار
وراءك تاريخ يكتب «النصر» على كل جدار
والشعب الأسمر قد عانق شلال ضياء زخار
وشهيد حملت صورته أمٌ وتزغرد بفخار
ورئيسك «إيدن» تمثال مشنوق في كف صغار
و«موليهك» في الشارع يجري منساقاً في شكل حمار
عد! عد! فالشاطئ يلفظكم ويغض الطرف بإحقار
وانقل للعالم صرختنا يوم العدوان الغدار
«سنحارب ، سنحارب» قلنا ، سنحطم رأس الفجار
ومشينا كتلة إحساس بسلاح الحق البتار
لا فرقة ، لا بغضاء ، ولا هدف للشعب سوى الثار
ومضينا لم نفقد عزمًا نتحدى غزو الأشرار
فهزمتنا أسطورة دول عظمى تتمرغ في العار

■ الرسالة الأخيرة

أرسل «محمود» الضابط العربي إلى خطيبته يقول : «إن أعداء القومية العربية سجنوني وأفقدوني النصر ، إنما ذاهب إلى الموت أو سأبقى أعمى طول حياتي ، اتركيني ! سأكون عالة عليك لو عشت : إنني أحلك من وعدك لي بالزواج» : فكان جوابها هذه الرسالة :

وأنا من تلهف الانتظار أعاني	وصلت رسالتك الحبيبة بينما
والقلب في وثب وفي خفقان	وصلت ورحت أفضها محمومة
عطر الحبيب وذكريات زماني	وصلت ورحت أشم من صفحاتها
هي بعض آيات من القرآن	وقرأتها بين الخشوع كأنما
ما تحتوي من أدمع عينان	وسكبت فوق حروفها من أدمعي
من أين أبدأ أو يخط بناني	وصلت وإني الآن أكتب ردها
لكنَّ أمرًا واحدًا أضناني	تنزاحم الأفكار عبر خواطري
أن يعتربك الشك في إيماني	غضبي عليك فكيف تسمح راضيًا
أسمو عن التفكير في الهجران	هيهات تأمرني بهجرك إنني
ترتاب في إخلاصي المتفاني	ألأنهم قد أفقدوك نواظرًا
وإذا رضيت فليس في إمكاني	أنا إن عزمت على التخلي لحظة
واليوم رمز بطولة الشجعان	أحببت فيك الأمس رمز رجولة

شرفٌ عظيمٌ أن أكون أنا التي ترعاك طول العمر في تحنان
شرفٌ عظيمٌ أن أحس بأنني شيء تحس له ببعض حنان
شرفٌ لديّ أكون زوجة ضابطٍ فقد الرؤى ذودًا عن الأوطان!

حبي! ويا حبي! ويا أغلى المنى يا نور قلبي... يا وجودي الثاني!
محمود! لا تخش العمى فنواظري سأرى لك الدنيا بها وتراني
ما قيمة الإنسان إن يك مبصرًا تمشي على الدم ثرة الألحان
وكم انطوى في الأرض جذعٌ غائرٌ يهب الحياة الألف غصنٍ رانٍ
أنا إن شقيت لأجل بعدك إنما طبع الهوى طاغٍ على الوجدان
لكنني وسط الفجيرة لا أرى في البعد غير مذلة الأوطان
أخشى على وطني الحبيب إذا نأى عنه الأسود يمجج بالذؤبان
أنا قبل أن أغدو لديك خطيبة بنت الحمى ودماه في شرياني!

عملاء الاستعمار مات ضميرهم وهم عبيد المال والسلطان
إن عذبوك مهددين فقل لهم لا السجن يرعيني ولا سجاني
أنا لن أبيع لأجلكم قوميتي وعرويتي وكرامة الإنسان
أنا لن أساوم بالحياة وبالذنى حريّة في قبضة الشيطان
حريتي ألا تكون عرويتي أسباب تعذيبي وسرّ هواني
حريتي هي أن أصير مواطنًا لي الحق في أمني وفي اطمئناني

حرיתי هي أن أناجي خالقي
فإذا ركعت فمالرب آخر
وأضمه في السرّ والإعلان
وإذا سجدت فمالرب ثان

محمود! أخشى أن أبث مخلوفي
قد يحكمون عليك حكمًا جائرًا
ليكن عزاءك أن تحت رصاصهم
أمثالك الأبطال لا يفنون بل
يحيون في أصلاب أمتهم سنى
أصداؤهم صوت المؤذن معلنا
فاذكر إذا حم القضاء ولم أفز
إني وحقك لن أchied عن الهوى
إني اتخذتك منذ يوم لقائنا
فإذا حييت فإنني لك زوجة
فكفاك ما تلقاه من أحزان
وأعيش بعدك في دجى حرمانى
دمك الشهيد يسيل كالطوفان
هم خالدون على مدى الأزمان
حرًا يضىء طريقها بأمان
حق الشعوب ووحدة الإخوان
برؤاك غير مخرج الجثمان
لا لن أغير موضعي ومكاني
رجلى الوحيد وتوأمي وكياني
وإذا فنيت فأنت زوجي الحاني

■ ■ انتفمني يا أختي

إلى أختي هناك في الإقليم الشمالي

إن دق الفجر على بابك خجلاً كالضيف المتكلف
وسمعت الأطيّار تقطر أنغاماً كالدمع الأجوف
وشممت هواءك أنفاساً تختنق من الظلم وترجف
ورأيت اللبلاب الصاعد فوق سياج البيت توقف
ولمحت فراشات أثيرك تتلوى في الأرض وترحف
أختاه! وإن حل مساؤك جهماً! كصباحك ومغلف
ولمست حناناً مجهولاً ينساب بجنيبك ويدلف
فثقي أن الكون يردد أنات فؤادي المتلهف
وامتزجي بالروح يروحي فالجرح على الجرح يخفف

أختاه! وأختك لا تألو ترعاك على البعد وفيه
وتقدر محتك الكبرى وتقديس فيك القومية
أختاه! على كتفك عبء فرضته عليك الوطنية
وبكفك تاريخ بلادك ورسالة رب قدسية
تلك المأساة على أرضك تجربة للروح قوية

وصراع بين عروبتك السماء وبين التبعية
فانتفضي يا أخت وثوري في وجه دعاة الرجعية
أخواتك في مصر شعور يحتضن مشاعر سورية
إن شئت فداء للوحدة ، لنمت ... ولتحيا .. الحرية

■ ■ فاجعة أغادیر

أغادیر! قلبی علیک حزین
وروحی ترفرف فوق رباک
ویاليلة من لیالی القضاء
فجارت علیک سهام الفناء
یموج حنأنا ویشدو نشیده
کأرواحک الضائعات الشریدة
غفوت ککل الیالی سعیده
وصرت الذبیحة ، صرت الشهیده

وكنت أغادیر طول الزمان
یياسق نخلک مثل قوام
بمتمزهات الهوی والشباب
فصرت لأقدارك العاتیات
مدینة شمس وعطر حنون
رشیقاتک الساحرات العیون
بفیلاتک العاطرات الجبین
بشأر الدماء ومأوی المنون

أغادیر! رغم البعاد أراك
وكفّ المعاول والحافرين
ذراع هناك وساق هنا
عذابات عشرين ثانیة
وأسمع أناتك الضائعة
تغذي بطون الثرى الجائعة
وفي كل عین رؤى جازعة
كدهر طوته يد الفاجعة!

فيا حكمة الله فيما أراد
عظات نعيها وقد لا نعيها
وما أنا أملك لي من عزاء
وثغر يتمتم عبر الزمان

وما قد يريد وما لا يريد
ولكن فيها معاني الوجود
سوى الحزن يبعث هذا القصيد
فمنها خلقنا... إليها نعود

■ ■ وهیة أم لاجئة

ولدی! أحس الیوم قرب منیتی
فلقد تكون سمعت ألف حکایة
لکننی أخفیت قصة لیلة
إذ كنت غصن العود هشا لینا
آثرتُ أن تغدو کبیرا عاقلا
وأود أن تصغی إلى أقوالی
عما جرى فی موطنی وجرى لی
ظللت بذاکرتی تعکربالی
یخشى علیک تحمل الأثقال
حتى تحس بوقعها الفعّال

وآه لو تدري الذی قاسیته
إذ كنت فی داری الحبیبة حینما
نهبوا الذی فی البیت من خیراته
وأتى أبوک علی نداء کبیرهم
وتسللت کف الشقیّی بجرأة
وهوی أبوک علیه وحشا ضاریا
وسرى الدم العربیّ فی أعراقه
وسمعت صوت رصاصة ممزوجة
ورأیت أختک فی السریر صریعة
فی لیلتی الأولى من الترحال
فوجئت وسط اللیل بالأنذال
وتقاسموا ما فیه من أموال
هیا اخرجوا حالا بلا إهمال!
نحوی تعیث بنضرتی وجمالی
یرمیة باللكمات دون کلال
وأبى الفرار معی بغير نضال
بأنین طفل مستغیث غال
والفرش یغرق فی الدم السیال

أم يا ترى مرت عليّ ليالٍ
ميتًا ولكن ميتة الأبطالِ
فلقد شعرت به ... ولست أبالي؟
خلفي وأشباح الجحيم حيالي
أخفيك في حضني ككنز غال
ما زلت أشعر بالخطى كجبال
والدمع يا ولدي وذلة حالي

وتمر بي الأيام كالأجيالِ
يا بؤس عيشي في دجى الأطلال

وخرجت أسرح في الطريق الخالي
والبرد يهزأ من ردائي البالي
أمشي وطيف البؤس في أذيالي
أحيا وما استحققت غير زوالي
ويشع عبر الأفق ضوء هلال
درب الغد المفروش بالآمالِ
متطلعًا للفجر في إجلالِ

فسقطت لا أدري أكانت ساعة
ثم انتبهت فإذا أبوك على الثرى
من هذه اللحظات لا أخشى الردى
وهربت من داري كأنَّ جهنما
ومشيت يا .. يا كم مشيت بلا هدى
هد المسير خطاي حتى أنني
ولكم بكيّت فرحت أَرْضِعك الأسي

وظللت أفترش الرمال شريدة
حتى استكنت هنا بداخل خيمتي

كم مرة ، ولدي ، تركتك نائمًا
الليل من حولي يلف وشاحه
فتقول لي نفسي إلام .. إلى متى
وتقول لي نفسي لأية غاية
فأشبح عن نفسي ظلام وجودها
أرنبو إليه على أسي ويمد لي
فأرى «جمال» على طريق عروبتني

وأصیح یا بطلي ومنقذ أمتي
خذني إلى أرض الحقيقة والمني
«يافا» تناجيني وتبسط كفها
أنا لا أريد اليوم أغمض أعيني
وعلى الثرى الوضاء ينفض كاهلي
أورثته ثأري وحقدي كله
فإليك قوته وعزم شبابه
إني لو أهبة إليك به دمي
هذي ، بني ، حكايتي لا تنسها
ستظل تصرخ في الدجى رنانة
عش للفداء وللعروبة والعلا

إن الفناء يدب في أوصالي
إني سئمت توهمي وخيالي
وربوعها تهفو إلى استقبالي
إلا على إشرافها المتعالي
عبء السنين ووطأة الإذلال
وبثت فيه عواصفي ورمالي
ليفك عن وطني دجى الأغلال
وعقيدتي السماء واستقلالي !
يوم الوغى وهزيمة العزال
وإثأراً لأملك يافتى الأشبال
واتبع مع الأحرار خطو جمال

■ ■ عبثًا يخبو

حين أقسمنا على السير طويلاً
لم نكن نجهل ما سوف نعاني
غير أننا من بعيدٍ قد لمحنا
فمشينا فوق أشواك الربى
لم نكن نجهل دربًا وسيلاً
أي عبء قد حملناه ثقيلاً
وحدة كبرى وإشراقاً نبيلاً
لا نبالي إن غدا الجرح علينا

هكذا الأحداث في أرض العرب
إنها قومية كالنار تسري
كلما هبوا إلى إطفائها
ويل من يلهو بها... يا ويله!
دولة تدنو وأخرى تنسحب
ليس يعينها التواء وشغب
عبثًا يخبو سناها الملتهب
سوف يرتد هشيماً وحطباً!

إنها مصر التي وسط المنايا
إنها مصر التي حين أغاروا
أي فردٍ عاقل يرقب منها
رضى الظالم أو لم يرض عنها
وأساطيل الغزاة الغاشمين
غورتهم في دياجير المنون
هذه الشمّاء يوماً أن تلين
ليس يعينها رضاء الظالمين

فلیشر من شاء فی الدنیا علینا
حاربونا الأمس شعباً مستکناً
غیر أنال لم یکن شیء لدنیا
فرفعنا الرأس حراً ومشینا
کل حکم مستبد سوف یفنی
واستباحوا أرضنا غدرًا وجینا
غیر عزم ثابت فی جانینا
وعلی الله اعتمدنا... فانتصرنا!

■ ■ مهر تناشد سورية

سوريّتي الحسنا يا سوريّتي
أختاه! يا أخت العروبة إنني
باسم انتصارات وأحلام لنا
أدعوك باسم صغارنا وحقوقهم
لا ترهبي حكماً تسلل في الدجى
دقت نواقيس الحياة فهشمي
هبي كما هبت عواصف أمّتي
الجوهر الشفاف أنت بكل ما
تتنازلين! وكيف؟ مهما أخذوا
من نحن يا أختاه؟ أية قوة
شعبان جمعنا إلهٌ قادر
ودمشق هل تنسى محيا ناصر
وهي التي كم مرة ضمته في
وهتافها يعلو السماء وينثني

يا أعذب النجوى وأحلى كلمة
أدعوك باسم الحق والحرية
عشنا بها في ظل جمهورية
وبما على الأبناء من تضحية
لا تخضعي للقيّد والتبعية
يا أخت بالقدمين رأس الحية
وتمخضت في سيرها عن ثورتي
في الجوهر الشفاف من إشراقة
فيك الصدى ستجلجلين بقوة
في الكون تعصف بالشعوب الحية
ليست مشيئة ناصر ومشيئتي
في الساحة الفيحاء فوق الشرفة
أحضانها في لهفة وصبابة
من قاسيونك طائفًا بالغوطة!

أنا مصر أحمل حرةً قوميتي
فإذا وجدت اليوم من قد خانني
باعوا فلسطين الحبيبة وانثنوا
عرب ولكنَّ العروبة منهمُ
أصداء أسياد لهم ومضللو
أنا إن وجدت اليوم من قد خانني
لا ليس يعينني تقلب سادة
متربعين على كراسي حكمهم
فقد امتحنت اليوم فيك وزادني
أنا لن أبدل من قداسة وحدتي
لكنني مني سأدعم قوتي
سأحيل حزني ثورة دفاعةً
وأحول الدمع السجين بمقلتي
وبكل طاقاتي وإمكانيتي
وغداً مع الفجر القريب سنلتقي

علما يرفرف في سماء عربوتي
ونسوا أمام المال عطف أمومتي
ينسحبون إلى دمشق الحرة
برئت وكم حاطتهم باللعنة
عقل الشعوب وهم أساس الفرقة
عار أفرط في أداء رسالتي
أعوان الاستعمار والرجعية
مثل الدمى الرقاصة الخشبية
يا أخت إصرارًا حدوث المحنة
وتثبط الأحداث في عزيمتي
ومن الشوائب سوف أغسل جبهتي
وألف بالإيمان جرح الطعنة
عرقاً أشيد به صروح الوحدة
سأصوب الأهداف نحو الغاية
وتلفنا الأضواء يا سوريتي!

■ ■ أنا والليل ... ووحدتي

ربة الصمت وأخت الليل يا سرَّ الزمان!
وحدتي الأم! ويا أعمق حب وحنان
ها أنا عدت إلى حضنك في ظل الأمان
بعد أن مثلت دوري كاملاً بين البرايا ...

اخلعي عني قناعي ، مزقي الآن ستاري
وانفضي عني عبثي وامرحي الآن بداري
هؤلاء الناس ما أسخف أحداث النهار
أغلقي الباب علينا ، إننا صرنا عرايا

ادخلي المحراب إني فيه وحدي لا أنام
ثم حيي الراهب الأسود عملاق الظلام
أنت عذراء وهذا الليل بكرٌ وغلّام
إننا أقدس ثالوث على أرض الخطايا

قبلي في الليل يا أختي جيني ، قبليني !

وانحنی لی ، إننی أغلی رفیقات السنین
فیک کم أعشق حریة شکي ویقیني
وصراع الخیر والشرب بأعماق دجایا!

اترکینی الآن أمشي فی مسافاتي الخفیة
اترکي عیني ترنو نحو أجوائی الدجیة
إنها أسطع نورًا من قلوب البشریة
فهي کم تحمل أعباءً وکم تطوي بلایا

فإذا الساعة دقت أخمدي الدقات فیها
مالنا والوقت فی خلوة روح نشتهیها
وإذا الأشباح مرّت ، أبعديها ، أبعديها
إنها تقلق حلمي وانطلاقي ورؤایا

إن عندي كلمات دون بدء وانتهاءٍ
وإشارات تخاف اللمس فی ظل الضیاء
إن هذا اللیل لیلی ، وهو لیل الشعراء
نحن بین الناس نحیا غرباء وضحایا

■ ■ مات حيًّا

قلبي كالمولود الغضُّ

كالسهل المنبسط الأرضِ

كالبيت المفتوح البابِ

لا يخشى سطو الأعرابِ

كرمادٍ في جوف الموقدِ

كالمسرح إذ ختم المشهد

الآن رجعت إلى ذاتي

وحياتي رجعت لحياتي

لا عبء يغوص بحنيًّا

لا طوق يقيد خطوياً

أصبحت بجفنة عصفورِ

أصبحت أطيّر مع النور

حبيِّ الماضي أمسى قشره

قشرة فاكهة مصفرة

تُزَعَّتْ ومسحتُ بهارِیقی
ورمیت بها عبر طریقِی
ومشیت أهدهد أحلامِی
وأدوس الحب بأقْدامِی
وتنفست الأرض بقوّة
وانتفضت من جوف الهوّة
وتدفق فجر اطمئنانِی
وتغنی الطیر بألحانِی
حتى الأنجم صارت حرة
لا تخشى نظراتِی المرّة
فضلوع الشباك تدانت
وسماء الأوهام توارت
واللمبة أرخت جفنیها
وابتسمت تمسح خدیها
ووسادة أحلامِی ایضّت
ودموع السهد بها جفت
ورجعت لنار المدفأة
للبيت ، لعرشي ، مملکتِی
والقطعة لعقت أقْدامِی
والكلب تمدّد قَدْامِی

وسمعت أحاديث السجارة

وخلاف الصبية في الحارة

ونسيت كآبات الأمس

وانتفضت إطراقة رأسي

ووهبت الأحياء سروري وضحكت بقلبي وشعوري

ورجعت لنفسي ولذاتي وحياتي رجعت لحياتي

شيء في قلبي يطعنني شيء كالنار وكالسيف

الجرح يعود فيؤلمني أتراه الحب؟ أيا خوفي!

■ ■ حديث الماء للماء

ماذا يقول الماء للماء
ويهيم عبر طريقه النائي
إذ يعتلي جوف المواسير
مندفقاً نحو الصنابير؟

أتراه يشعر أنه يجري
أم ياترى يشتاق للفجر
تحت التراب لغاية كبرى؟
تمنّيًا دنياله أخرى؟
هو قطعة من نهره الأكبر
إذ كرروه وحينما كرّر
الارض شرخ صدرها شرخًا
وبداخل الماسورة استرخى
وكانه في جوف تابوت

تمشي على دنياه في نزق
ميلاده في شرفة الأفق
ودناه بالأضداد مجموعة
وفناؤه في جوف بالوعة
لكنه لم يرض أن ييأس
هو بالدجى والارض مستأنس
بل سار في عزم وإمضاء
من لي بسر الماء للماء...!

■ ■ عندما تنام القاهرة

منذ وقت مضى بعيدًا بعيدًا غابت الشمس في الدروب الدجية
هبطت سلم الفضاء عروسا تتهادى في حلة ذهبية
وتوارت فخلفت في سمائي حزن أم على فراق صبية
منذ وقت مضى وما زلت وحدي والخيالات في عيوني حية
أرقب الأرض والفضاء وليلاً من ربيع المدينة القاهرية
أي سحر وأي دورق عطر سكبته يد الملاك النقية
إيه يا أنت يا مدينة شعبي ومهاد الحضارة الأزلية
كل شيء عليك يبعث سحرًا وغموضًا ونشوة وهمية
ها هي القلعة الرهيبة تبدو من خلال المآذن الروحية
جثمت خلفها الجبال سجودًا لتواريخ أمة عربية
ها هو النيل قد تمطى كسولاً مستظلًا بالأنجم الفضية
إن نجمًا وراء نجم تهاوى كالضحايا في ساحة حريرة
والعمارات تستطيل وتكبو كعفاريات قصّة وهمية
والفوانيس تستوي واقفات كتماثيل ربة وثنية
والدروب التي تضج حياة قد تراءت في وحشة قفرية

وبقايا الأشباح تمضي سراعًا مثل طيف الرجاء والأمنية
والملاهي التي تفيض ضلالًا أفرغت جوفها ونامت تقية
والبساتين من بعيد تراخت واستراحت من الرؤى الأدمية
كل شيء على المدينة يغفوبين أحضان غيبة حسية
بح صوت العملاقة الآن ... كلت قدماها .. ونامت الجنية!

كل شيء ينام غير غلام يذرع الدرب في خطى ملكية
حاملًا سهمه الرشيق ، جميلًا وعلى الثغر وردة قرمزية
بعيون هدب وشعر جئيل ، ضاحكًا للظلام في سخرية
إنه الحب ! يا كيويديد رفقا ! يا إله المشاعر القلبية
أيهذا المليك حسبك فخرا أن حكمت الوجود والبشرية
كل قلب حللت فيه إله كل روح لمستها سرمدية
الشياطين في حماك استحالوا منبع الهدى والدروب السوية
والغزاة الوحوش صاروا عبيدًا قد غزتهم سهامك الوحشية
وقلوب الصخور والشوك لانت وتجلت قطيفة مخملية
ولك الله ! كم تخطيت يا حب حدود الأماكن الزمنية
فغدا الكهل في يديك غلامًا وغدت جدة الصبي صبية
وغدا الثلج والصقيع على القطب الشمالي نار أفريقية !

لهف نفسي لكم أسائل نفسي وأنا أرقب البيوت حية !
ما الذي خلف هذه الجدر الصم؟ وراء النوافذ الخشبية
كلها كلها تخبئ أحلامًا ونجوى وصورةً فنية
كم حياة بها كموت وموت كحياة وكم رؤى عكسية
كم عراء مقدس وبكاء ثمل ، كم من ضحكة دموية !
إنها قصة الحياة تجلت في ضلال السكون والحرية
فامض يا حب نحو كل بناء وابعث النور تحت كل حنية
أنت أنت الربيع في كل قلب ومثار الإلهام والشاعرية
ها أنا أسكب التأمل لحنًا تحت أقدام ظلمة قدسية
إن روعي تنساب بين شفاهي وهي سكري بالوحدة الأبدية !

■ ■ عتاب إلى القلب

ألم تر الليل يا قلبي يناديك؟
وأنت وحدك لا خلّ يناديك
فما ضحكت على النفس التي فيك
لا ضوء بعد غروب الشمس يجلوك
وسوف ينسون رغم المجد ماضيكا
تري التقاليد تفتنيها وتفتنيكا
وسرت في الدرب تستجلي نواحيكا
ألغى الرقيق وكان الأمس مملوكا
فقدت لذة عيش كي أجاريكا
مضيت تغمر بالألحان واديكا
لكي تحرر من خوف أغانيكا
ولا سردت بإخلاص أمانيك
توافه الناس تهجوني وتهجوكا
مالي أعاني وكيف اليوم أشكوكا؟

يكفيك يا قلب ما غنيت يكفيكا
قضيت عمرك تشجيهم وتطربهم
إذا ضحكت على الدنيا بأجمعها
لهفى عليك ستمضي العمر في ندم
سيركلونك يا قلبي بأرجلهم
يا قلب أنثى نمت في الشرق ضائعة
نقضت عنها قيود الذلل في شمم
فكنت أول قلب في صراحته
وكنت أولى ضحايا الصدق في بلدي
على حساب حياتي إذ مضت عبثا
هجرت إلفك إلف العمر منطلقا
لولا التوحد لم تجهر بعاطفة
لولاه يا قلب ، لولا الشعر ما اجترأت
هذا نصيبك يا قلبي رضيت به

■ ■ الربيع

هلّ فصل الحُب والـدنيا تغني
 وقلوب الناس تهفو للعناق
 كل شيء فوق أرضي فيه منى
 فيه حُب وحنين وانطلاق!
 ذلك البستان كم ينبض حيًّا
 كل ظلّ فيه قد ضمَّ صباحه
 إنه الجنة تبدو وسط دنيا
 رفرف الصدق عليها والصرامة
 كل شيء فيه قد شب وليدا
 باعثًا في كل وجهه بتحيةة
 ضاحكًا يهفو إلى الحُب سعيدًا
 زاهدًا يهدي عطاياه السخية
 ها هي الأزهار تحت الشمس تفتح
 ثوب إغراء موشى بالضياء
 الثنيات به تنأى فتفضح

موضوع الفتنة حسناً ورواء
ها هو الطائر قد مل عروشه
وهفا بالروح نحو المشرق
فوق غصن زاهر ينقر ريشه
مسعداً لاجتياز الأفق
كل صدر بالنياشين تحلى
قطرات النور والطلل بريق
والنسيم الحر سرى تجلى
من وراء الليل شفافاً رقيق

أيها الورد ويا فخر الزهور
باقية الحب وإغراء الفرائش
أيها الجدول، ياسرب الطيور!
يا غصوناً في ارتقاص وارتعاش
ظللتوني كل أيام حياتي
واحضنوا صوتي طويلاً وطويلاً
واملؤوا الروض بنجوى ذكرياتي
واتركوا آثار أقدامي دليلاً
ربما يأتي ربيع لا أحيي

فيه أنفاس النسيم الساهرة
فاذكروا في نشوة الضوء النقي
أن بين الروض مرت شاعرة!
نحن في الدنيا إذا غاب الربيع
مثلكم نحيا شتاء ممتهن
حين يأتينا ليجتث الضلوع
ذلك الحاصد من يدعي «الزمن»؟
ذلك الآكل في غدر صغاره
من يذري عمرنا مثل الرياح
خامدًا في قلبنا المشبوب ناره
غارسًا أشواك دمعٍ وجراح
فاسكبوا الآن بجنبتي الأمان
مالنا والغد والدنيا لدينا
والسما ترنوبعطف وحنان
والهوى السيد عبد في يدينا؟

■ ■ اسکندرية في الشتاء

إسکندرية — ما أصابک؟ إنها نفس الحکاية
هي قصة امرأة بدت في حسنها الصيفي آية
لم ييق للعشاق بعد شتائها أمل وغاية
أو تلك خاتمة الحسان الغيد؟ يا بؤس النهاية

دارت بك الدنيا ويا ويل الجمال من الزمان
حملتك من دفء العذوبة للبرودة والهوان
فبکيت شاحبة الجبين ، بکيت ضائعة الأمان
وملأت بالمستنقعات السود أحشاء المكان

أين العييد؟ عييد حسنک ، أين عشاق الجمال؟
أين الألى من آخر الدنيا أتوا رغم المحال
أغریتهم وسلبت وقتهم وما ضنوا بمال
ورمیتهم في البحر عابثة فعاثوا بالرمال

الضفة الشقراء كم قصص بها كانت تدور
أين انطوت ضحكاتها النشوى كألحان الطيور
أين الهوى والغمز والقبلات من خلف الصخور
وصدى الأكاذيب الحبيبة والأمانى والغرور

ذهبت ولم تترك هنا فوق الرمال سوى الضياع
وملامح الهجران حينًا والقطيعة والوداع
وسوى زئير البحر يخبط ضاربًا صدر البقاع
ودموع شاعرة لها قلب أثري الشعاع

السيل يغمرني وجبات الثلوج تدق رأسي
والرياح من حولي تصفر في أسى دام ويأس
والبرد ينشب نابيه ويدب في أغوار نفسي
والبحر! يا للبحر عرييد تجرع ألف كأس!

هذا هو الصياد يرقب ثورة البحر الإله
قد شد زورقه وأرخى الحبل واسترخت خطاه
وطوى الشباك وما طوى الصبر الحليم على أساه

يا أيها البحر العنيد امنحه أرزاق الحياة

إسكندرية! يا عروس البحر حسنك لا يغيب
إعصارك المجنون يصرع كل إحساس مريب
وشتاؤك الواهي تدب به الحياة مع الغروب
والليل فيك الليل فيك نداؤه مغر حبيب!

فوراء جدران البيوت يموج سحر مفتنن
وهناك مدفأة ومصباح وركن مؤتمن
وهناك تجلس «جدة» الأطفال تستوحي الزمن
تحكي حكاية «ابنة السلطان والشاطر حسن»

حتى إذا مر الشتاء نفضت عنك أسى الجمود
ورجعت - يا حظ الطبيعة - للأمان والعهود
وبدأت - يا حسن النهاية - فجر عمرك كالوليد
ليت الأنام لهم ربيع كل عام من جديد!

■ ■ تحالف

انتهينا ... كتب الحزن على بابي كتابه
«هاهنا داري ... وهذا البيت لي حصن الكآبة»
انتهينا ! وتحالفنا بلا أدنى اعتراض
واسـتقر الرأى حـرًا واسـتفاض
جاءني بالأمس ضيفًا متكلف ... وعلى البهو توقف
نار في وجهي وأرعد، ثم أرغى وتوعد
لِمَ تخفين وجودي مثلما يخفي العشيق؟
إنني أكثر من زوج وأغلى من شقيق
أنالي كل الحقوق ، فلمن هذا العقوق؟
سوف أمضي ... تاركًا أمسي ، ونجوى ذكرياتي
صحت في يأس ممض إن تدعني فلمن أحيا حياتي؟
أنت لي المعجزة الكبرى التي تروي الشجر

أنت نوري المستتر

أنت أحلام انتظاري

وشعوري المنفعل

وإذا أعرضت عني ... فلمن قلبي يغني
وهو يسـتـجـدي الأمل؟
هكذا عدنا وقسمنا حياتي
فلي الفن كفني ... وله عمري وذاتي
وانتهينا ... كتب الحزن على بابي كتابه
ها هنا داري وهذا البيت لي حصن الكآبة

■ ■ الزهرة الذابذة

وضعوا الزهرة النضيرة يومًا في إناء منسق الألوان
فوق رف من الدير أنيق بالتماثيل والدمى مزدان
وسقوها الهدوء والحلم الحر وعين الرضا وجو الأمان
ثم قالوا: ما بالها تتراءى في ذبول وصفرة وهوان؟
رأسها الشامخ المهيب تهاوى فوق صدر الإناء في خذلان
نحن لم نقس، لم نضن عليها بالأمان وبالهدوى المتفاني
أترى الليل قد أطل عليها والتوى العود في أكف الزمان؟
تمت نفسها الحزينة في صوت عميق مسترسل الألحان:

كنت روحًا على الرياض وثوبًا يوم أن أهرقت دمي كفان
كان مهدي الثرى وأفقي غطائي ودماء الحياة في شرياني
قد يكون المساء قطب في وجهي حينًا وغام في أجفاني
ويكون الفراش جرح خدي وارتوى النحل من دمي الولهان
وتكون الغصون أثقلن ظهري وتربعن فوق عرش مكاني
والأزاهير قد أثرن ظنوني وتحدين غيرتي وافتتاني

غیر ائی أحسست نفسي تحیا ، تلك كانت علی الربی أکوانی
تلك كانت هی الحیاة بما تحوی من النور والظلام العانی
کلما مسنی الفتور تساءلت لماذا وجدت فی بستانی
ألا نعی الحظوظ والقدر المر وأمضى الحیاة فی الأحزان؟
أیها الیأس لا تمر بروضی ، أیها الضعف لا تمس کیانی
أنا إن لفت الهزیمة رومی أی مغزی للعیش؟ أی معان
ولمن شیدت الجبال إذا لم أك أهفو إلى اعتلاء الأمانی؟

ولقد یشتهي الغریب سؤالی کیف أمضیت فی الربی أزمانی
کل شیء له هنالك روح ، کل شیء كانت له عینان
عشت فیها طلیقة الروح نشوی ، رغم قیدی سخیة الوجدان
رب قید فی النفس أشقی وأقوی من قیود الیدین والسیقان
الفضاء الفصیح یعتق أنفاسی ویضفی السنا علی تیجانی
كان لی فی رؤاه کل صباح ضمة الحب واللقاء الهانی
ألف سر هنا بأعماق رومی خبأته الریاض فی کتمان
کم رأیت النسیم یهدی إلى الروض رسالات عاشق حیران
وسمعت السماء تفضی إلى الأرض بسر الخلود والإیمان
فتعلمت کیف یمكن أن تنضم شتی الزهور فی اطمئنان
نحن نحن الزهور نؤمن بالحسن وسحر الطبیعة الفتان

ربنا الخير نفتديه رحيقًا والهوى الشر والمنى أبوان

آه من قبضة الظلام وأنفاس شياطين هذه الجدران
هذه الحجرة الأنيقة والرف جمادان ، بل هما قبران
كيف يقوى السجين أن يقطع العمر عديم المنى بلا أوطان
أعطني تربتي التي أنا منها وأعدني للأرض يا ... سجاني
قد رشف الحنان من ثديها النامي وضمت أحضانها
رب أرض أرق صدرًا وأحنى من قلوب تجيش بالخفقان
هكذا أذبل القطاف عييري ! من تراه على حياتي الجاني؟
كل شيء لمست فيه وفاءً غير أني خُدعت في الإنسان

■ ■ الإمبراطورة الحزينة

كالزهرة المغمى عليها تحت أعباء القدم
كالروح ضائعة الرؤى والحس تحتضن العدم
تتلفتين هنا لأمسك كالسفوح إلى القمم
وهناك «ديبا» بالهوى والحسن تنعم ناظره
أواه ما أقى الحظوظ وكم تدور الدائرة!

أنا يا ثريا اليوم جازعة عليك وفي كرب
أنا لم أقف يوماً بهذا الموقف الدامي الرهيب
أنا لم أعش عمراً كعمرك كله خصبٌ جديب
أنا لم أكن زوج إمبراطور بفتنة ساحرة
لكن لي قلباً رهيفاً لي مشاعر شاعرة!

عيشي فكم في الكون من أمل يداعب مقلتنا
ليست معاني العيش أزواجاً وأولاداً لدينا
البتت تُهمَل والفتى إن شبَّ قد يقسو علينا

والزوج إنسان له أخطاؤه المتوافرة
والصبر بلسم جرحنا والله يهدي الصابرة

والله! ما معنى اسمه إن لم يكن معناه حبًا
والحب إنسانية ضمت قلوب الناس قلبًا
لا تحسي «ديبا» فمن يدري الذي تطويه كريا
دنياك بالأمل المجدد والمفاتن زاخرة
هيا ارقبي أحداثها الغضبي بعين ساخرة

■ ■ إلى خادمة

لا تقولي اليوم ستي ... أنت ستي
أنت في الحجرة في أقصى الحديدية
كل ما عندك أشياء عتيقة
فسرير من حديد وحصير
كيفما يحييها الفقيير
وأنا أملك «فيلا» كالقصور
وأثاثا من خشب «الأرو» وفرشا من حرير
وسبط بسطاني النضير
ولي ورد الشهي
والجمال العبقري!
وإذا أحببتُ أن تأتي سريعا
جرس جنبي يناديك مطيعا
فإذا القهوة والشاي أمامي
وإذا طيفك يمدنو في احترام
غير أني أتمنى ... آه من قلبي المعنى

أن أكون اليوم أنت بيتك المضحك بيتي
فخذي الآن هدومي ... إنها تحوي همومي
البسيها ... لا تخافي أن يراك الناس فيها
إنني كم أزدريها ... وخذي كيس نقودي
وحلي وعقودي ... إنها حمل كبير .. إنها حظي المرير
أنت تجرين كما تجري الحمامة وأنا حولي غمامة!
أي شيء لك يفرح ... يفتح الصدر ويشرح
أي هدمه أي لقمة هي في ظنك نعمة
وأنا الدنيا بما فيها بعيني ضيقة
واحتمالات نعيمي مرهقة
أنت أغنى بالرضاء ، من تفاهات ثرائي
نحن صنف الشعراء ... لا نرى غير الكآبة
والأماني والضياء ... حول عينينا سحابة
لا تقولي اليوم ستي فأنا عبدة همي
قلق يمتص دممي
أعطني نفسك يا يا خادمة
وخذي مني روحي الواجمة ...!

■ ■ رب الدار

وأنا على غيظي وثورة ناري
وبحدة الإفضاء آخذ ناري
ذكرى الإهانة والأسى والعار
ما يستدل به على الإعصار
وأخوض بالضحكات كل حوار
يتصرف الأزواج في استهتار
وحياتنا قدسية الأسرار
رغم الخلاف المررب الدار
بيني وبين الأهل في إصرار
لتظل في الأذهان رمز وقار
متوحشًا في ثورة الأشرار
فارقنتني فيها بلا إنذار
تهمي على خديك في مدار
ألقيتها في ذلة المنهار
أخشى عليك من النسيم الساري
ومدخنا ما شئت من سيجار
أطوي بعمق جوانحي أخباري!

وتركت بعدك في الصباح دياري
وذهبت أشكو منك عند أقاربي
وعلى الطريق تبخرت من خاطري
حتى وصلت فلم أجد بمشاعري
راوغتهم وجلست أرغي بينهم
عارضت نفسي في الشكاية مثلما
وذهلت كيف نويت أكشف سرنا
وأجاب عقلي يا بنية إنه
ولمحت في قلبي خيالك قائمًا
وخشيت أروي عنك أية هفوة
وكانما بالأمس لم تك غاضبًا
وي! قد نسيت وما نسيتك لحظة
منديلك الشفاف يمسح أدمعًا
وعلى الشفاة تحية مبحوحة
ووجدتني يا ضعف قلبي في الهوى
وأخاف تسرف في همومك شاربًا
سلمت في عجل وعدت كما أنا

■ ■ في الشارع

مالي أدب على الطريق كشاردٍ ينعي أساه
وأخوض أغوار الزحام كقشةٍ وسط المياه
لم أغمر الدنيا بأسئلتني وأحقد في انتباه
وعلى فمي هذا الصدى المخنوق : «ما سر الحياة؟»

هذا القطيع الأدمي علام يجري في اندفاع
سيظل يجري مثل من سبقوه في دنيا الصراع
متصادمًا بالكنف حينًا ، باليدين وبالذراع
حتى إذا عبر الطريق طوى الوجود بلا وداع ...!

هي غابةٌ يرتادها الحيوان ذو العقل القدير
عبداً لمن؟ للنفس ، يا للنفس من وهم كبير
يمشي وتستهويه كل سخافة العيش المرير
ويسير في بله الغرور إلى الفناء ... كما أسير!

وجرت علی خدی الهزیل یدی تعرقل سیر دمه
وتفلسفت نفسی تعزینی وتغمرنی بمتعة
هل لوعرفت نهاية الدنیا أرى فی الكون روعة
وإذا خلدت هنا أما فی عیشی الأبدی لوعة؟

■ ■ ليالي الهناء

مضيت حبيبي ومالي سواك!
أحس بيتم كئيب كئيب
مضيت وخلفت لي الذكريات
وفي كل ركن أحس الحياة
وأمضي أسامر بعض الأثاث
وأسأل هذا السرير الصموت
وكيف تراخت وسائده
ونحن بأحضانة نستमित
ونشرب أنفاسنا البكر حتى
ويضحك منا الغرور العنيد
فنحسب أن هوانا فريد
وأنا اخترقنا حدود الحدود
وأني عشقت أديبي المجيد
وأنتك أحييت شاعرة
وبين اشتباك اليدين العنيف

وكيف تغيبت عن ناظريا؟
عفا الله عنك! قسوت عليا
وبيتا يضم شذاك النديا
وقلبًا يموج وينبض حيًا
فيرنو حزينًا ويصغي شقيا
لماذا استكان وكان عتيا
وياكم طوتها المشاعر طيا
حياة ونحيا فناء شهيا
تفيض الصدور وتشرق ريا
ويمضي الخيال بنا شاعريا
وأنا ابتكرنا الهوى الأزليا
وجبنا مدار السها والثريا
كاتبي الملهم العبقريا
يدوي صداها الحنون دويا
وضوء الأباJOR فوق المحيا

يتمتم صوتك في مسمعي
أحقاً سيخلد هذا الهناء
رهيباً رقيقاً حياً
وتبقى فلانة بين يديا؟

ويثقل جفنيك هذا السؤال
فأنهض حتى أصد الخيال
وكن صالتنا نستعد
تحكي حياتك! أحكي حياتي
وفي ذهلة عن معاني الوجود
فأهوى بجسمي تحت خطاك
وأسند رأسي على ركبتيك
وتحنو عليّ فيعصف زهوي
ويطبق ثغرك في ثورات
فأبكي وأضحك نشوى بحبي
لعلي أصدق أني أعيش
ويعلو نداء المؤذن حراً
وما زال فينا حنين التداني
كذلك مرت ليالي الهناء
مضيت! وكيف ومالي سواك
كأنك تحمل عبءاً قوياً
وتقفز خلفي طروباً فتياً
لنجلس كالعاقلين سوياً
وما كان طي الزمان خفياً
أراني عشقت الخضوع الأيبا
وأرنو إليك ملياً ملياً
وأحضن ساقيك في ساعديا
كأنني أخضعت فيك نبيا
الجنون الطمّي على شفّيتا
وأضغظ حيناً على راحتيا
وأن زماني أضحى سخياً
ويسطع فجر الوجود جلياً
وما زلت أصبو وتصبو إليا
فعدلي حبيبي وكن لي وفيّاً
غفا الله عنك قسوت عليا!

■ ■ فات الأوان

ماما! وشقَّ الصوت في زهو
ماما! وهلَّ خيالها نحوي
فإذا الجريدة من يدي تهوي
جو الدير كلحن عصفور
متراقصًا كالغصن في النور
وأغوص في أعماق تفكيري

وسمعت صوتًا ضجَّ في نفسي
فات الأوان فأين لي أمسي
فات الأوان؟ فيا دجى ياسي!
وكانه أصداء شيطان
ومضى الشباب وماله ثان!
وأثار فيَّ الصوت أشجاني

ووجدتني كالوردة ازدهرت
وارتدت النفس التي شردت
وإذا علي خدي قد انحدرت
في روضةٍ جدباء شتوية
زمنًا إلى أعماقها الحية
أغلى دموع العمر نارية!

فبكيت عمرًا مرَّ في اللعب
وبكيت حزنًا دونما سببٍ
ورضي بلا شيء ولا طلب
وبغير فكرٍ مجهودٍ واع
وتضاحكا من غير إقناع
ولأجل لا سبب ولا داع

همست فتاتي الحلوة النشوی
عاهدتني أن تسردني الشکوی
أنا في انتظار السر والنجوی
هذا الوجوم بغير إنذار
ماذا وربّي حل بالدار
ومضت تقبلني بإصرار

فأجبت يا ذاتي وتکويني
ماما نداء منك يشجيني
ولكنّ طفلك سوف يدعوني
هو عاصفٌ قد دار في ذهني
ولكم بيت النور في عيني
يا جدتي فأموت من حزن

قالت: وكيف وأنت لي أختي
لا تعبئي ما قيمة الوقت
الطفل سوف يقول: يا تنتي
وصديقتي ورفيقة العمر
ما دام فيك نضارة الفكر
فلتضحكي يا أم في بشر

تممت فلاهزأ من الزمن
سأظل أسمعها لتهزمني
سأظل أسمعها لتسجني
أنا يا ابنتي ماما فناديني
وعن الهوى الغدار تثيني
في سجن أبنائي وتحميني!

■ ■ اعتراف

هذا المساء أود أنزع من فؤادي كبريائي
إني تعبت من التمرد واستكنت إلى الرضاء
يكفي علام تشامخي وعلام أسرف في الإباء
والحب طفل لا يحب سوى السذاجة والغباء

هذا المساء أود أن أفضي إليك بكل سري
لا تبسم إني أحبك لست أشدو الآن شعري
هي كلمة ملأى بكل صراحتي عذراء تغري
هي ثروة ما كنت أبدلها لغيرك طول عمري!
أنا كنت كالمسلولة الصماء أجهل ما الحياة

كانت أحاسيسي الغزيرة لا تعير لك انتباه
أنالم أكن وطنتهن على مراسيم الصلاة
أنا كنت كافرة بحقك أنت ، بالحب الإله؟

حتى رأيتك ثائراً بالأمس كالأسد الطعين
وعرفت أنك كنت تخفي العزم في ظل السكون
ولمست فيك السحر رغم صرامة الوجه الرزين
وشعرتُ يا يا كم شعرت بنار حبك ، بالحنين؟

لو لم تثر بالأمس أنت لأجل نفسك ، للرجولة
لو لم تحقرني أنا وأنا العريقة والأصيلة
لكرهتُ جَباً مائعاً ينساب في ظل السهولة
وأبيت أعرف في الهوى شخصية كسلى هزيلة

أنا قد عشقتك خالصاً من كل أسلحة الجمال
أنا لست أعتبر الجمال يشدنا نحو الرجال
إننا نحب النضج ، نضج الفكر في ظل الخيال
وتذوب في الرجل القوي الروح ، مؤتمن الوصال !

■ ■ أغنية الشاعر

أنا من يملك الدنيا وكل دنائي أشعارُ
وجودي قبل أن أوجد قد وشمته أقدار
يكلل هامتي نور وتحرق مهجتي نار
وشعري عنصر الدنيا ففيه الحب والشار
وروحي نسمة تسري ونافذة وأستار
وليس لديّ من خل فخلي الظل والدار
نبيّ فارسٍ ملكٌ وشيطان وسحار

أنا من عشت ظمأنا وليس لغتني منقع
وهذي الكأس كأسكم بكل هوى الدنى تترع
قذفت بها وراء الظهر فارغة ولم أشبع
ففخري من دنى أخرى ونور من سنا أبداع
وخلف جبينني المحموم كونٌ آخرٌ أوسع
أطير وراء أنجمه وقد أهوي وقد أصدع
ولكن نشوة التحطيم تسكرني فأستمتع

ومن روح الطبيعة جئت ، صاغ الله أسراري
فإني النبع في بدئي ، وإني الجدول الساري
وفي زهوي بتكويني وفي جولات أفكاري
غدرت النهر مجتأحاً أمامي جسر أسواري
إلى البحر الكبير هناك في أحضان أقداري
وحيث يلف أذرعه على جسمي بإصرار!

وأنى الغاب يغمري سكونٌ غامضٌ مقلق
إذا عبر الورى دربي فدربي مظلم مطبق
عليه تئن أوراقى بوجه شاحب مرهق
ولكن لي تسايحي وهمسي الخاشع المطرق
وفي أعماق أعماقي سماءٌ لونها أزرق
يفضض جدولي قمرٌ ويرعش دوحتي مشرق

وإني الجبل العالي بعبئي الزاهد المثقل
وهذا الفجر إن يشرق فلي من قبلكم مرسل
ولي خطوته اله الأولى ولي إشعاعه الأول
ولكنني أحنُّ على مدى أفقي إلى أسفل
أصد زوابع الدنيا وأبسط ظليلي الأكمل
ومن أحشائي الجرحى أشيد البيت والمنزل

ربيع الناس أشواقٌ وكونٌ من صباباتٍ
ولكن لي أنا وحدي ربيع في سنا ذاتي
وليلٌ شاعرٌ مثلي تدفق بالخيالاتِ
وتحت أناملي أمضي على ألحان أهاتي
أزف الفكرة النشوى إلى المستقبل الآتي
وأسكر بالرؤى وحدي وأزهو باعترافاتي

خريف الناس في الدنيا دياجيرٌ وأمطارٌ
ولي وحدي خريفٌ في صميم القلب منهار
فكم يغزو دمي ليلٌ ويغزو الروح إعصار
وكم تسري كآباتي وليس لهن أسرار
فأذكر أنني فنٌ وأن الفن جبار
وأصرع في الدجى قلقي وتلهب رعشتي نار
وأمضي عازفًا نابي على شفتي أشعار
نبيّ فارسٍ ملكٌ وشيطانٌ وسحار

■ متى تعود؟

حبنا يا حبنا الغالي أجبنا
نحن دللناك حتى صرت منّا
نجن إذا ملكتنا منك اتكأنا
ورأينا العمر نهرًا فعبرنا
جئتنا يا حب كالعاصف فينا
نحن لم نخترك حتى تصطفينا
كنت قيّدًا فمددنا معصمينا
وتوسدنا أمانينا ونمنا
كنزنا الضائع لا شيء لدينا
عد كما كنت فإننا قد ملأنا
قد فقدناك فصرنا غرباء
وتحسسناك في القلب هباء

أي ذنب قد جنينا يا جحود؟
كيف آثرت هروبًا وشروود؟
فوق جسر واقعي من حديد
مشرئين على نهر الخلود
خاطفًا كالبرق هدار الرعود
ثم تنأى غائبًا عنا بعيد
وطلبنا منك إحكام القيود
تحت أقدامك زهواً كالعيود
يبعث الحرص على عيش زهيد
بهجة القلب نفورًا وصدود
مثلما يفقد زوجان وليد
فمتى يا حبنا الغالي تعود؟

■ ■ إنسانة

أنا لست حاقدة عليه وإنما
صنت الحبيب ولم يصن حبي وإن
يا كم بذلت لكي أفوز بعطفه
وتقلبت نفسي على طرق الهوى
فغدوت حينًا كالملاك أمامه
ووهبته الدنيا بفرحة نورها
وحسبني عقلاً يعز وجوده
لكنني أخفقت في إرضائه
ثم انتبهت على حقيقة أمره
فإذاه إنسان بكل عيوبه
فعزفت عن بحثي وحب تطرفي
غضبي على أقداري الغضبانة
أضفى عليّ حنينه وحنانه
وأنا برغم إبائه إحسانه
وترسمت في لونها ألوانه
وغدوت عند اليأس كالشيطانة
وبثت في أعماقه أحزانه
وظننت أني في الهوى فنانه
وفشلت لم أرجع له إيمانه
وبكل تجربتي فهمت كيانه
وصفاته وحياته الحيرانية
ورضيت أن أغدوله إنسانة

■ ■ نادنی

حین تصحو علی الحقیقة والواقع من حلمك الوثیر المترف
وتری كونك المدید ولكن لیس بالعين بل بروح مرهف
فإذا الكون مسرحٌ من رياء وغرور وخدعة وتكلف
وإذا العیش والأمانی والحب خیالات شاعر ومؤلف
وإذا الوحدة الكثیة تنساب إلى حضنك الكئیب وتدلف
وإذا اللیل مارڈٌ یبعث الموت بجنیبك موحشًا ومخرف

نادنی! نادنی! فمن آخر الدنیا ألبی النداء لن أتخلف
من وراء البحار ، من خلف هذا الأفق ، من عمق لیل مغلف
لن أضل الوصول فالطیر یرتد إلى العش آمنًا ومرفرف
فإذا ما تعذر الركب حینًا فسأمشی بخطوی المتلهف
وإذا كلت الخطی وتهاتوت فسأحبو علی یدیّ وأزحف

سترانی جوار قلبك أحنو وأواسی عذابه وأخفف
وستمتد راحتك إلى قلبی لتجتث ما زرعت وتقصف

فإذا القلب مخمليّ الأمانى ، ناعم اللمس كالحرير مهفهف
فسألقي على الطريق بذلي وعتابي وهجرك المتعسف
وأوافيك شاطئاً من حنان وهزاراً بلحن حبك يعزف
نقطع الوقت في الصلاة لحيننا وفي معبد الهوى نتصوّف
لن نطيل الكلام فالحب لن يترك إلا أرواحنا تتكشف
والإشارات قد تحرك أمسينا وقد تلمس الجراح فتنزف

فإذا ما صحوت في الغد يوماً بعد حلم من الخيال مزيف
نادني! نادني! فمن آخر الدنيا ألبى النداء لن أتخلف!

■ ■ انطواء

أیهما الغاضب منی لا تکن سر شقائي
استمع لي ! أنت لا تدرك معنی لانطوائي
إنه دائمي ولكنني أرى فیہ دوائي
إنه بلسم جرحي ونداء الكبرياء
عبثاً أهرب من نفسي وأطوي ذكرياتي
أنا أهواك ولكن هكذا أحياتي

لك أن تعصف كالريح بأغصاني وزهري
لك أن تشرب ظمأنا ينابيعي ونهري
لك أن تبني سداً حول دربي وممري
لك أن تخنق في كفيك ألعاني وشعري
لك كل الحق أن تحكم حتى حركاتي
غير أني لي وحدي ليس للغير حياتي

أنا كالزئبق لا أبدو سوى خلف الزجاج

كفراش الليل أفنى لو تلمست السراج
كسجين العمر كم أشقى إذا اجتزت الرتاج
أنالي الوحدة إكليل ولي الأهوام تاج
فامثل لي العذري يا حبي وهون سيثاتي
أنا أهواك ولكن هكذا أحياتي

إن روعي مثل أرواح الفراعين القدامى
لم تزل تبعث من جوف «المسلات» كلامًا
فإذا شئت وضوحًا ثم نقرت الرخاما
ضجَّ صوت الروح مذعورًا صخوبًا... ثم ناما
أصغ في صمت ولكن لا تفسر كلماتي
فأنا وحدي كتابٌ مغلق يطوي حياتي

سوف لا أخرج من قوقعتي إلا لرسمي
إن حرمني دنيا من ملذات وأنس
وعذاب الصمت قلب نابض يبهر حسي
وانطواء النفس إيمانٌ به أعبد نفسي
وفتوري هو إعصارٌ يداري رغباتي

أنا أهواك ولكن هكذا أحياتي
إن شمسي ضوءها الباهت في كهفي حريق
وسمائي فوق من يعبر تهوى وتضيق
وخطى ليلى أفاعٍ جائعات تستفيق
وعلى بابي عملاق له السيف رفيق
ابتعد! لا تتوغل في سراديبى وذاتي
أنا أهواك ولكن هكذا أحياتي

■ ■ لست أعشق

أطمئن اليوم لن تسمع مني أي كلمة
سوف يغدو عمرك الباقي معي أهدأ نعمة
كله عندي رضاء وسرور
وبه استسلام أصحاب القبور
لن أخالف ... لن أناقش ... لن أثور
وإذا قلت يمينًا أو يسارًا .. سأسير
سوف أمحو كل أسباب أساك
وعنادًا كإدائي يودي به وراك
ولأني سوف أغدو كالغريبة
فسأبدي الاحترامات المهيبة
للذي أضفى على عرش الدير
صولجانًا ممن وقار
جاهلاً حكم الشعور ... لا وربي لن أثور

إنما أنت الذي - رغم خضوعي - سوف تأسف
وإلى ثورة قلبي ولساني تتلهف
إنني أعرف قلبي ... إنه غرٌّ وأحمق
فإذا لان وأرخى وترفق
إنما معناه أني لست أعشق

■ ■ هورشتوية

سحبٌ قائمة تتهادى من خلف النافذة برفق
سحبٌ والريح تبدها كالنهر السابح في الأفق
أرنبو وأفكر في شيء ثمّة أشياء في فكري
سأحاول أنفضها عني فالليلة أطول من عمري
أفكارٌ ثائرة تهرب من عقلي وتصدُّ خياله
كعصاة إجرامٍ تفلت في عنف من وجه عدالة

من خلف زجاج الشباك المبتل بمطار شتائي
الدنيا تعكس في عيني صورًا من وحي الظلماء
والشجر العاري في وجهي يضحك ضحكات منكوبة
كحبيب في لحظة موتٍ يرنبو ويودع محبوبه
والباب الخلفي يصرصر في صدى... وغسيل الجارة
يلتفُّ على الجبل بغیظٍ ويصفق... يلطم إعصاره

الدنيا كالسجن الأكبر والأرض عليها كسجينه

وخروف الأنجم كوشوم في صدر ووجه المسجونة
وسماء تعتصر بجهد حالب مقلتها المخزونة
وثياب الأفق مهلهلةٌ بجراح نجوم مطعونة
والجرح الأكبر يستسلم لضماد السحب الدموية
وأمامي الليل كعملاق ينفخ شذقيه بوحشية

أمشي في الحجرة كالحيرى وخطاي تدق اللاشيا
من يحمل عني مهزليتي ، من يحطم قيدي الأبديا
سؤل تتلاحق من حولي وتبث سخافة أشعاري
لكن النار ستأكلها ، ما أعظم فائدة النار ...!
أمشي وامرأة في صمتٍ تحتل مكاني ... مذهولة
امرأة آتية مني ... امرأة أخرى مجهولة !

■ ■ رسالة إلى الله

صباح الخير يا ربي صباح النور والفلّ
لقد أصغيتُ في ليالي إلى الأسرار ... فاغفر لي
ثوت أمي جوار أبي بركن الدار في ذل
وقالت: «أين كنتَ اليوم؟» قال: بحثتُ عن شغل
فصاحت: لم تجد طبعًا وكيف نعيش يا ويلي!
أجاب: غدًا يعدلها فربي صاحب الحل

بكت أمي وقد كتمت أنين الدمع في حسرة
وقالت: لم أعد أقوى على التفكير في بكرة
بتاع العيش أنذرني سيأخذ في غد أجره
وأقسم بالطلاق فلن يشككنا ولا مرة
وصحب البيت من شهرين لم ندفع له الأجرة
أراد اليوم أن يلقي بعفشي خارج الحجرة!

أجاب أبي: كفاك الآن ما أديت من خير

فرب صغیرنا یصحو ویشعر بالذی یجری
لقد ذاکر قبل النوم فی جد و فی صبر
ونام علی منی کبری و فی إغفاء البشر
فکیف نحمل الغصن الرطیب عواصف الفقر
کفأک الآن ما قیل : الصبأ رباح من یدری ؟

وألقت مهجة المصباح آخر شهقة جهمة
وران الصمت إلا من أنین الأم فی کلمه
لقد نضبت قلوب الناس أین العطف والرحمة!
وقام أبی وقد صلی العشاء بغمرة الظلمة
وتمتم بأسطا کفیه نحو السقف فی همه
غدًا سیحلها ربی ... فنامی الآن یا حرمة

وها هو ذا «غد» یأتی ویأتی الحل کی نسعد
وها أنا قبل أن أبلغ مدرستی وأن أقصد
کنبتُ إلیک یا ربی لعلک تذکر الموعد
بحقک لا تقل أبدًا بأنی جئت أستتجد
فإن أبی سیحزنه شقاء صغیره الأوحد
وإن أبی له عشمٌ کبیر فیک لا ینفد

■ ■ أقوى من الهوى

هجرت زمان الشعر زهدًا وراحةً
وعفت انطواء الليل بين قصائدي
فحطمت قيثاري وأغلقت معبدي
وذاث صباح جئت أسناف عطره
ودفق قلبي بالجمال وسحره
ودارت بي الدنيا وأحسست أنني
فإذ بي أرى روعي على الشعر تنحني
وتبكي كما لم تبك يومًا نواظرُ
فأيقنت أن الشعر أوغل في دمي
وأن حياتي دون شعر رخيصةٌ
وأيقنت أن الفن أقوى من الهوى

وصنت بقايا العمر من لوثة المجد
وإطراقة المصباح والفكر والسهد
ويممت نحو الحب موفورة السهد
وأرنبو إلى الأجواء من شرفتي وحدي
وغني مع الأنسام والطير والورد
نفضت ثياب الموت في جنة الخلد
وتلثم طرف الذيل في رهبة العبد
وتبدي من الأشواق والوجد ما تبدي
وإني برغم الهجر موصولة العهد
وما مرَّ يُحسب وليس بذئ عد
وأغلى من الأنفاس والروح والولد

■ ■ ■ لم يتغير

لا تقل لي أن حبي صار أصغر
ربما حبي تطور... إنما لم يتغير
إنه كان سخياً ودفوقاً
وغداً الآن رزينا وعميقاً
قد يكون منظر النار إذا شبت مثير
إنما كل حريق ينطفي رغم السعير
كل حب كان يغلي يتبخر
وتعيش النار في القنديل أكثر
إنها نار هدوء واتزان، تملأ الأعراف نبضاً
إنها دفاء ونور وحنان
إن حبي عاش طويلاً، ليس عرضاً
لم أعد أعشق هندياً وشكلاً
صرت أهوى فيك تفكيراً وعقلاً
لم أعد أومن بالحب الصموت، إنه كالعنكبوت
يغزل الوقت سواداً وملل، ونسيجاً من لعاب وقبل

فتكلم وتكلم ، لا تدعني أتألم
الحديث الحلو وكم يغري ويسكر
إنه من ثغرك الصخري سكر
ربما القبلة تبدو كإطار
إنما الكلمة صورة... والحوار
هو روح قد تسر
هكذا حبي تطور
إنما لم يتغير

■ ■ قسمتی

أحبك قلبي وأحببتني وكننا مثالي غرام أمين
وطال البعاد وجافيتني لأتفه سبب وأوهى ظنون
ومرت ليالٍ وهلت ليالٍ وأنت بطيف اللقاء ضنين

وقلت أعلل قلبي الحزين وأنفض أفكار الحائرة
يريد التظاهر باللاشعور وفي قلبه شعلة نائرة
ويهوى التباعد حتى أثور وهيئات! إني له قاهرة!

وحين مرضتُ ولم تسأل ولا مر صوتك عبر الأثير
تيقنتُ أنك لم تهمل ولكني نسيت هوانا الكبير
وضاع - على حسرة - أمني بأن جفائك محض غرور

ورحت الملم قلبي الكبير وأمحو سنين الهوى الزائلة
وبين ضلوع احتقار رهيب لنفسي الغيبة والجاهلة
ونظرة حزنٍ وهزء مريب تداعب إطراقتي الذابلة

وفي عمق ياسي وفي وحدتي وبين دموع الأسى والشقاء
شعرت يدين على جبھتي وقلبايئث بقلبي الضياء
غريباً ولكنه قسمتي وأنبل قلب يضم الوفاء.....

■ ■ الذكريات

هذه القصيدة وضعت للغناء

هيئات أني قد نسيت هواكا
حفظتْ عهدَ غرامنا شفتاكا
فشربتها والروح في يمناكا
لي مأربٌ في الكون غير رضاكا
وأبيت في دين الهوى إشراكا
أحيا وقد حرم الفؤاد رؤاكا
وتعود بي نشوى إلى دنياكا
عانقت في أجوائها الأفلاكا
ومقدرٌ ما أرتضيه هلاكا
تتأمر الدنيا به ... وإذاكا
وتمدُّ فوق دروبي الأشواكا
ما كنت أعتقد الحبيب ملاكا
وهتفت يا قلبي الجريح كفاكا
يزهو بقصة حينا ضحًاكا
ما كنتُ أسأم ذكرها ... أهواكا
أقسمت لن أحيا على ذكراكا

أتريدني أحيا على ذكراكا
أنا كنت أحفظ ذكرياتك إن تكن
أسقتني كأس الفراق مريرة
ورضيتُ ما قسم القضاء ولم يعد
وحيت في ظل البعاد وفيه
وتساءلت نفسي لأية غايةٍ
فأجبتها للذكريات أعيدها
ومضيت أذكر من زمانك جنةً
وظننت أنك مدركٌ تضحيتي
فإذا هوى على شفاه عواذلي
تغزو الرياض وتستبيح أزاهري
أنالم أكن أهفو لحب كامل
لكنني أثرت صون كرامتي
وأبيت أعشق فيك طفلاً طائشاً
ضاعت ليالي الذكريات وكلمةً
لي عزة النفس الأبية في الهوى

■ ■ وردتان

كانتايومًا على كفيّ به بستاني زهور
كانتاي في معبدي القدسي ينبوعي بخور
كانتاليلة حب كانتا مشرق نور
قال لي اختاري وألقى بهما فوق السرير

كانت الصغرى كطفل داخل الكلة يسم
نغرها ما زال مخنوق الأمانى، كان برعم
قلت: أهواها شفاها ناضجات الحسن تلهم
أعطني الكبرى ففيها أمسها العرييد مبهم

واقترسنا... ليتنا لم نقترس عطر السعادة
ورقدنا أينام الحب في ظل العباداة؟
واقتربنا والهوى المشبوب مسلوب الإرادة
واقتربنا... والعزولان على طرف الوسادة

مرّتا فوق خدودٍ وعيونٍ وشفاها

عشتا عمریهما فی عمر لیل ومداہ
ذاقتا مماتنا ذوقنا بأعماق دجاہ
من دموع وابتسام وفناء و حیاة

وانطوت لیلۃ حبّ کان أسمى من دنانا
وأطلت مقلۃ الفجر علی رکن هوانا
فإذا الحلم تواری وإذا الواقع بانا
وعلی الأرض تراخت فی عناء وردتانا

هما الآن أمامي وسط درج الشفيرة
هاهما فی الدرج تمتدان كالأفعی الضریرة
تنفشان الأمس فی عینی وتمتصان نوره
والهوی المدفون فی جوفیهما ینعی مصیره

وردة تغفو وأخرى تلثم الدرج بعین
أیها الدرج الذی یسجن فظاً وردتین
أیها الدهر الذی کفن أغلی جثتین
کانتا أنفاس حبّی کیف تطویها وأین؟

أیها الدرج الذی ضمّ حلیمی وعقودي
کیف جمعت تفاهاتی بأمجاد خلودي

اسخر اليوم من الماس وطوِّح بالنقود
أتري ابتعنا بها يومًا وفاء للعهود؟

هاهما الآن على كفي وفي ظل حناني
آه حتى ذكريات الحب أبلاها زماني
هاهي الأوراق تنحل كأنقاض الأماني
هاهما بعد الليالي والمآسي توأمان!

■ ■ الشيء المجهول

يا حبيبي هل تذكرت مساءً
فيه كم صغنا فنون العاطفات
واحترقنا بلهب القبلات
وخشينا أن نثير الكائنات
والهوى من غير مجداف تهادى
ساذجًا كالطفل منقضًا كنسر
قلت لي والحب يغلي في دمانا
هذه الليلة لوجادت يدانا
وعلى الأحياء قسمنا هوانا؟

لم تزل ذكراه في جنبِّي حيّة
وتوسّدنا الأمانى المخملية
وملأنا الجوَّ ألحانًا شجية
وانتباه الأفق والدنيا الحية
سابعًا يطوي المسافات الخفية
عاريًا كالفجر كالشمس الصبية
ثائرًا يفشي بسر الأبدية
بالذي جادت به الدنيا السخية
لأذاب الحب قلب البشرية

بغثة حلّ سكونٌ قاتلٌ
وعلا في الجوَّ سدّ هائلٌ
ومن الشباك نجمٌ آفلٌ
صحتُ في صوتٍ عنيدي قد ترامى
ضممني أقوى من الموت إذا ما

وتراخت في فتورٍ ساعدانا
وسرى بردٌ مميت في دمانا
مرّ جهّمًا فوق أنقاض هوانا
قاطعًا أفكارنا السود الشقية
ضمّم في كفيه روحًا آدمية

ضمني جسمًا شفيفًا قد تسامى
ضمني في نشوة سكرى عتية

قلت : ما جدوى التذاني ويحنا
يا غرامي إن شيئًا بيننا
كلمًا جننا نغني جننا
نحن لا ندري إلى أين المسير
يطفىء الحب ويمتص الشعور
جاءنا يسعى إلى الصمت المرير

قلت: فلننقذ هو أنا من جديد
ذلك الشيء رهيبٌ وعنيد
إن ما خلناه أو هامٌ مريره
غير أنا سوف نجتث بذوره

وبحثنا عنه في قلب النهار
وطوينا الأمس سيرًا ... والجدار
والتقينا بأحاديث طوال
ومحونا الشك من لوح الخيال
وتلمَّسناه في عين القمر
بيننا يعلو مهيبًا منتصر
ومعانٍ وحقوق ورغاب
وطرقنا بالأمانى كل باب

ومضينا نستعيد الذكريات
لم يعد يكفل للحب الحياة
وإذا الدمع بعينينا سجين
وإذا الليل صموت وحزين
فإذا الذكرى زمان قد تأكل
أو يعيد الأمن فينا ويواصل
وخيوط اليأس تلتف علينا
والكرى الغالب يغزو مقلتنا

■ ■ حنین من نار

انتصف الليل ولكني ملأى بالفكر وبالحنس
أسمع أصداءك تدعوني وكأنني ما زلت بأمسي
وأشم عبيرك من حولي نهرًا من عطر الفردوس
وأنا أغرق في أنفاسك ، أشرب أنفاسك من نفسي
والحب العرييد الثائر يتدفق ، يلهث في كأسني
بي حبُّ في روعي ، حب في قلبي ؟ حب في رأسي

الليلة صوتٌ يدعوني هو صوت الحب الجبار
يدفعني في لجة أرضٍ وسماءٍ كبرى وبحار
بي رعشة عشب صخري يتململ تحت الإعصار
بي ثورة غاب قدسي كشفته عيون الزوار
بي صرخة قمر مخنوق بأكف ضباب منهار
بي ندم الإنسان الأوّل وحنين الحطب إلى النار !
الليلة بي حمى تسري وتوج بأعماقي ثورة
أتساءل لِمَ تنأى عني وأمام نساء مغترة

هل تحسب أني شاعرةٌ لا تعرف معنى للغيرة؟
كلا... فبعادك يشقيني ويجرعني الكأس المرة
فأنا في الحب مراهقة تتلمل في فرش الحيرة
وأنا امرأةٌ كنساء الشرق أغار عليك من النظرة

■ ■ بین عالمین

ولدی الوحید ! علام تضحک فی الفراش وتبتسم؟
ولمن تشير وما أمامک هاهنا غیر الظلم
نم هادئًا أقلقنی متحرکًا ... دعنی أنم
عذبت أمک یا فتی ... عذبتنی حتی العدم!

فہنا علی یمناي أنت تضحج فی ضحک أفین
وعلی یساري الآن أختک تذرف الدمع السخین
تبکی من الدنيا وتضحک أنت ! ما أحلی الجنون
ما دام فیہ الوهم والأحلام واللیل الحنون!

اصمت! بعثت الرعب فی جنبي ، رعبًا مؤلمًا
وبعثتِ أنتِ اليأس، أنت الموت ، ویلي منكما
کلنت یدی والضرب لا یجدیکما ، وکبرتما
حتى أراني طفلةً تنساب فی حضنیکما !

من منكما المجنون من هو عاقل؟ يا ويح نفسي
وأنا؟ أنا؟ من أي صنفٍ منكما من أي جنس!
أنا لم أعد أبكي كأختك ، لم أعد أشدو ببؤسي
من عالم النسيان؟ لا إني أحس بألف حس

خصلاتك السود الطوال على جبينك تشرقُ
وأراك رمزًا للجمال بغير عقلٍ يفرق
والليل في قلبي - كراسك فوق صدري - مطبق
قل لي بربك ما ترى في أي شيء تحدد؟

■ ■ الصیف

ها أنا أنساب في حُضن الطبيعة بين دنيا ترتدي أعلى الحلل
غير أني لست غضبي أو ودیعة لیس بی یأس ولا ثم أمل

إنه الصیف الموشى بالخمول ساعة الظهر ونوم البشرية
إنه الیوم الذي یبدو ملول وطویلاً طول عمق الأبدیة

كل شيء هاهنا حي ومیت كل شيء في وجودٍ وضیاع
كل شيء فوقه یتمد صمْتُ وعليه الشمس قد أرخت ذراع

الکروم الحمر تبدو مثقلات في مخاض مسـتـمر وألم
والینایع تأنت في ثبات في انتظار السیر من كف النسم

والمروج الخضر تحسو في تبرد كأس شمس تتلظى محرقة
كل حين بعد حين تتهد تحت أعباء الأمانی المرهقة

وعلى الأغصان كم طير تململ
كلما زقزق في جهد.... تسلل
واحتمى بالعش مخنوقاً أسير
عبر سمعي صوت أموات القبور

إنه الصيف إذا انشقَّ النهار
كل حي في جمود وانھیار
كل صاح فيه غافٍ وبلید
غیر أني منه أستوحي القصید

■ ■ میراث أم

آه ما أقسى شعور المرء في هذا الوجود
حينما يرتفق الشرفة في مشرق عيد
فإذا الدنيا بعينه صفاء وحنان
وإذا الفرحة والزينة في كل مكان
وهو يرنو وبجنيبه قبورٌ وعويل
وطريقٌ ملتوي السحنة جهنمٌ وطويل

إنه قلبي الذي عاش يغني للظلام
علمته الأم أن يجهل معنى الابتسام
آه حتى بعد أن ولت وغابت عن عينه
مثلما كان يعاني ، لم يزل طي سجونه
كم تمنى كلما عانق حبًا وحبيب
لو يذوق العطف من أم وتنساه القلوب !

لم يا أمي بعثت الحزن في قلبي الصبي

لم يا تركية العنصر لم تحني عليّ
قد تجاهلت شعوري وأنا بنت العروبة
كان في قلبك صخر وبعنبي عذوبة
انظري كم صرت حيرى والدجى يغمر طيفي
طيب الله ثراها، إنها أمي ... ويكفي!

■ ■ قبر وقبر

أنا كلما فكرت أن هناك لي قبرًا وحيد
كحمامة بيضاء فوق السفح من جبل عتيد
تمضي السنون ولم يزل يغفو على حلم سعيد
ويرى القبور قد استحمت بالمياه وبالورود
وتضج في أذنيه همهمة التجشؤ كالرعود
وهو الذي عصف الخواء بجوفه ، حرم الوليد
فأراه يحقد بي وراء الغيب في نهم شديد
وأراه يحقد بي على غيظ وإصرارٍ عنيد
ويعد مائدة الحياة ويوقظ الدود البليد
أنا كلما فكرت فيه أحسه رغم الحدود
متمددًا بين الضلوع وفوق قلبي كالحديد

■ ■ غزو

من أين جاء الحب في غيبيتي
يا للمحيط قد غزا ضفتي
أنا التي حصّنت قلبي الشريد
من خلف خط الاستواء البعيد؟

غزا شطوطي الرخوة الناعمة
واستيقظت أعماقها النائمة
فارتعشت دفاقة بالمياه
يا حب يا أقوى قوي في الحياة

إني أنا أرضك يا كم حوت
كفك يا مهندس حددت
من منجم غالٍ وكنزٍ ثمين
مكان الاستغلال فيها الدفين

أرضٌ بعيدة المدى غائرة
وضعت فوقها خطى ظافرة
لم تكشفها أعين الباحثين
وصحت: أنت لي طول السنين!

لكنني أخشى الضنى والهوان
ألا ترى يا حب أن الأوان
فالريح تنعي اليوم موت النهار
أن أغلق الباب وأرخي الستار!

ويحي ! ألبى الحب كالمستغيث وفي الدجى أهفو إلى مشرقى
كم فيلسوف في سياق الحديث وفي التصرفات كالأحمق!

يا قبضة الرياح عشبي يئن وتحت وطأة الهوى ينكمش
وغصني الأجرد لا يستكن أوراقه فوق الثرى ترتعش

■ ■ صورة

مزقْتُها ووقفت شاردةً
وجمعتها في راحتي مزقًا
وإذا الفم المقطوع يسخر بي
أرنبو إلى أنقاض جثماني
فتجمعت أطراف أحزاني
وما تم العينين تنعاني

هي صورة عاشت مهيمنةً
ياكم من الأعوام تحرسني
ياكم من الأعوام تحدق بي
تطغى على إحساسي الثائر
بوجودها من طيشي العائر
وكانهالي طيفه الآخر

كانت لديّ إلهة الذكرى
تنساب بين مشاعري الأخرى
كانت هواي الخالص البكرا
أرنبو لها خوفًا وإجلالًا
فتحيلها نقضًا وأطلالًا
ياكم عقدت عليه آمالًا؟

من باقة التقديس يا أملي
قدستني في صورة جمدت
فمزقتها وهمت عاتبة
أنلم أنل عودًا ببستانك
وكفرت بي في ظل هجرانك
ما كان أحوجني لإيمانك

■ ■ قلبي للبیع

تعبتُ وأبغضت حریتي
سئمت التوغل فی وحدتي
فحریتي حرة كالهواء
هی الوهم عشت علی ظله
وصارت قیودًا تحزُّ یدی
وعفت التهرب من كل شی
ولكنها السجن فی ناظري
فمن یشتريها ویحنو علیّ؟

سئمت الحیاة بغير انفعال
خُلقتُ أطیع فكیف أطاع
أرید احتكاري فمن یشتريني
بلا أي معنى ولا رغبة
وأحیالاً فرض شخصیتی
ویأخذ مني حریتي؟

■ ■ صدره

فنسيت الوقار في الإنسان
 نام رأسي عليه في اطمئنان
 ومأوى المسافر التعبان !
 ونبع الضياع والنيران
 وعش العصفور في البستان
 وطود الطموح في الفنان
 حتى استعزَّ من خفقان
 وانفجار الحياة في شرياني
 تطرد الهم عن جيني الحاني
 برفق كمشية الشعبان
 أي شيء لذي في الحسابان

صدره الأسمر العريض سباني
 وعبرت الزمان نحو ليال
 يا جدار الأحلام والأمن والدفء
 يا طريقَ السماء ! يا مهبط الأرض
 يا حقول النماء والخصب والفيء
 يا بناء الشموخ والنبل والعز
 صيغ فولاذه القوي من الرقة
 فرحة العمر كنت يا صدر عندي
 لست أنساك حين كنت وسادي
 ويدي في منابت الشعر تندس
 والوجود الوجود محض سراب

أي بؤس في الهجر سوف أعاني
 بصخر الشقاء والحرمان
 بصخر الشقاء والحرمان
 إلى سفح وحدتي وهواني
 خلف صدر مستسلم عريان!

يا حبيبي ما كنت أدرك يوماً
 فوق بركانك الأمين تعثرتُ
 وعلى شطك الأمين تعثرت
 ومن القمة المجيدة أهويتُ
 أي قلب حملته مستبد

■ ■ سجين القلب

أي شيء أخفيتَه عن عيوني
تراءى مولوداً في أنين
أن أمد اليدين للمسجون؟
خلف أسوار وحدتي وشجوني
بعد أن غاب في سبات المنون
وعاف السكون طي سكوني
أراد اقتلاع كل حصوني
والقلب مليء بكل جرح دفين
حين أقضيه في احتساء ظنوني
رحمة منك بالفؤاد الحزين
ودم الأم حائل يثيني
كل ما فيك ساحر يغريني
باعثاً فيَّ عربدات الجنون
تحت خطويه هامتي وجبيني
مليئاً بكل شر ثمين

أيها القلب ما الذي فيك يسري
إن وجهها وراء قضبانك السود
مدّلي في الدجى يديه وهل لي
وأنا مثله سجينة نفسي
إنه الحب! وذلك الغر يصحو
ملاً طول الرقاد في هوة الأمس
وأراد الحياة رغم تلاشي
كيف أقوى على احتمالك
إيه من ليلك الطويل وليلي!
أيها الحب رحمة بكياني!
فدم الحب في عروقي يسري
غير أني على ندائك نشوى
أنت من أنت؟ أنت تسلب روحي
أنت طفل مدلل وجميل
إنك الشر غير أني أهواك

أنت أنت المجلد الضخم في
لم تزل فيهما المعاني سرًا
وإذا ضمك الفؤاد تغنت
فرح متعب وحزن مريح
إنك العمر جمَّعته ثوان
أنت خصر وساعد في صراع
ووصول إلى امتزاج دماء
وهروب من الحياة إلى كون
شهقة تحمل العواصف طرًا
وسماء في نظرة من صفاء
أيها الحب رحمة بكياني

حرفين خطأ من عنصر التكوين
رغم طول الهتاف والتخمين
كل أوتاره بكل اللحون
وانتفاضات طاعن مطعون!
في لقاء مدله مفتون
واشتباك مسلح مأمون
مستحيل الوصول والتمكين
كفيل بعيشنا وضمين
وزفير يوج مثل الأتون
ومحيط في دمعة من شجون
رحمة منك بالفؤاد الحزين

■ غابة الشعر

خشن شعرك الحبيب إلیا
كلما أغرق الأصابع فيه
أی نجوى به وأی نداء
أی موج به تدفق حرًا
كل خیط به كعرق تلوی
كل تجعیده حنیة واد
كل تجعیده كضحكة لیل
قمم فوقهن عینی أسرت
آه كم كم أغار منه إذا ما
غابةً قد طويتها ذات لیل
وتفیاتُ ظلها فی انتشاء
وتهادیت فی مماشي دجاها
فاكفهرت غصونها كافات
ونأیت عنیده فی غرور
قلت : یا حارس الجنان ترفق

خشن حین ینثني فی یدیا
قلب قلبي یذوب فی جنیبا
عبقريّ الهوى سرى شاعریا
ضاحكًا واثبًا خجولًا حیًا
برغاب الحیاة ینبض حیًا
ضمت السحر والغموض الخفیا
كانشقاق الشطوط تطلب ریا
وهوى القلب تحتهن هویا
شرب العطر من یدیک ندیا
فضّض النجم نهرها القدسیا
وتنسمت عطرها المسکیا
نحو حلم یضمنی أبديا
بحناني وأغلقت عینیا
واستبتدت فجرحت خدیا
أی تاج لبسته عربیبا

لك أن تسلب القلوب بشعر
ثائرًا ثائرًا كساحة حربٍ
يا حبيبي دعني وشعرك حينًا
وله الحق أن يكون عصيا
مستبدًا على المغير عتيا
واستبح لي خضوعه العذريا

ثم أغرقتُ في ثناياه وجهي
وتلقفتُ موجه العذريا

■ ■ الهوة ملعونة

إذا مللت المرور الرتيب من أعوامك
وحین تسأم هذا القطيع من أغنامك
وتختفي عن ضجيج الحياة خلف ظلامك

ستلتقي في الليالي بهوة ملعونة
كنا ملأنا ثراها بحقدنا ، بالضغينة
بطيشنا ، وبثورات نفسنا المجنونة

ولم نكن نتوانى عن ملئها في اندفاع
فأظلمت بالتنائي ودفقت بالتزاع
وحطمت ما تبقى من جنبنا المتداعي



(5)

طِراءُ إلى الكلمة

(1976)



أيتها الكلمة

أيتها الكلمة صوغيني فنّا يرتفع بدنياه
صوغي من إيماني مرسى للهائم في بحر أساه
لمي أعماق المحطومة وردًا أتنفس بشذاه
فالأم هو الفن الخالد ... هاتيه فكم أتمناه
وخذي عمري أجر نشيدٍ قد باركه الله

جليلة رونا

■ ■ الاسع المقدس

كنسمة فجر سخي العبير
وفوق مياه الهوى الملهب
يؤدي إلى جنّة تائه
تساويه اسمٍ يموج مني
كوشوشة النبع بين الصخور
كجسرٍ بأعمدة من ذهب
يرتل سكانها الآلهة
هو اسمك يا مصر يا مصرنا

لكلّ على الكون ما يشتهي
وإني أحبك حب الفداء
أحبك أرحب صدر لأم
وكان اسمك الحلو وحي المغنى
ويفنى بكل المشاعر فيه
أحبك يا مصر في كبرياء
أيانجمة فوق بحر الألم
وكل معاني الجمال يفنى

نقشت اسم مصر بأغوار قلبي
وضحكته في عيون القمر
وأسكرت نيلك من خمرة
وكان اسمك الحلو في ذكرياتي
على كل بابٍ وفي كل درب
ونغمته في شفاه الوتر
وخضرت أرضك من عطره
وقود هواي ونبض حياتي

■ ■ عودة المهاجر

طيري على متن المياه الجارية الثائرة
ودعي الرياح الواثبات تشد خطوط طافرة
إني أعود، أعود في شوق لأرضي الطاهرة
وأحن للوطن الحبيب فأسرعي يا باخرة

الأرض والبحار يهتف : قد وصلنا فاستعدوا
ومع النداء يؤج في قلبي حنينٌ مستبد
وأطل من بين الصفوف أشير أضحك ثم أعدو
ومعالم الوطن الحبيب على مدى عيني تبدو
هذا هو الميناء لن يثني خطاي إليه قيد
والأفق والأضواء والشمس الدفيئة تُسترد

اللهجة المصرية المعطار تسري في حنين
يا وقعها المنغوم في سمعي كناي الحالين
لأقبلن إذن تراب الأرض ... ولأحن الجبين !

■ ■ لن ينام الثَّار

الرسمُ والألحانُ والأشعارُ
عبثٌ إذا عبثت بنا الأقدار
صليت للكلمات عمراً كاملاً
وجثت على محرابها الأفكار
وكفرت بالكلمات حين ترنحت
وأصابها يوم الهوان دوار
يا شهرنا المشثوم : يا شهر الأسي
أو ما عراك من الفجيعة عار
حزنٌ وكم حزنٍ حملتُ وإنما
هو ذلك العملاق والجبار
والحزن قد يأسوه خلٌّ صادقٌ
الاه فهو الخل وهو الجار
ووجدتني أهذي وربِّي عاذرٌ
وهو العليم بنا هو الغفار
لم لم تكف الأرض عن دورانها
لم لم يعقب الليل البهيم نهار
لم لم يمتد جبل المقطم هاوياً

ويجف نيل بلادنا الهدار
لكنني كفكفت دمعي حرّة
والحر لا تلهو به الأخطار
ناديت مصر ومصرنا مسكينةً
قد هزّ كل كيائها الإعصار
يا مصر إنك قمةٌ وضاءٌ
والقمة السماء لا تنهار
وإذا بكيت فليس عيباً إنما
العيب أن يجري بك التيار
فالحزن يمضي بالنفوس ليأسها
واليأس في زمن الحروب دمار
فلترفعي يا مصر رأسك عالياً
فبنوك هم أبناؤك الأحرار
قد أقسموا والنار في أعراقهم
والعزم ، كل العزم ، والإصرار
فلرب عين تستريح هنيهةً
وتنام لكن لن ينام الثار ... !

■ ■ عمالقة

هل نام الشعب المصري بجوف التابوت وأرخی جفنيه ؟

يا عاري لو قلنا نام !

وتحنّط قرب الأهرام !

ونقلناه إلى المتحف بين الأشباح

ومضينا نحكي وترجم للسياح

ونشير إليه

يا عاري لو عشنا نجتر الأمس ونحن نيام

نقتات أمانينا منه ونشبع دون طعام

لو شيدنا للوطن الغالي قبر النسيان

ووجدنا في اللغو الأكبر حول الرسم

فرصتنا الكبرى الذهبية ...

كي نحكي كل مشاكلنا الفردية ... وهموم النفس

ونندب حظّ الإنسان ...

يا عاري لو زهرنا طرحتنا وعمامتنا كي نبيض

وطفنا بالكعبة وسجدنا في قدس الأقداس ...

وتعبنا ... وجلسنا فوق الأرض ...

نضرب أخماسًا في أسداس !...

نتشاءب ، نرتشف القهوة ... نتجشأ ... ويمر الوقت
ولقد يرغب بعض منّا في قطع حبال الصمت
فنعود كما كنا من زمن الأزمان
نفتح للبعض البخت
لنرى مستقبلنا في الفنجان
يا عاري لو قلنا مات الفرعون وحنطناه
لو لم نتلمس في داخلنا هيبتة وقواه ... !
لو لم يبحث كل منا في عمق الأعماق ... عن عملاق

■ ■ شهر رمضان

ها قد عبرت العام في عجلٍ لكي تخطو إلينا
يا شهرنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا
الليل يا رمضان يغمرنا ويغزو مقلتنا
يا أيها الحادي ترفق بالخطى ... وامشي الهوينا
لا تأتنا إلا ونحن مهيتون لعودتك
لك فرحة في القلب فاجعلنا نحس بفرحتك
لك هرة في الروح نقتبس نورها من شعلتك
لا تأتنا إلا وفجر النصر بشرى رؤيتك

أتجيء يا رمضان والعرب الأباة مهددون؟
وتمرّ وسط مدافع الأعداء منخفض الجبين؟
أتجيء والإسلام في غضب على الظلم المهين
والمسجد الأقصى يدنسه البغاة الآثمون؟

أتراك ترضى أن نغني أو نصفق للهِلال
ودماء أمتك الأبية لم تزل فوق الرمال
وأين جرحاها يدوي في الصحاري والجبال

والبغی - یا ویل الحقیقة - جائئ عند القتال ؟

أترک ترضی أن تدق الباب باب المسلمین
فنصوم نحن الشهر فی أمن ونفطر هائئین
ونقر فی دفء وآلاف العرایا نازحون
واللاجئون هناك من عشرين عامًا صائمون !

إننا نریدک أن تجيء ولست بالماضي شیبها
ونرید أن تأتي وقد أجلیت مغتصبًا کریها
ونرید أن تأتي وقد ضمت فلسطين بنیها
وتحررت أوطاننا وتألقت زهواً وتیها

إننا نریدک أن تجيء ونصرنا فی راحتینا
والنور فوق جبیننا والحق منتسبٌ إلینا
یا ضیفنا المحبوب إنک أجمل الذکری لدینا
یا أيها الحادي ترفق بالخطی وامشي الهوینا !

■ ■ دقة الساعة

إنها مصر تناديكم فهبوا للقتال
يا شبابي ... أنا لا أرجو المحال
أيها الرضع لا تبقوا نيامًا
أيها الشعب الذي يأبى الفطاما
قد غفوتم ألف عام ... كل عام مرّ يبدو ألف عام
منذ أن بات عرين الأسد ملهى للذئاب
منذ دون في فلسطين الأعاصير الغضاب
أن لي أن تخرقوا جوف السكوت ...
إن خصمي عنكبوت ... إنهم كالعنكبوت
يغزلون الغد في صمتٍ مريب
خلف أسوار يقينٍ وحقيقة
يستغلون الزمن ... بالدقائق ... بالدقيقة
بينما أنتم تغنمون المواويل الرتبية ... للحبيبة
تذرفون الدمع من أجل امرأة ...
تشربون المر من أجل امرأة
وتضيع الأرض من أجل امرأة
فإذا جاء المساء

ارتديتم كل ما فاق الأمانی من ملابس
ثم سرتم في علوِّ وانتفاخٍ .. كالخنافس
نحو أودية الدمار ... أيّ عار .. أيّ عار !!
إن أجيالاً ستأتي بعدكم
سوف تذكر حتماً عصركم ... !
هذه الأجيال هل تسلب هذا الحق منكم ؟
أنتم الملاك للحاضر أنتم
دقت الساعة دقائق الحياة ... !!
فلتسيروا نحو أعدائي حفاة وعراة ...
فالملايين التي تمشي بلا أدنى سلاح ...
تملك الحقد ذخيرة ... تملك الغضبة نارا ...
تملك الإيمان فوزاً وانتصارا ...
فازحفوا فوق الرمال
اعبروا اليوم القنال
ازحفوا فوق البطون ...
حاربوا ! هل تسمعون ؟

■ ■ رد إلى الشاعر

أختاه : جرحك كيف أضمده وبني جرحٌ مثل
أنا لن أقول اليوم فجر النصر يحتضن الحقول
لكنما الشيء الذي تتلمسين به الدليل
هو أن رغم مصابنا ، فالحق باقٍ ... لا يزول

ماذا بربك جد فينا من غريبٍ ... أو مثير !
ماجدٌ مر بغيرنا ورواه تاريخ العصور
فليمض أمس بحزنه فغدٌ هو الأمل الكبير
وإذا انطفأ مصباحنا ، فانزيت مخزونٌ وفير

أختاه : ما ذنب الصغار ليرتدوا ثوب الشجن
فليلعبوا فلهم وجودٌ آخرٌ ... ولهم زمن
ولنا الكفاح ، لنا الجراح ... لنا المآسي والمحن
نحن الكبار ضريبةٌ لبقائهم ... نحن الثمن

غني لهم يا أخت عن شعبٍ هنا صان الجوارا
كم غنوةٍ بعنت بقلب الطفل ثورات كبارا

فإذا شدوت فخبّريهم أن في الأعراق نارا
والنار أصبح غايةً نحيا لها ... وغداً شعارا

لا تحسبي هذا النشيد عزاء أرواح غريقة
فلسوف تتكئين في فرحٍ على الشمس الطليقة
إن الطريق وإن يكن جهماً بمرآة الحقيقة
لكنّ أهداف الطريق لنا غوالٍ ... يا شقيقة ...

■ ■ من مقاتل إلى زوجته

لا أنت جانيةٌ ولا أنا جان
إن الخطيئة في دم الإنسان
لكنني رغم الحقيقة عاتبٌ
بل غاضبٌ من دمك الهتّان
أنا لن أزورك طالما ودّعني
عند الرحيل بحرقه وهوان
ولذا منعتُ زيارتي ... ألغيتها
ووهبتُ تصرّحي لفردٍ ثان
وغدا إذا حلّ المساء لديك لا
تتوقعي أن تسكني أحضاني
وتجملي ما شئت أن تتجملي
أنا لن أبارح خندقي ومكاني
إني عزمْتُ على القطيعة فترةً
حتى أحسّك ثرة الإيمان
بالله ، بالنصر القريب ، بجيشنا
بجنودنا الأبطال ، بالأوطان
يا خجلتي من زوجةٍ عربيةٍ

تبکی رحیل الزوج للمیدان !!

إني لأعلم أنني متغيرٌ
قد غيّرت مني ظروف زماني
فلقد عهدت فناءك صبّاً هائماً
بك يا صغيرة ، مفعم الوجدان
عهدٌ مضى وطوته أكفان البلى
لا وقت عندي للهوى الولهان
إني هجرت صناعة الأحلام يا
زوجي وعفتُ غرائز الأبدان
دنياي ليست للنجوم أعدّها
شوقاً إليك كعاشقٍ سهران
أنا ها هنا بدمي يعربد ظامناً
للثأر ... لا لمحبةٍ وحنان
أنا ها هنا متأهبٌ ، متحفّزٌ
مترقّبٌ لعدونا الخوان
فغداً أذود عن البلاد مدافعاً
بعزيمتي وشبابي الريان
أنا لا أبالغ في التفاؤل إنما
هو مدفعي يأتيك بالبرهان

أنا يا فتاتي سوف أكشف صادقًا
عما أحس من الأسى وأعاني
فلقد ظننتك بعد أن ذبحوا السنى
والعطر والأطيار في البستان
ستهللين إذا رجعتُ لجبهتي
خذني هناك فقد سئمتُ مكاني
أعيش في بيتي الهنى كدميةٍ
يلهى بها ... وأخبّ في فستاني
أأضح من بُعد القرين وأشتكي
ذلّ الفراق ولوعة الحرمان
وظني أهمّ نديّ من زوجٍ مضى
فهو المقيم ونحن مرتحلان
خذني إلى الميدان إني قوّةٌ
فعالةٌ ... خذني إلى الميدان
أنا قبل أن أهوي وأغدو زوجةً
بنت الحمى ... ودماه في شرياني !!

فلتألمي خيرًا وكوني زوجةً
عربية الأخلاق والإيمان

وإلىك رغبة من وجود بوجه
من أجل مصر وشعبها المتفاني
قولي لأمي دعوة مشبوبةً
من قلبها لله أن يرعاني
فلتحت أقدام الأمومة جنة
الفردوس ... أرجو الله أن تلقاني ...

■ ■ ■ نقسم لك

الآن وقد هدأت فيك الثورة بعد الإجهاد
الآن وقد خيم حولك ظلّ الصمت
لن نعترف بأحكام الموت
لن تفصلنا عنك الأبعاد
فستبقى في الأعين والوجدان
وسنسمع كل صباح صوتك يهتف في الأذان
«صباح الخير عليكم يا إخوان»
ولسوف تظل بقامتك الممددة في كل زمان
كسليمان
منتصبًا فوق الأرض ... مستندًا فوق عصاك
وملوك وإخوان الجان ...
ترهب قوتك ... وتخشاك ... نقسم لك

الآن وقد صلبوك على جبل الشهداء
بمسامير الغدر الوحشية
الآن وقد نمت بأحضان القاهرة السماء
وبعيدًا عن حقد البشرية

لن نهرب نحن إلى الصحراء
لن نلجأ إلى خوف المضطهد إليها
كي نبنى الأديرة عليها
لن نخشى تعذيب الرومان
لن يذبحنا أعوان القيصر
فتعاليمك إيمان الإيمان
وجميع تلاميذك رهبان
من أكبرهم ... حتى الأصغر ... نقسم لك

الآن وقد عدت إلى أرض الأجداد
وتركت الأسرة يرعاها باريها
تحت الشمس المحرقة الأجساد
والفقر الموحش يطويها
لن نظماً نحن ... ولن نلهث ... لن نركض بين الجبلين
لن نصرخ لن نذرف كل دموع العين
فسننهش بأظافرنا أحشاء الأرض الصخرية
وسننظفي حر الرمضاء بأنداء فجرية
وستنبثق أمام خطانا آلاف بثارٍ من زمزم
وستهوي الأفئدة إلينا
وتعانقنا ... وتسلم ... نقسم لك

الآن وقد أرخيت الساعد وأرحت اليد
وصنعت الفلك المنشود وأمنت الغد
وتعبت فأسندت الرأس على الشطّ الدائم
وتركت الأهل وأحبابك في الفلك العائم
لن تخشى الماء الصاعد حتى الأعناق
فسنصنع نحن الأطواق
وسنمضي في موج كالبحر أمام التيار
نتحدى ونصارع كف الأقدار
وندير الدفة في كل مكان ومكان ...
لتحط سفينتك أخيراً ...
فوق الجودي بكل أمان نقسم لك .

■ ■ إلى منيوفنا الكرام

قبل أن تخطوا على أرض الحمى
حيث يُرخى طائر الجوجناحه
انفضوا عبر الصحاري حملكم
واملؤوا الوجدان عطفًا وسماحة
وليضم الخطب شملًا ضائعًا
ولتمدوا كلكم قلبًا وراحة
فالخلافات التي مرت بنا
لم تعد في الحاضر العاني مباحه
نحن عربٌ نحن عربٌ طالما
ينشر الأفق على الدنيا صباحه
كل فردٍ هاهنا يرنو إليكم
فارشًا بالحب ميدانًا وساحة
فلتحلوا فوق أرضٍ حرة
ترتجي منكم أمانها المتاحة
وليكن مؤتمر القمة في
قمة الإخلاص صدقًا ... وصراحة

■ ■ هلاة تحت العاصفة

يا الله ! يا رب الأمن وربّ الإعصار !
ارحمنا ! فالبرد القارس جبار ... وعظام الأحياء مناخل
والرياح تبعثرنا مزقاً ... وتزلزل أعماق الأشجار
والوطن المزهو الشامخ مقلوب الأوضاع
والسطح يغوص يغوص يغوص إلى القاع ... يا الله !

فلقد ذقنا كل مرارة دنيانا ... وعرفنا الموت
وتشردنا تحت العاصفة الكبرى بيتاً بيتاً ...
هذا الحزن الموغل فينا هو حزنٌ مجهول الأسماء
هذا العبء الضخم الجاثم فوق صدور الأحياء
هو كل أنين الجرحى ... كل قبور الموتى تثوي في القلب
هو ألم الحب ... لأرض الحب ... يا ربّ الحبّ ...
فاجعلنا في ظل رضاك ... ولتغفر ضعف الإنسان
فالإنسان ... هو أغلى ما صاغته يداك

■ ■ إلى أمة العرب

شیئان دونهما الوجود هباءً
وحیاتنا هي والفناء سواء
حريةً.... وكرامةً... وهما هنا
في مصرنا.... ميراثنا الوضاء
خضنا لأجلهما الوعي وتخضبتُ
أوطاننا... واستشهد الشهداء

يا أمة العرب الأبية إنني
أرنو إليك وفي الفؤاد رجاء
يا أمة العرب الأبية انهضي
فالركب جارٍ في الوری عداء
قولي لأعداء الحياة ألا اغربوا
عن أرضنا... يا أيها الجبناء
أنا سوف أعتصر الضياء بقبضتي
فمشيتي قدرٌ لكم وقضاء
ولأهدمنّ غروركم بمعاولي
ليرفّ في صدري الحبيس هواء

سأمّر ، أكتسح الصخور بقوّتي
أنا حرّة ... أنا حرّة ... شماء
فإذا عثرت فليس عيباً إنما
العيب أن يتتابني الإعياء
وإذا سقطت سقطت فوق رؤوسكم
إن الحياة مع الركوع فناء ...

يا عرب ! لموا الشمل في قومية
تحدو سناها الثورة البيضاء
الوحدة الكبرى أداة نضالنا
وتجاوبٌ لشعورنا ونداء
الوحدة الكبرى حقيقة ذاتنا
وتقدّمٌ لشعوبنا ورخاء
والحكم عدلٌ والشعوب إرادةٌ
والعلم أسلحةٌ لنا وبقاء

■ ■ انفجار

تفجّر قلبي شظايا
على مصر أمّ الضحايا
تفجّر قلبي حبّاً
وناشد في الليل ربّاً
تفجّر قلبي مُنيّ
فلبنان فردوسنا
تفجّر قلبي المعني
فسوريا هي القلب منا
تفجّر قلبي ضيقاً
وناشد حلفاً وثيقاً
تفجّرت نار جحيم
على دولٍ لا تقويم
أخي العربي تعالي
كفانا الرؤى والخيال
جناحي الكسير المهيب
أخي! أنت مثلي مريض

وناء بحزن دفين
على مصر... أمّ البنين
وزهواً بشعب الفداء
يخفف عنه البلاء
تصون الجمال الحزين
يدنّسه المعتدون
لأهل الشمال الحبيب
وشرياننا والوجيب
من العرب الحاكمين
ووفقاً به نستعين
تفجّرت حقدًا وحزنًا
لمعنى العدالة وزنًا
نفجّر فينا الإرادة
كفى الكلمات المعادة
يحن لحضن الفضاء
لنجرع كؤوس الشفاء

■ ■ أغنية إلى فارس الميدان

بطل العروبة ! منقذ الأوطان :
يا أيها الجنديّ في الميدان
يا باقة خضراء في روض المنى
قد أشرقت بربيعها الريّان
أشعلتَ باللهب المقدس معز في
وبعثتَ فيه حرارة لإيمان
هي ذي يدي مُدّت تحيي راحةً
شفافةً بضياؤها النوراني
قد طرّزت ثوب الخلود لأرضها
وكست خصوم الأرض بالأكفان
اليوم أحني في خشوع هامتي
لك يا ابن مصر ويا فتى الفتیان
اليوم أهتف : إنني مصرية
فتردد الدنيا صدى ألحاني !!

يا مصر ، كم عامٍ طويتِ ذليلةً
بين الأسى والصمت والأحزان

زعموكِ خائفة فزاد غرورهم
وعروا عواء الذئب للحملان
ما كان صمتك عن خضوع يائس
بل كان صمت المدرك اليقظان
بل كان بحثاً عن حقيقة ذاتنا
عن جوهرٍ في هوة النسيان
غلّفت دربك بالسكون مجدّة
في السير لم تنسى خديعة جان
فالمرء إن ينس الإساءة في الوغى
هانت عليه كرامة الإنسان

حتى إذا نادى البشير تقدّموا
آن الأوان لوثة الشجعان
فارقت بيتك ناسياً متناسياً
اسم الزقاق ولوحة العنوان
وهتفت يا سيناء إني قادمٌ
كي أسترذك من يد الخوان
فإذا سقطتُ فإن جذعي راسخٌ
يهب الحياة لألف غصنٍ ران
بي رعشة المحموم طال رقاده

بي نشوةً تسري بكل كياني
أنا ذاهبٌ يا مصر .. إني ذاهب
أهناك من يثني خطى الطوفان ؟
هدفان لي ... نصرٌ يرافق عودتي
أو رايةً لفي بها جثماني !!

وعبرت ... ما أسمى العبور عقدة
فوق الصراط وفي حمى رمضان
وعبرت حيث الشمس أرخت جفنها
ليمر ركب الحق في اطمئنان
وعبرت حيث الماء رق كأنه
مهد الوليد ونسمة البستان
وعبرت حيث الكائنات جميعها
قد ساهمت في الصمت والكتمان
حتى إذا ارتعشت ورائك ضفة
تخشى مصير مقاتل متفان
أت أمامك ضفة مسجونة
وشكت إليك ضراوة السجنان
فحطمت في شمم الأبى قيودها
ونفضت عنها ظلمة القضبان !

صهيون ! هل بقيت لديك صديقة
في الكون لم تنبذك في استهجان
حتى الأفارقة الذين سحرتهم
بالغش مجوا صحبة الشيطان
لله در أصالة عربية
فاضت بكل محبة وحنان
لو صغت ألف قصيدة في نيلها
لفشلت عن عجز وضعف بيان
هذا التجمع بعد طول تمزق
كيف استقام وتم عبر ثوان؟
ومن المحيط إلى الخليج تسابقت
بالمال والأرواح والأبدان
فبدت كما عرض الكتاب لذكرها
هي خير ما صاغت يد الرحمن

واليوم يا أبطال شدوا عزمكم
لا تأمنوا الأعداء يا إخواني
وغداً إذا غدر العدو تقدموا
ولترجعوا وعلى الشفاه أغان

هي كلمة من رائعات زعيمنا
ستظل في الأسماع والأذهان
«لقد انقضى عهد الهزيمة والأسى
لا ، لن تعود عقارب الأزمان...»

■ ■ شهید وحره

ذات یوم واجهت مصر فتاها
وهی تُلفی لأمر فی عزم ولهفة
«أیها الطفل الذی ضل وتاها
لیس لی ابنٌ هنا ینظر خلفه
فاعبر الیوم قناتی وتقدم
لست حرًا طالما لست بحره
إنی أم ولكن.... لست أرحم
حیث یکفی ما أصاب الأم مرة

لا تلمنی أیها الطفل المدلل
لست شیئًا هینًا أنت لدی
أنت حبی وحنانی... أنت ذرات کیانی
وخطی یمشی علیّ... بجناح من حمامة
وجبین کجبین الفجر... مزهو الکرامة
عربی الکبریاء... فیک صبر الأنبیاء
ناعم الإحساس، عذری المنی... حلو الدعابة
کاسر الأنیاب، فی بردیك أحرش وغبابة...

غير أني حين لامست الجراح
فوق صدري .. فجوات ... فجوات
ورأيت النسرمحطوم الجناح
وهو يهوي ... آه يا للذكريات
عندما شاهدت ريح الليل تنجب
في رمالي الشقر أعشابًا مريرة
عندما انقضت على الشط لتشرب
من دمي الأخضر جردان حقيرة

هكذا ... أدمى فؤادي كلماتي ...
حينما ضاقت بعيني حياتي ... فتقدم ... ثم عد لي ساكبًا في راحتيا
فرحة العمر لديًا ... أي أنغام مرنات وضحكات طويلة
سوف أهديتها إليك : كم أقاصيص نضال وحكايات بطولة
سوف تعلقو شفتيك .
وإذا عدت بليلك احترس من حزن أمك

لا تدق الباب فالقفل ثقيل
والأمانى عبر جناتي سقيمة
خلف بابي عالم الصمت الطويل

حيث غاضت من ينايبي الأومة
لا تقل لي هكذا شاء القضاء
لا تقل لي هكذا شاء القدر
لا تجبني بأنين... أو بكاء
بل على صخرة قلبي... انتحر!
سكن الصوت ولم يسكن صداه
فإذا الميدان نبض وحياء
ومضى الطفل المدلل فتوضأ ثم صلى ثم كبر ثم هلّل
ومضى يهدر كالبحر ويزأر
وهي في أحضان سيناه الوفية
أبدًا... لا ينثني... أو يتقهقر
ذو الجبين الحر.... والكف القوية
يتحدى الهول، يجتاح العدا
وبعينيه انتشاءً وبريق
صدره مرّجلاً حقدًا... والصدى
لم يزل يحدو سنه كرفيق
كانت الظلمة ترخي ساعديها
حين ألفتها رصاصات عتية
فوق أرضٍ طالما حنّ إليها
وفداها اليوم بالروح الأبية

صاح ... والبسمة تعلقو شففته
صاح للصوت الذي في مسمعيه
«لست حرّاً طالما لستُ بحرة»
أنتِ حرّة! أنتِ حرّة! أنتِ حرّة!

■ ■ قهقهة شعب

وقالوا لنا حين حم القضاء
فليس من النبل والكبرياء
وكان نداءؤهم المرتجى
فكم من بلادٍ طوتها الحروب
فعيشوا كأمسكم عاكفين
فنحن حماة الحمى الملزمون
فعشنا كرغبتهم في سلام
ولكن أسأنا معاني الكلام
وشيئاً فشيئاً توالى الزمان
نسينا عليها الأسى والهوان
وواقعنا المستبد الرهيب
وساد الضياع جميع النفوس
وكان لنا أن نخوض الوغى
فخضنا المعارك ضد الغلاء
وخضنا القتال لأجل الثراء
وخضنا الليالي لأجل النقاش

حذار البكاء حذار الألم
لكم أن تظلموا أسارى الندم
غداً سوف نهزمهم ، ننتقم
وعادت مع النصر تعلو القمم
على العمل المنتج المنتظم
بنيل الحقوق وبذل الهمم
يداعبنا الأمل المبتسم
أسأنا العظاات ، أسأنا الحكم
وسبعٌ من السنوات الحرم
نسينا حزيران شهر النقم
وراحت جراحاتنا تلتئم
ورافقنا في دروب العدم
ومن أي باب له نقتحم
ونقص الفراخ وسعر اللحم
وبيعت لأجل الثراء الذمم
ومن أجل أغنيةٍ أو نغم

وخضنا الحروب لأجل النساء ومنتنا غرامًا بكرة القدم

وذاث صباحٍ مجيدٍ مجيد
أفقنا على النور يغزو القلوب
نفضنا التفاهات عن ظهرنا
وقمنا نمارس حق الأباة
فما غاب يوماً لنا جوهراً
وخضنا أتون المعارك حتى
وكان عبورٌ وكان انتصار
ولما التقينا على أرضها
فعادت لشعبٍ كرامته

وسيبقى نشيدًا على كل فم
ونار بأعراقنا تضطرم
تفاهاتنا البالغات السأم
وفي النظرات تحد أشم
أصيلٌ ورثناه منذ القدم
دفعنا الضريبة روحًا ودم
وسيناء تحضننا في نهم
رفعنا الرؤوس ، رفعنا العلم
وعادت معانٍ وعادت قمم

■ ■ إلى فدائية

يا ذات الشعر المجدول المنسدل على غصن البان
يا أشهى من ثمرة تفاح تعلو ربوة لبنان
وأرق من الطلّ الفجريّ على عودٍ أخضر
يا نبعاً منبثقاً من نهر الكوثر
يا بنت العشرين ربيعاً مرت كمرور الأبدية
يا قلب الطفل العادي من غدر البشرية
يا من يدعونك : إرهابية !

قصة أرضك من يحكيها يا بنت فلسطين
من منّا يسردها دون دموعٍ وأنين
حلمٌ كالكابوس وما أفسى الأحلام
صورٌ من بؤسٍ وشقاءٍ وظلام
وخيامٌ يتقاتل من فيها ... كي يبقى فيها
وبطاقات ... وأواني العدس ... وكسرة خبز ...
وحفنة أرز ... وعيال يبكون ... جياع
وضياعٌ وضياعٌ وضياعٌ
أهناك معانٍ أفسى للوحشية ؟

فقدان وطن؟ ما الموت إذن؟

يا من يدعونك إرهابية؟

لو كان بوسعي ، لوقفْتُ على قمة هضبة ... أهتف للدنيا مزهوّة

وأمرتُ العالم أن يجثو فوق الركبة للبت الحلوة

للعود النابت من أرض خصبة ... فالعالم ما زالت فيه بقية خير

تتحدى أعوان الشر

تتجسد في نكران الذات

في بنت فلسطين العربية

يا قبساً من نور يقتحم الظلمات

يا من يدعونك إرهابية !

■ عاشق العلم

كانت قوارب جيشنا تجتاز أمواج القنال
والركب نحو الضفة الأخرى تهباً للقتال
كانت مهمته هناك خطيرة... رغم السلاح
فجوار «رأس العش» يوجد موقعٌ لا يستباح
زحف المشاة إليه في حذرٍ وهم متربصون
لم يبق غير العابرين على القناة... القادمين
وهناك في أحد القوارب كان «مختار» البطل
عيناه تلتقيان بالأفق البعيد على أمل
ويداه مطبقتان في زهوٍ على العلم الأمين
ويضمّه كأسٍ يضمّ صدره أغلى البنين

مختار كان فتى رهيف الحس ، يحلم بالضياء
وبكل أزهار المحبة.... كل أجنحة الوفاء
كانت أمانيه الكبار طوال أعوامٍ شقية
أن يرفع العلم المظفر فوق سيناء الأبية
يا كم تمنى أن يجود الدهر في كرمٍ عليه
فحباه قائده وصحته بما يصبو إليه

والآن يرمق من قريبٍ وجه سيناء الرقيق
ويداه ترتعشان في غضبٍ ويهمس للصديق
«محمود! قل لي هل هنالك رؤيةٌ أنسى وأعنف
من رؤية العلم العدو على ربي سيناء يرفرف؟»

وتشبّ عاصفةٌ من النيران حول القاربِ
فتنام أصداء الجواب على شفاه الصاحب
وتُصيب مختارَ الأبِّي رصاصةً من غادر
ويميل جبهته العنيدة في خضوع قاهر
وتميل محمود عليه وينثني ثر الألم
فإذا الدماء بصدرة قد خضبت صدر العلم
وإذاه يهتف وهو في إغفاءة النفس الأخير
«يا محمود! ارفعني هناك لأرفع العلم المنير!»
وتسير قافلة الحياة لتُنجز العمل الأهم
لا شيء يوقف سيرها... لا موت... لا جرح ودم
ويخوض أبطال القناة معارك الحصن الأليمة
ويجشمون عدونا الغدار أهوال الهزيمة
ويشبّ محمود ويرفع راية النصر المجيد
فيرفف العلم الأبِّي مضرّجًا بدم الشهيد

یا سائرًا قرب المكان وقد عبرت الضفتین
انظر إلى العلم المقدس واحن رأسک مرتین
أولاهما للرایة السماء تعلو أرضنا والثانية
لمن أفتدی علم الكنانة بالدماء الغالية !

■ ■ كلكع عبد العاطي

اليوم عبد العاطي
مكرمًا في النـوادي
يا من يداك حديدٌ
وضرب خصمك جمعٌ
اليوم يسأل شعري
تري لمن سأغني
فقلت أعظم مجداً
الواهب الخلد خلدًا
الفارس الروح زهدًا
يا خير جنـد وأنتم
يوم العـبور سـخرتم
فكلكم يا جنود

تفوز بالأنواط
وسائر الأوساط
والجسم من مطاط
وليس بالأقساط
في رهبة المحتاط
لقمان أو سقراط
هو ابن مصر العاطي
للنيل والفسطاط
لمصرنا كبساط
يا خيرة الضباط
بالخط والخطاط
البلاد عبد العاطي

■ ■ الفجر الجديد

«من وحي خطاب الرئيس»

كلامٌ يا أبا الأنوار حلوّ
كلامٌ يستحثّ الخبر فينا
سمعناه فعانقنا الأمانى
وقد لهثتُ بمهجتنا الخلايا
فمن يدعو النفوس إلى التصافي
تدفق بالجمال وبالعدوبة
ويدعوننا إلى المثل النجبية
ورددناه كي نستاف طيبه
ظماءٌ للحياة المستطية
له في القلب أصداً مجيبة

لك الله الذي خلق البرايا
تود وكم تود لمصر دنيا
وفجرا مشرقاً يحنو عليها
وأرضاً فوقها الإنسان يحيا
وفيها الفرد يعمل في نشاطٍ
وأودعها ضمائر الرقيقة
كساها الحب أثواباً قشبية
وينسيها لياليها الكئيبة
بلا خوفٍ ولا عينٍ مريية
ويأخذ مثلما يعطي نصيبه

أبا لُبْنَى! أطل الفجر نارا
دعوتَ الأمس مصر إلى التفاني
وأصدرت القرار فكان بعثاً
مباركةً عواصفنا إذا ما
مقدسةً فعانقنا الهيبة
فخاضت لجة الحرب الرهيبة
يذكرنا بمنفٍ أو بطيبة
نضت عنّا مثلتنا المعيبة

فليس هناك أغلى من دماء تراق لأجل سيئات الحبيبة

أمانٍ في خطابك زاهياتُ
سنحيا تحت ظلمك في سلامٍ
تعيش بها الكهولة في احترام
ويبني الكل للأوطان صرحًا
وتبقى أنت ذخراً للمعالي
وشعبٌ لا ولن يعصي خطيئه
على أرض بما حملت رحبة
وينمو الطفل في أيدي طيبة
عليه ترف رايتنا المهيبة
وتبقى أنت ذخراً للعروبة

■ ■ مدينة الأقرام

ذات يوم.... سرْتُ وحدي دون أهداف وقصد
كان عبثان على كتفي... تقواي وزهدي
كان شيءٌ طعمه مرٌّ... بحلقي يتدفق
وأمامي كان سورٌّ... بأبهُ عالٍ ومغلق
جئتُ أنشد بعداً وهدوءاً وسكينة
فإذا السور بناءً هائلٌ يحوي... مدينة!!

وفتحتُ الباب في حرصٍ ولكن في ثباتٍ
كانت الأشباح تحبو في مماشبي طرقاتي
وإذا الأشباح أقرامٌ تداني خطواتي
وتمعنْتُ طويلاً في الوجوه الزاحفات
وتبينتُ شبيهات لها عبر حياتي
قلت: من أنتم؟ أجابوا: نحن أنتم يا فتاتي!

نحن كنا في صدور الناس نجث الذنوبا
كل مسخ كان للإنسان عيناً ورقياً
كل مسخ كان رباً... كان عملاقاً رهيباً

ذنبنا أن أبينا أن نجاري أو نُجيبا
نحن حالفنا عقولاً وتحدينا قلوباً
فطُردنا وُئبنا ... وارتضينا نصيباً

قلتُ : إني أعرف الآن وجودي وزمانه
ذلك الوجه فلانٌ ... ذلك الوجه فلانة
هؤلاء الناس في دنياي رمزٌ للأمانة
إن يكونوا لفظوكم فلقد حازوا مكانه
إن صدري مل هذا الرب فليهجركم مكانه
وكفى قلبي هواناً ... وكفى نفسي مهانة ...!

قفز العملاق فوق الأرض قزماً واستقر
فإذا عبثي تلاشى ... وإذا قيدي انكسر
والمنى العذراء تستجلي هواي المنتظر
وعلى كفي شمسان وفي قلبي قمر
غير أني عندما عدتُ إلى دنيا البشر
خلت شيئاً ما بأعماق فؤادي يحتضر

كان هذا الشيء ... شوقاً وحنيناً لصغيري
كان ذكرى من تنكرتُ له وسط غروري

كان تیهَا و ضیاعًا واحتقارًا لشعوري
بغته شاهدت خلفي ... قزی يقفو مسيري
ضارعًا يبغی رشادي ، باکیًا ينعي مصيري
فحملتُ الربَّ في صدري ... وأرجعتُ «ضميري»

■ ■ سماء الغرور

فراش الروض ! يا قلبي لماذا تنشد البحرا ؟
وتأمل أن تحلق في رحاب سمائه ... حرًا !
تقول : سئمت أزهارى وعاف رحيقها ثغري
أزحف فوق عشب الروض والعيدان كالحشرة
وتُرضيني الحياة هنا؟ وكيف؟ وفي دمي ثورة
وشوقٌ عارمٌ يهفو إلى أحلامي الخضر؟

فراش الروض ! لا تهرب إلى أفق بلا آخر
تحلق فيه مشدود الجناح وتائها حائر
تجر جرك الرياح الهوج في رحلتها الكبرى
ويعروك الدوار هنا بين المد والجزر
وتخطبك الصخور الصم حيث سواعد البحر
تضيف إلى ضحاياها الكثار ضحية أخرى

حباك الروض بالآمال لكن لم تصن وده
لمست عذوبة الأعماق حين عبثت بالوردة
ومن خصر النسيم درست رقص النور والأمل

وذقت الحب مسکى الشذا في حوضن ریحانة
وكم ضحکت تلك المرأة حين علوت غدرا نه
وطرت على جناح الشمس ترفل في سنى الحلل

أتدري أن طیر البحر لم یسلم من الغرق
وأن الفجر في أفق البحار بحمرة الشفق
وأن الزورق التائه یبکی في أسى أرضه
فعد لي یا فراشي الحلو : یا ذهبي ویا نوري
ولا تجنح إلى الأخطار في أوهام مغرور
ونقل خطوک الهفهاف بین خمائل الروضة

■ ■ الزائر الغريب

مع الليل أصغى إليه يحوم حول الديار ويغزو الحديقة
ومن ثقب بابي أراه يسير على العشب في خطوات رقيقة
ويُبعد عنه أكفّ الزهور وقد طوّقت في عنادٍ طريقه
ويقرص خدًا لياسمينيّة: ويغمض أعينها المستفيقة
ويحنو على الفل في فرحة ويبعث حينًا بصدر الشقيقة
ويحضن أذرع لבלابة تمطت أمام الفضاء طليقة

هناك على مقعد من رخام أرى الضيف تحت ظلال الشجر
ولا شيء يؤنس وحدته ، سوى الليل في صمته والقمر
ونبشه طير عصاه الرقاد وأنات عود هوى يحتضر
ويعلو النداء عميقًا رهيبًا كصوت السماء ، كصوت القدر
«تعالى إليّ لكي تسعدي ، فإني الحياة لكل البشر
وإن لم تجيء سأتي أنا ... وفي كل ليل هنا ... أنتظر
وأنسى السنين وعبء السنين ، وأنشد لحنى وأشعاريا
وألبس ماعز عندي وراق ، وأعقص شعري بمرآتيا
وأملأ كأس الغريب بشوقي ، وأملأ كأسى بأحلاميا
ومن ثقب بابي أراه أمامي فيهبط قلبي لأقداميا

وتبدأ حرب الصراع الرهيب ، وأحكم إغلاق أبوابها
ويرجع ضيفي بغير لقاء ... حزينا ... ويهجر بستانيا

وفي الصبح أفتح بابي الكبير وعبر الحديقة أفقو خطاه
فيهمس غصنٌ إلى جاره ... وترنو الخمائل لي في انتباه
وتبدو الحديقة في زهوها ... قد استقبلت في الظلام إله
فمن كل ركن تهادي عليه ، وفي كل وجه نبات رآه
يشع ضياء ... ويسري عبير ... وتدفق من جانبيه المياه
فاذكر أني سمعت الغريب ينادي «أنا الحب ! إني الحياة !»

■ الليل والمرأة

عندما ترخي الديق سترها
ويذوب اللون إلا واحداً
ويضيف العش حيناً طيره
أترى يدرك يوماً رجل
فوق أنفاس الوجود الهادئة
يتحدى النظرات الهادئة
ويضم البحر حيناً شطئه
ما الذي يحكيه ليلٌ لامرأة؟

إنه يحكي لنا سر الوجود
فهو إنسانٌ وشيطانٌ مرید
وهو طيرٌ بجناحيه يشيد
وهو كونٌ قابِعٌ في عقل أنثى
ويبث الضعف فينا والإرادة
ينسجان الوقت كفراً وعبادة
قمة الأحزان فينا والسعادة
مستريحٌ فوق شبر من وسادة

أي ماضٍ قد حملنا عبأه
أدركت حواء معنى ليلها
كانت الأفكار تغزور رأسها
ضبيعت جناحتها لكنهما
من قديم نحن والليل قوائم
قبل أن يدرك ما معناه آدم
وهو ثار هادئ الأنفاس نائم
صنعت كونا لطفليها وعالم

فترة الحمل وإسقاط الجنين
من حشا الدنيا وقد ناءت سقيمة

عندما يولد فجرٌ ويبين
نحن نحيها مع الليل الحزين
هذه الساعات ساعات أليمة
نحن نحيها بجهد وأنين
حينما يطوي على ذل نجومه
مثلما نجتاز آلام الأمومة

نحن نسقي الليل من كأس الوصال
وهو يهدينا على متن الخيال
عاطفات مفعمات بالرغائب
وبها نعلو صخورًا وجبال
عربات مسرعات وحقائب
ثم نجثو في خشوع وابتهال
نتحدى الأفق حينًا والسحاب
تحت أقدام المعاني والمواهب

نحن نسقي الليل من كأس الدموع
ونمد اليد في غور الضلوع
أدمعًا تهمي على وجه الحقيقة
أي أنثى في حمى الصمت الوديع
حيث لا نحشى دياجيها السحيقة
إننا نحيها أعمارًا تضيع
لا تخوض الليل صمًا غريقة
وهو يمشي عابرًا فينا طريقة

■ الألهة والجريفة

وغرقتُ من أمواجه العطرات
وعجنتُ آلهة من الجنات
ضيعتُ في إتقانه أوقاتي
يجبو ولكن مغمض النظرات
في عادةٍ قدسية للمحات
كالتاج حول منابت الخصلات
كم ذا رسمت له من القسمات
عينًا تطل على من شرفاتي
عملاقةً مفتولة العضلات
فصنعتها نفسي وصورة ذاتي
في الطين مثل بقية الأخوات
فهمست تلك آلهة الرغبات
وشردت في حلمي وفي سبحاتي
ومهلل في دهشة الصرخات
أني عجنتُ مع الثرى عبراتي
ولهيب أنفاسي ونبض حياتي

أغرقتُ كفى في حنايا جدول
ومزجتها بتراب روض يانع
أتقنتُ صنع الحبّ حتى أنني
شكلته طفلاً ضحوكاً لاهياً
أما الجمال فصغته متألقاً
والكبرياء منحتها ظلاً سرى
والخيريا للخير من أعبائه
ثم انتبعت إلى الضمير فصغته
وصنعت للحرية الكبرى يدًا
ووهبت مصر أرق ما بي من هوى
حتى الخيال سجنته متململاً
وتأود الجسد الطري بقبضتي
حتى إذا كفت يداي هنيهةً
مر الأنام على بين مصفّق
لم يعلموا ما ضرهم إن يعلموا
ووهبت آلهتي دمي ومشاعري

■ ■ الشاعر.... والمشاعر

نامي : فقد أغلقت حاني ، لم يعد يأوي السكاري
نامي ! فقد لف الظلام ببرده قلق الحيارى
أنا لي ملاذٌ هاهنا تحت اللحاف ... وملجأ
أنا لي على صدر الوسادة للمشاعر مرفأ
أو ما لهوت ؟ أما سبحت ؟ وخضت أمواجي نهارًا ...

أنا كم رجوتك يا أحاسيسي الدفوقة أن تجفي
ورفعت أصبعي النحيل أمام عينك كي تكفي
عربدت كالفرس الجموح وثرث كالأسد الهصور
وجرفت ... كم سد جرفت ... وكم جسور ... كم جسورٍ
أواه ! أين أفر منك وأنت في كوخني وكهفي

مهدي البريُّ الآن تُرُعث صمنه كُفُ الستائر
الآن ما جدوى الغطاء وفي دمي إحساس شاعر
الآن أمسيْتُ الفريسة للوحوش الكاسرة
الآن يبطش بي الخيال وتستبد الذاكرة
يا نار ! هل نارٌ لديك أحر من نار المشاعر !

■ ■ عندما يجب الشاعر

تساءلين لِمَ القطيعةُ والجفاءُ... لِمَ الغضبُ؟
أنا يا فتاتي لم أقصرُ في هواك بلا سبب
لكنني بالأمس جئتُ أباك أستجدي النسب
إني طلبت يدي الحبيبة من أبٍ رفض الطلب
وأجابني : من ذا تكون؟ أشاعرٌ؟ يا للعجب!
الشعر تسلية البليد وليس مالا أو حسب

إني الملووم فقد عشقتك دون وعي أو رجاء
لم أدر أن الأرض ليس لها مكانٌ في السماء
وظننتُ أن المال أضعف من هواي وكبريائي
وأنا الذي من فرط حبي قد مرضت بكل داء
عندي من الأشعار أبياتٌ مذهبة الضياء
لكنّ وحقك لم أجد بكنوزها ثمن الدواء

أنا لست أملك يا فتاتي غير أوهامي السحيقة
إني أسير على شطوطٍ كلها جثثٌ غريقة
أنا ليس لي ذنب سوى أني تبنيتُ الحقيقة

وفتحتُ أبواب المشاعر والأحاسيس العميقة
فإذا قبلت فأنت أنثى تحمل النفس الرقيقة
لا لن يريد أبٌ حياة البؤس لابنته العريقة

أنا كم غرستُ النور والآمال في قلب الشجر
وأقمتُ أفراح النجوم لكي يباركها القمر
وخطبتُ أسراب الرياح العاشقات إلى المطر
وعقدتُ للدنیا مراسيم الزواج من القدر
أنا كم زفت الكلمة النشوی إلى حُسن الوتر
وفشلت حين أردت أن أحظى بحلمي المتظر

الأرض قد هرمت وشاخ الشعر قيثارًا ونابا
والروح عند هبوطها انكملت على أرض الخطايا
فاستودعي الحب النبیل... وودعيني يا منيا
ودعي المصير... فإننا الشعراء قد صرنا ضحايا
إني الفقير هنا على وطنٍ سخّي بالعطايا
فالشرق لم يهضم سوى حقي، ولم ينكر سوايا

■ ■ قصة الأزل

وطأ طأ آدم رأساً ذليلاً
ومن مقلة الشمس كانت تسيل
ولف السماء فراغٌ كبير
وفي الأرض صمتٌ حزينٌ عليه
وأسند حواء بين يديه
خيوطُ دماءٍ على وجتية

وسارا ونجواهما ذكريات
فكم لبسا من ثياب الضياء
وكم وقفنا في رحاب الإله
وشوقٌ وحبٌ وحننٌ مريـر
وكم شربا من كؤوس النـمير
نقيين لا يعرفان الشرور

وسارا وحواء ترفع حيرى
لعل... لعل الإله يحن
وشمس الغروب تبث ظلالاً
وعيوننا إلى الأفق من درها
ويصفح عنها... وعن ذنبها
من الرعب... ينساب في قلبها

ومن عينها شعرت في ذهول
وهيت رياح المساء عليها
ومثل النساء تعالي صداها
وطوقها آدم في غرور
بمساء وكان دموع الحياة
ولم تر من درها متهاه
لماذا لماذا انتقام الإله؟
ودفأ بالصدر هذا الجمال

وأخذ أنفاس ظبی شرید وألبس حواء جلد الغزال
وسار ومن كل ظفر تسیل دماءً وفي العین لیل الضلال

وسار طویلاً طویلاً وقد تبع الهارین القمر
وألقى أخيراً وألقت أخيراً بعبئهما تحت ظل الشجر
وفي ذلك اللیل «قابیل» جاء وسجل فی لوحة من قادر

■ ■ تكريم الأديبة

«إلى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد»

ونبل طبعك يا نعمات أغراني
فقلت لبيك إني خير معوان
ما لم أنله أنا من كف أزماني
وإن زهوت بها أزهو بإنسان
أن النساء على جهل ونقصان
ولا النبوغ لجنس دونه الثاني
وللمحيط برغم البعد شطآن
قبل الأوان وشبت دون حسابان
عزم المناضل في ساحات ميدان
وبالشهادات عن صدق وإيمان
إني لأقسم في سري وإعلاني
لفاق مجد بلادي كل بلدان

ضوء الطفولة في عينيك ناداني
سرى النداء تعالى كي نكرمها
أختي الصغيرة قد نالت بهمتها
فإن شدوتُ بها أشدو بنهضتنا
فليشهد اليوم من لا زال مدعيًا
ليس التفوق مقصورًا على رجل
النصف للنصف إحياءً وتكملةً
هذا العبير سرى من زهرة نضجت
هذي الأنوثة تخفي خلف رقتها
ما استغنت اليوم بالتعليم عن أدبٍ
آيات فنك يا نعمات معجزةً
لو عدَّ عشرون من نعمات في وطني

■ ■ هلاة إلى الكلمة

انطلقی من جوف الظلمة
یا جسد الفكرة یا كلمة
هیا ... هزی ... هزی قلمی
وانتفضی فی ثورة ألمی
یا أصبع عملاقٍ یفرد أجنحة الفن المنهزمة
قولی شیئاً ... شیئاً یصعد ... یتواثب یعلو للقمة ...
یا جسد الفكرة ... یا كلمة !

أیتها الكلمة كم یحمل معنك شقاء وسعادة !
شطانك أرض وسماءٌ وحروفك كفرٌ وعبادة
وإذا استعصیت علی شفتی لن یبلغ فتني أمجاده
فانطلقی أیتها الكلمة ... انطلقی عزماً وإرادة ...
وخذی عمري أجر نشیدٍ عذري أشهد میلاده

كم صورٍ أثرت فی ذهني ، نقلتها الشفتان فقيرة ...
ولحون غردها قلبي ... فانسابت بكماء ضریرة
وحروب فی داخل نفسي ، خرجت للعالم مقهورة

فانطلقى أيتها الكلمة انطلقى أصلاً ... لا صورة
وخذي عمري أجر نشيدٍ عاري أحسن تعبيره ...

كم ليلٍ تنساب الذكرى ، صورًا وحقائق وظنوننا
فتغوص الكلمة في حلقي ، كمحيطٍ يتلع سفينا
ويموج فراغ في قلبي كالمسجد دون مصلينا
وعلى باب الكلمة أهتف : انطلقى شوقًا وحينًا
وخذي عمري أجر نشيدٍ يتلوه العالم مفتونا

أيتها الكلمة صوغيني فنًا يرتفع بدنياه
صوغي من إيماني مرسى للهائم في بحر أساه
لمي أعماقي المحطومة وردًا أتنفس بشذاه
فالألْم هو الفن الخالد ... هاتيه فكم أتمناه
وخذي عمري أجر نشيدٍ قدسي باركه الله

■ ■ الريح وسندوق الجواهر

أنا كلما ألقاك أغدو لصةً كبرى خطيرة
أنا كلما ألقاك أسرق منك أشياء كثيرة
حتى إذا حان الوداع ، مضيتُ في طريقي الضريرة !
ومعي كنوزك كلها ... ومعني جواهرك النضيرة !

هذه الكنوز أضمرها نشوى ... تهدهدي الأمانی
هذي الكنوز هي ابتسامتك المليئة بالحنان
وبريق عينك ، والشذا ، وصدی كلامك والمعاني ...
هي كل ما أضفيته عبر اللقاء ... على كياني ...
هي باقة أمضي بها فيرفّ بي جوٌّ معطر

وأحسّ أني قد ملكت كنوز قارون وأكثر
وأسير من دربٍ لدربٍ أحضن الدنيا ... وأعبر
والكون في عيني روضٌ مورق الأغصان أخضر

حتى إذا انتصف الطريق وأنت في جنبي حاضر
فإذا بريح الشك تعبث بي وتجتاح الخواطر

وتروح تسرق تحت جناح الليل صندوق الجواهر
وإذاي خاوية المنى ... وإذاي خاوية المشاعر

ويجيء موعدك الجديد ... يهل في ليلي ويشرق
وأنا جوارك كم ألملم ما تجود به وتُغدق
فإذا انتهى وقت اللقاء وفي يدي الصندوق مغلق
أنساب سارقة كنوزك من جديد ... ثم ... أسرق

■ ■ السراب

يمر على الكائنات صباحًا
ويمضي يحيي بكل اشتياق
ويحصي بصبر جميع الرؤوس
ومن مقلتيه يصب الضياء
فنصحو وقد غمرتنا الحياة
ونمشي سكارى وطيف الغرور
ونركب عرباتنا المذهبات
ويبدو الوجود صغيرًا علينا
فتركه صاعدين الفضاء
نظير ونلهث خلف السراب
حيارى ولا شيء غير صدانا
وعند المساء يعود إلينا
فيمشي على كل رأس عنيد
وكالوحش ينشب أظفاره
فنسقط صرعى وفي الصدر جرحٌ

فيوقظ فوق الفراش نيامه
ويهدي إلى كل فرد سلامه
وفوق الجباه يخط علامة
ويقشع عن كل عين غمامة
بفيض أحاسيسها المستهامة
يصب فنشرب كأس المدامة
ونعبر أقواس نصر مقامه
وفي مقلتيها يفيض سامة
وقد ألهب الوهم فينا ضرامه
وفي كل ركن نطيل الإقامة
وجهد الجناح ودمع الندامة
ليكمل بين الضحايا انتقامه
ويركله في التراب أمامه
ويغرس في كل قلب سهامه
عميقٌ وفوق الشفاه ابتسامه

■ عام جديد

يا عام كم عام سواك مضى وخلف لي دجاه
ومشيت في سردابه وخطاي تعثر في خطاه
وشربت ملح الدمع من قمم الثلوج على الشفاه
وخرجت مثخنة الجراح لكي أعود إلى سواء
يا هذه الأكذوبة الكبرى التي تُدعى الحياة ... !

إني لأعلم ما تخبئ في الطريق وما تداري
خطوات عمرك كلها محفورة فوق الجدار
الصيف يمضي كالشتاء ، مع المساء مع النهار
أنا قد أراك وإنما أنت مجهول القرار
ماذا وراء الغيب يا ربي وما خلف الستار؟

من ألف عام جئت تغرس في حنايا الروض وورده
هل كان لهواً ما صنعت أم انتقاماً أم مودة
وتركتها للريح تلطمها بإصرارٍ وشدة
الوردة البيضاء ألبسها الشتاء الجهم برده
لن تستطيع اليوم أناملك الرقيقة أن تصده

یا عام إنک کائن حیّ وعملاقٌ ممدید
أخشاک حین تهل ثم أرف مقدمک السعید
أبکی الذی ولی عجزاً... ثم احتضن الولید
فإذا شببت ، إذا هرمت أعود أسأل من جدید
ستعود! وی! ستعود للدنیا... ولكن هل أعود؟

■ نصف سيجارة

من أي دنيا جئتني يا صديق
من جوف قارورة عطر عتيق
ولم يزل يبدو رشيقياً أنيق
فاخرة تحمل صنفاً عريق
عليك لم ألقك فوق الطريق
تغمر بالدخان وجهاً رقيق
ولا رنا في الركن نحو الغريق
تنعم في زهرٍ بطيب الرحيق
في قائمين من فصوص العتيق

سيجارة البنسى ! سيجارة
من عالم الحب ودنيا المنى
يا نصف سيجارٍ طواه البلى
تلتف حول خصره «ماركة»
أنا التي أشفقت فيما مضى
أتيت محمولاً على ثغره
وغاب لم يأخذك في ركبته
أتيت محمولاً على ثغره
أرجوحة تهتز منصوبةً

عكرت «كيفه» بهذا العقوق
وكم وكم أطفأت أنت الحريق
رماك في عنف بغيظ وضيق
ضيعت من عمرك ما قد يفوق
من أنت حتى لا تنفي بالحقوق
من لي بهذا الموت ... يا للفروق!

بقية المزاج ! سيجارة !
كم مرة أشعل فيك اللظى
حتى إذا أفرغ كبريته
يا أيها المنكوب في حظه
ما قصة العصيان؟ ما سره
أبيت أن تفنى على ثغره

أبیة أن تسری بأنفاسه یا للتوغل الشهي العمیق

سفينة البحار! میناؤه كان لنا مرسى المنى والشروق

أنا وأنت الآن نطفو علی بحر من الأوهام داجٍ سحیق

■ ثلاث أغنيات فرنسية

«العنكبوت»

ذات يومٍ ضمّت الصدفة شتى الكائنات
من وحوش ، من طيور ... من صنوف الحشرات
كل فردٍ راح يُثني راح يمدح ...
في حماسٍ ... دودة القزّ ... ويشرح
أي أعمالٍ مهمّاتٍ جليلة ... هذه الدودة تعمل ...
وخيوطٍ من حريرٍ ناعماتٍ وأصيلة هذه العذراء تغزل
غير أن العنكبوت وحده كان يعارض فارد الأذرع ، قابض
كلما أصغى لمداح أجاب : «ربما ... لولا ... ولكن ... يا صحاب»
صاح بين القوم ثعلب : أيها السادة إني لست أعجب ...
حين يسخر ذلك السيد بالذم ويجزل ...
فهو الآخر ... يغزل

■ ■ اللبلاب

هتفت اللبلاب يوماً من علٍ للأقحوان
«أنت يا مسکین تطوي العمر في هذا المكان
زاحفًا كالأفعوان ... وذليلاً كالجبان
أي حظّ حد من عودك حدًا واستباح
حيث تُدمیک نسيّمات الصباح - بينما عودي يعلو في أمان ...
وهو يغفو فوق ظهر السنديان
هتف القحوان : إني لست أنکر ... غير أني سوف أذكر
لست في مسراك أهلاً للتفوق
أنت سباقٌ ولكن ... في التسلق
وأنا من عون روحي أستمد
وإلى قوّة ذاتي أستند ...

■ ■ العندليب

مرّ في الغابة يوماً سيدٌ جمُّ الشراء
كان يهفو للتمشي حيث أن الضيق خلّ الأغنياء
عندما أصغى لشدو العندليب ... وهو في ثوبٍ قشيب
مدّ رب المال نحو الغصن في عنفٍ ذراعه
حاسباً كل أمانيه - كما اعتاد - مطاعه
غير أن الطير ولى هارباً فأنثى يسأل جهماً ، غاضباً
كيف تحيا هاهنا أغلى الطيور الصادحة ؟
بينما قصري ملئ بطيور نائحة
فأجاب التابع الماكر في ظل ابتسامة : أيها السيد موفور الكرامة
كل شيء تافهٌ سهل الظهور وأمام العين في كل صباح
والنفيس الحرّ في جوف الصخور ... عبثاً تحظى به دون كفاح ...

■ ■ شجرة الليمون

قتلوكِ یا لیمونتی الحسنة
حرموك فی فصل الربیع الماء
فوقفت فی البستان عاریة المنی
تتوسطین غصونك الجرداء
وحضنت شبأکی الفسیح ضریرة
تتلمسین بحجرتی الأحياء
وأطل وجهك من خلال ضلوعه
جهم الملامح ، عابسا ، مستاء
لیمونتی الجرداء : لا ، لا تخجلي
ما ضاع حسنك فی الرياض هباء
إن الدمامة والجمال کلیمها
یتبادلان الأخذ والإعطاء
فالموت قد أعطاك سحرًا غامضًا
یُضفي عليك قداسة عذراء
والموت قد أعطاك حزنًا قاسيًا
متوحشًا یتوقف الشعراء
لیمونك الغالی عصرت رحيقة

وصنعت منه لفلذتي دواء
أنا لست باكيةً عليه بقدر ما
أبكىك أنت ضريرة صمّاء
أختاه! لا تزني الوفاء بروضةٍ
نسيتهك وازدهرت شدًا وسناء
فلرب عشبٍ تحت جذعك غائرٍ
يبغي لأجلك أن يموت فداء
وإذا رأيتِ الناس أكثر قسوةً
وأشد من هذي الرياض عداء
يكفيك أن هناك قلبًا واحدًا
مثلي يشاطرك الشقاء شقاء
ولقد تصب الشمس فوقك نارها
لكن روحك تكشف الأجواء
وإذا النسيم أبى عليك سلامه
لن ترهبي في عريك الأنواء
فمتى الذبيح... يحس نرف دمائه؟
ومتى الرياح تحارب العزلاء؟

■ ■ تکریم شاعر

«إلى الشاعر محمد مصطفى الماحي»

قالوا انظمي شعراً عن «الماحي» فقلت أتى هنائي
إني سأهجو شعره فالنظم أسهل في الهجاء
وخطى الشرور قصيرة والخير موصول الغناء
وعلام أخفي الحق؟ لا بل قلت ، قصر في ثنائي
ما قال عن ديوان شعري كلمة تغدو عزائي
نسي النساء ! فويله من شر السنة النساء
هيهات أرجع عن هجائك ... إنه حكم القضاء

وتلمست كفاي نسخته بقلب نائر
يا أيها «الماحي» على بحر القريض أعاصري
كيف التشفي منك والألحان ملء مشاعري
أيقنتُ حين قرأت شعرك أن شعرك قاهري
لحنٌ شفيفٌ واقعيٌّ كالضياء السافر
جمع السلامة والعدوبة في انطلاقة طائر
جمع القديم مع الجديد مع البديع الساحر
متفجراً كالنبع يسري من فؤادٍ طاهر

متضمخًا بشذا الصداقة والوفاء النادر
لا غرور إن الشعر مرآة لنفس الشاعر

■ ■ شتاء العام

شتاءٌ ضيقُ الأنفاسِ دماغٍ وبكاءٍ
يطل على الورى جهماً كأن الناس أعداء
ويحجب شمسهُ عنا ويسكب حزنهُ فينا
فرفقاً أيها المغرور هلا ترعوي حيناً؟
على من أنت غضبانٌ؟ وممن أنت مستاءٌ؟

شتاءٌ وارم الأشداق ملتحفٌ بغيماته
تباكى ثم أبكاني ... وأرهقني بأناته
طريد الكون ، صعلوكٌ ، طفيلٌ ومجهول
أشل الخطو ، معلولٌ وفوق الصدر محمول
ولا شيءٌ به يمشي سوى دقات ساعاته

أتدري يا شتاء العام كم أنقصت من قدري
أنا في الصبح منديلٌ قديمٌ ماج بالعطر
أنا كالطائر الصيفي يشدو للورى حبه
على جدرٍ مهدميةٍ وفوق سقائفٍ خربة
أنا في الليل قنديلٌ بلا زيتٍ ... ألا تدري؟

ولكن ... كيف قنديلٌ بلا زيتٍ ولا نارٍ؟
وهذا الدفء في روعي وفي أغوار أغواري
وهذا الخافق الوثائب يملأ عالمي قوّة
ويفري البرد أوصالي فأسخر منه مزهوّة
ولي قلمي ... وقرطاسي ولي في الليل أشعاري؟

■ ■ وراء الحياة

«عندما أدخلت ابني مصحة الأمراض العقلية»

هنالك عبر الطريق الطویل
بضاحیة من ضواحي المدينة
وحيث الهدوء يسود المكان
وتعفو على جانبيه السكينة
وينمو على ظهره شجرٌ
رحيب الظلال يهز غصونه
هنالك سورٌ سميكٌ سميك
طویل المسافة يخفي سجينه
وبابٌ بلون رماد القبور
وقد أغلقتة قيودٌ متينة
إذا مرَّ طيفٌ عليه استعاذ
ومدَّ الخطى وأشاح عيونه
تفتَّح مصراعُه ذات صبحٍ
وكانت دموعي تسيل سخينة
فقلت : تقدَّم رعاك الإله :
وأدخلت ابني ... وعدتُ حزينة

■ ■ إلى ابنتي

«من وحي زوجها الراحل»

ماذا نصنع للطارق باب الدار بعنفٍ يا بنتي ؟

ماذا نصنع للدخال دون استئذان

ليبددَ أفراح البيتِ ؟

ماذا نصنع نحن الضعفاء

والحرب هنا عزلاء

من نحن لكي نتحاشى المنجل في كف الحاصد

من نحن لكي لا نحني الرأس أمام القانون السائد؟

ما نحن سوى نفسٍ تذروه رياح ...

ولذلك يبكي الأفق علينا كل صباح

من خلف السور نطلّ ونسأل دون مجيب

من أين تجيء الروح ... وأين تغيب ؟

ويمر الركب مع التيار لأن الموج له تيار

ونضم الدنيا في شغفٍ ... ونعشش كالأطيار

وتدور الساعة دورتها ... وتجفّ على الروض الشجرة

والهوة ترنو منتظرة !

وتدق الباب يدُ المجهول

وتظل المشكلة الكبرى من غير حلول
وبرغم الحزن ، برغم الدمع توّسلنا المؤلم
يلتهم الثعبان الأنجم !

لكنّ عزاء الإنسان هي تلك الشعلة من إيمان
هي تلك الراحة نلمسها في الجسد المحتضر المرهق
ووئوب الروح إلى المطلق
والسر المنكشف أخيراً يبدو في العين
والبسمة فوق الشفتين

■ شاطئ الإيمان

أجل ! هو الله أهواه وأهواه
أنى أسير فإن القلب مأواه
عانقتُ فيه رغاباً جاوزت أملي
لا المجد يبلغها قدراً ولا الجاه
فاسدل ستارك يا دهري على بصري
واهبط بليلك واستجمع خفاياه
وأنت يا ساعد الإعصار ، يا قدراً
في هوة اليأس كم ألقى ضحاياه
صوب سهامك نحو القلب في غضب
ومزق اليوم في عنفٍ بقاياه
هيهات للقلب أن يخشاك قاتله
وأن يئس وأن يُفضي بشكواه
ومن أين ينفذ سهمٌ في جوانحه
وهو الملقى بنور الله مولاه
الشمس تسطح في جنبيه ضاحكةً

والعطر یقطر مسکاً من زواياہ
الیوم یا قلب لا أنواء تُرهبني
ولا ریاح ولا بحر وأمواء
إنی علی شاطئ الإیمان آمنَةً
معني المنجی معني الحامي معني الله

■ ■ جولة داخل النفس

كان الريح يفيض بالإشراق
ويبث نور الكون في الأحداق
ووقفتُ فوق الدرب ثابتة الخطى
وأنا على صمتي وفي إطراقي
ووقفتُ والذكرى تموج بخاطري
والذكريات هي الوجود الباقي
عشرٌ من السنوات مرّت هاهنا
في مسكنٍ ولي بغير تلاق
قد هدّمتُهُ يد البناء بقسوة
وطوت معالمه بلا إشفاق
وبدت على نفس المكان عمارةً
تعلو المدى وتشب كالعملاق
ووقفتُ والأمس القريب يهزني
ويشد في عنف القويّ وثاقي
أهفو إليه بحلوه وبمره

ما دام متزَعًا من الأعماق
هي جولةٌ في مسكني قمنا بها
أنا والخيال ... ولوعة الأشواق

ومشت بي الذكرى أجول بفيلتي
وأنا كطفلٍ طائعٍ منساق
وفتحْتُ بابًا للحديقة واسعًا
وعبرتُ تحت سقيفة ورواق
وعلوْتُ سلّمها العتيق خفيفةً
وأنا وظلّي في مجال سباق
فإذا الكلاب تحس دبة خطوتي
وتنطّ في لهث وتلعق ساقي
ودخلتُ تحميني الديار بصمتها
والصمت للعزلاء درعٌ واق
ودلفتُ نحو البهو أنشد مقعدًا
يا كم عليه شردتُ في استغراق
فإذا النوافذ تسترد نفوذها
وتفرّ من مزاجها الخنّاق
وإذا الستار يرفّ حولي راقصًا

وإذا الأثاث يضـمني بعناق
هي جولةٌ في مسكني قمنا بها
أنا والخيال ... ولوعة الأشواق

ومشت بي الذكرى أجول بمطبخي
ودنوتُ من صنبوره الدفّاق
ورأيتُ مملكتي بكل جلالها
تزهو بعرشٍ لامعٍ برّاق
ورأيتني في مطبخي مشغولةً
والوقت يمضي آخذًا بخناق
فهناسلقتُ هنا قليتُ وهاهنا
ذقتُ الطعام كأمر الذواق
وهناسهوت عن المواقد لحظةً
كاد الشواء يصاب بالإحراق
وهنا عصرتُ طماطمي وفواكهي
وهنا فتحتُ فطائري ورقاق
فالفن كل الفن عند رجالنا

فی کف طاهیة وراحة ساق
والشرق رغم رقیه لما یزل
یزن النساء بلذة الأطباق
هی جولةٌ فی مسکنی قمنابها
أنا والخیال ... ولوعةُ الأشواق

ومشتُ بی الذکری أجول بمخدعی
فی حیرة المتهیب المشتاق
فہنا استقر الكونُ فوق وسادةٍ
محمومةٍ حملتہ فی إرہاق
وہنا غدوتُ بمخدعی روحًا سرت
من سجنها الأرضی للآفاق
وہنا التناقض کلہ فی کائنٍ
لقى الأسى من قلبہ الخفّاق
وہنا فرحتُ هنا ضحکتُ وهاہنا
مسحت دموعي أسطر الأوراق
وہنا مللت هنا زهدت وهاہنا
أجّ الهوى والشوق فی أعراقی
وہنا نسجتُ من التوحد حلّةً

رَصَّعْتَهَا بِالْبَدِينِ وَالْأَخْلَاقِ
هِيَ جَوْلَةٌ فِي مَسْكِنِي قَمْنَاهَا
أَنَا وَالْخِيَالُ وَلَوْعَةُ الْأَشْوَاقِ

وَمَشَتْ بِي الذِّكْرَى أَجُولُ بَرُوضَةٍ
مَلْتَفَّةِ السَّيْقَانِ وَالْأَعْنَاقِ
لَوْ صَغَتْ أَلْفَ قَصِيدَةٍ فِي حَسْنِهَا
لَسَخَرْتُ مَنْ عَجَزِي وَمَنْ إِخْفَاقِي
وَاسْتَقْبَلْتَنِي بِالرِّضَاءِ سَخِيَّةً
وَمَتَى السَّخِيَّ يُضَيِّقُ بِالْإِنْفَاقِ
فَهَمْتُ عَلَى رَأْسِي الثَّمَارُ كَدُورِقِ
وَصَفْتُ عَيُونَ الْجُدُولِ الرَّقْرَاقِ
وَقَضَيْتُ وَقْتِي كُلَّهُ فِي شَمَّةٍ
فِي نَشَقَّةٍ فِي قَضْمَةٍ وَمِذَاقِ
وَفَمِي الْمَخْضَبُ يَرْتَوِي مِنْ كَرْمَةٍ
أَغْرَتَ بِكَأْسِ نَيْزِهَا أَشْدَاقِي
فَإِذَا هُنَا عَرَسَ وَتِلْكَ أَزَاهِرِي

والطير والينبوع هم أحوافي
وإذا أنا وسط الحديقة ربةٌ
للحبّ ... أهل حديقتي عشاق
هي جولة في مسكني قمنا بها
أنا والخيال ... ولوعة الأشواق
ومشت بي الذكرى جوار شجيرة
مُسحت كنوز الورد في إغداق
وجفت أمامي في ارتعاشٍ وردةٌ
وتسترت بالغصن والأوراق
فهمتُ : كيف الحرُّ يأسر حرةً
كيف الجحود وليس من أخلاقي
أبدًا يدي لم تُدم وجنة زهرة
جلست على عرش الربى اللألاق
حسبي الشذا المسكي يسري في دمي
حسبي الجمال يذوب في أعماقي
حسبي هنا الدنيا بغير خديعةٍ
حسبي هنا الدنيا بغير نفاق
سكان بستاني الوفي تقبلوا

منّي الأمان وردّوا ميثاقي
أنتم هنا رُفقي وأنتم صحبتي
أنعم بكم من صحبة ورفاق
هي جولةٌ في مسكني قمنا بها
أنا والخيال... ولوعةُ الأشواق

وأفقتُ من وهمي وعمق تخيّلِي
والناس ملء الدرب والأشواق
كلُّ يسير إلى نهاية عمره
ومقيّداً بالموت كالأطواق
وتساءلتُ نفسي لأية غايةٍ
نحيا... وأين مفاتيح الأغلاق
لكنني حين ارتفعت هنيهةً
بالعين نحو مشارف الأفاق
سكنتُ أعاصيري وذابتُ ثورتي
وتمازج المخلوق بالخلاق
فسخرتُ من ياسي ومن قلقي ومن

حزنی وصحتُ علی رضی ووفاق
لا حیّ غیرک یا إلهی خالدٌ
لا حیّ غیرک یا إلهی باق
هی جولةٌ فی مسکنی قمنابها
أنا والخیال... ولوعةُ الأشواق

■ العالم الجاهل

عجبا لمن يشدو بشعر جليلة
ويكاد يتحد القريض دليله
شعري يقدره ، يقدره فننه
ويراه نجوى حرّة وأصيله
لكنني أنثى وقبل قصائدي
لي قلب عاشقة ووجه جميله
أهواه وهو يفيض علما زاخرا
لكنه جهل الهوى وأصوله
فإذا نظمت له الهوى قال : الهوى
في شعرها هدفٌ وليس وسيلة
وإذا سردت مشاعري نادى بها
الواقعية عندها معقولة
وإذا شدوت الحبّ صاح مصفقا
ياكم تجيد بصوتها ترتيله
وإذا دنوت فما يرى فيما يرى

مني سوی الأوزان والتفعيلة
یا طول بالی فی هواه وإن أکن
أهواه راضيةً وما للقلب حيلة

■ ■ عتاب

مريضٌ أنت يا حبي ... مريضٌ دون أن أدري ؟
ومن يعنيه أمرك أنت ... من يهواك ؟ من غيري ؟
كأنني لا أعيش اليوم في دنياي من أجلك
كأنني لستُ رغم البعد أدنى منك من ذلك
ولست أخاف في شغف عليك كابنتي البكر ... !

مريضٌ دون أن تُفضي إليّ ودون أن تشرح ؟
أشطرٌ تحت مبضعه وشطرٌ عابثٌ يمرح
وكيف تغيب عن عيني وأنت الأمن في غابي
ومن يأوي ومن يسقي عصافيري ولبلابي
وكيف الداء يجروا أن يصيبك دون أن أسمح !

لماذا لم تكاشفني لأبذل ما بقدوري ؟
ومن أغلاك الكبرى لماذا شئت تحريري ؟
لماذا لم تعرضني لكل هبوب إعصارك
ألستُ الوردة المعطار فوق غصون أشجارك
وليس لديك من عمل سوى شمي وتقطيري ؟

کأنک لم ترد يوماً من الأيام جناتی !!
کأنک لم تعد أملی ووجهک لیس مرآتی
کأن أصابعی لیس شموعاً وسط سرادبک
کأن تنفسی عبثٌ ولیس یخور محرابک
وریکَ لیس من نبعی ومن آبار واحاتی !!

■ ■ بلا ثياب

مطرٌ ... مطرٌ ... مطرٌ غزير ينهمر
وهناك عبر طريقها وسط الرياح العاتية
كانت تسير ... رأيتها ... وبلا ثياب ... عارية !!
رشت عليها السحب فيض دموعها يا للمصير !
وتوغلت في الدرب عائرة كشحاذ ضيرير
خجلي ... تمد يداً لتخفي صدرها ... صدر العذارى
والكل مبتعدٌ يشيح بوجهه خزيًا وعارًا

أعطيتها عكازتي ... وبسطتُ شالي فوقها عطفًا عليها
فرمتها في عزّة وتملصت مني وغضت ناظريها
قالت وفي نبراتها عبء الزمان
لا تقربي ! أخشى عليك من الهوان
من ألف عامٍ ... ألف عامٍ ... أنثني عبر الطريق ..
منبوذةً ... وبلا رفيق
إلا من البلهاء محدودي الذكاء
ومن الصغار الأبرياء

ومع العواصف والرياح العاتية

واللیل یوغل فی مهاویہ السحیقة

تممتُ : من ؟ من أنت ؟

قالت : الحقیقة !!

ولذا ترین فإننی لا بد أمشی عاریة ؟

■ ■ دعاء لأجل الحمير

«عن الفرنسية»

إذا ما شاء لي ربي وحانت ساعتى الكبرى
سأمضي في ضحى يوم يكون الحقل مزدهراً
سأختار الطريق أنا ... بكل إرادتي ... حرّاً
وأحمل في يدي اليمنى عصاي ... وأعبر العمرا

سأهتف للحمير وقد تراءت عبر طرقاتي
أنا «فرنسيس» يا صبحي ... سأمضي نحو جناتي
فهيما واصحبوا خطوي وعيشوا في السموات
فليس هناك من قاس سيضربكم ... ولا عات

سأبدو وسط أصحابي أمام الله لن أخجل
سأبدو وسط آلاف وآلاف من الأرجل
وكم أذنٍ مجرحة وذيل كاد أن يُفصل
وعين ... يا لها عينًا : تكاد من الأسى تُقفل

سأطلب منك يا ربي جواري خلدك البضة

لتقطف للحمير الجوخ والتفاح في الروضة
وعند الكوثر الرقراق مثل سبائك الفضة
سنعكس في مراياها تواضع روحنا الغضة

■ ■ الفجر الأخير

الليل في قلب المدينة غارق في لا قرار
والصمت لصن زاحف متسلق سور الديار
وأنا على الشباك أسند في شرود مرفقين
والساعة الخجل تدق وراء ظهري دقتين
والروض تحتي غائب في حلمه المعشوشب
والنسمة العذراء لمسة عاشق متهيب
والقلب مسرح كل أحلام الوجود الفانية
دبت عليه مشاعري كالراقصات الحافية
والروح كالأم الحزينة فوق شط الذكريات
ترنو إلى أطفالها يلهو بهم موج الحياة
ولمحت نجماً لم يزل في مقلتيه الضوء يسري
فهمست في تنهيدة حرى وشوق: أنت فجرى ... !

■ ■ لقاء ووداع

ماذا أقول وقد تحدى في هواه الزوبعة
وثنى يديّ بقوة فرضيت أن أمشي معه
ونسيتُ كم عينٍ تحدّق خلفنا متتبعه
والأمس والذكرى المليئة بالهموم المفزعة

كان النهار نهار أحلامٍ ونجوى ممتعة
والبحر يهمس للرمال الشقر سراً أودعه
ومشيتُ والدنيا بعيني روضةً متضوعة
وانساب بحرٍ آخرٌ في القلب يفرد أذرعه
ومشى بقامته الجريئة في خطى متدفة
عيناه في عيني واحتضنت يداي أصابعه
عينان بحرٌ فيه كم يلقي المغامر مصرعه
ورنوتُ للعنق المديد هنيهةً متطلعة
والياقة البيضاء في رفقٍ تدور وفي دعه
ووددتُ لو مرّت عليه شفاهي المتضرّعة

وسألت : والقصص التي تروى أليست مقنعة ؟

أو لم تدق من بعد من بعد حبي كأس حب مترعة؟
وأشار في ألمٍ إلى ركن يجاور أضلعه
يا أنت ... أنت هنا على عرش الهوى متربعة
أرهقت هذا القلب ... بل جففت فيه منابعه
عبثاً أحاول أن أحب ... فكل حب مضيعة ...!
وأنساب يسأل في أسى ومرارة متجمعة
أترى فؤادك أنت قد حفظ الهوى أم ضيعه؟
وغفا على شفتي الكلام فلم أشأ أن أضلعه
قلت : الوداع ، أجنبي في أنة متقطعة
لا ، لن يكون لنا وداعٌ ... ثم كفكف أدمعه

ورجعتُ كم نغزٍ بدا نحوي يسدد مدفعه
عتبوا عليّ ... أجبتهم : ماذا عسى أن أصنعه
قد شدني في قوة ... وثني القوام ... وشرعه
وتبسمت عيناه لي ! فرضيت أن أمشي معه !

■ ■ وبعد ... ؟

أیا عقلي ! ستشقی لا تلمني
أتجري خلف سر الروح حتى
وتقتحم السماء بلا حياءٍ
وما بال الملائك في علاها
وحواء وآدمها ... لماذا
أتأمل أن تحل اللغز يوماً
وهل مصباحك الحابي كفيل
«وبعد؟» تقولها وبلا حرابٍ
أتدري أن غواص اللآلي
وأن النور لم يكشف لإنسٍ
ولم ترفع يد طرفاً لثوبٍ
وأنك إن عدلت هجرت وهما
أحسك شاعراً غراً جريئاً
لديك الأرض فاذرع كل شبرٍ
توغل في الكهوف وفي البراري
وكن رباً إذا ما شئت خلقاً

فإني قد نهيتك لم تطعني
تكاد تضل في شكٍّ وظن
وتقرع باب ربك باليدين
قد انزعجت من الصوت المرن
تلاحق بالسياط المذنبين
وأنت وراء قضبان وسجني
بأن يجلو حقيقته لعيني
سوى الصمت الضرير المستكن
أصاهم الدوار وكاد يفني
وأن الباب لم يفتح لجن
كسا المجهول في سترٍ وأمن
لتحياني سلام المطمئن
يميل إلى التعالي والتجني
عليها بالخيال وبالتمني
وطف بالكون من ركنٍ لركن
على أرض حوت أرياب فن

قل للصخر: أنبت ... سوف ينمو
وئمر نجم السماء يهل ظهرًا
وقل للأرض حربًا أو سلامًا
ولكن لا تمد الطرف يومًا
وعش كالغير منبسطًا بسيطًا
وإني من فضولك سوف أشقى

وقل للبحر: أعزف لي ، يغني
ويحترق التراقص والتشي
ستتبع ما تريد بغير ضن
إلى ما خلف أسواري وكوني
ولا تبحث فإن البحث يضني
وإني كم أخاف الغيب ... إني

■ ■ صعب علیّ

صعبٌ علیّ أقول كان وأنت نبع العاطفات
أأقول كان؟ وكيف كنت... وأنت لي ماض وآت
أنا لا أحسك قد مضيت ولا أراك سوى حياتي
صعبٌ علیّ أخط اسمك في سجل الذكريات

ما زال نهرُ الحب يزخر بالمفاتن والجمال
ويشق قلب مدينتي العلواء في جوف الليالي
ما زال يدفق بالمنى متحدياً سد المحال
ومراكبي تمشي عليه محملاتٍ بالغللِ

ما زال شباكي يُطل على الروابي والبطاح
وظلال مصباحي تراقص في الدجى خصر الرياح
ومآذني البيضاء تعلو الأفق فاردة الجناح
وخطاي تركض في جنونٍ خلف قاطرة الصباح

قد ألتقي بالريح تبكي في نهايات الطريق
ولربما حُرم المسافر في الليالي من رفيق

ولقد تغوص سفينة الأيام في غور المضيق
لكن لي شالاً وعكازاً ... وطوقاً للغريق ...

أنا عابد عشق التصوف لم يعد شيءٌ لديه
أنا لست أملك من فضائي غير ما ترنو إليه
ومن الهوا سوى الذي قد ضم عطرك في يديه
أنا ليس لي الأرض ركنٌ غير ما تمشي عليه

أقول كان ! وأنت قد أوغلت في روعي وذاتي
أقول كان ؟ ولم أزل أهديك أحلى أغنياتي
أقول كان ؟ لمن أصب إذن كؤوسي المترعات
صعبٌ على أخط اسمك في سجل الذكريات

■ ■ إلى صديقة

إن نكن شئنا وضوحًا وتصافينا طويلاً
غير أن الجرح ما زال بجنيننا علينا
لم يزل شبه ضبابٍ سابح في مقلتنا
لم يزل شبه ارتخاءٍ في تحيات يدينا
لم نزل نحمل عبثًا من دجى الماضي ثقيلًا

أنت تأبين اعترافًا بخطاياك الجليلة
وأنا أكشف ضعفي ضعف نفس بشرية
ثقلت كفة أخطائي بعينيك سحيقة
لم لا تهوين بالأخرى وتبدين «حقيقة»
أنت من طينة أرضي وأنا لست نية ...

أنا لا أهوى التماذي في دياجينا ... لنبعد
إنني أوتر بعدًا وانفصالًا عن تردد
الصدقات نفوس عاريات كالضياء
وهي في الشدة أخذت وهي في اللبن عطاء
وأنا أعطيتُ كلي ... دون أهدافٍ ومقصد ...

■ ■ عالم تافه

وبيتٌ كل ما فيه تفاهاتٌ ... تفاهاتٌ
يضم مشاكل الدنيا وتغمره الخلافات
وأهل البيت أنواعٌ وأزواجٌ وزوجات
ولكن كلهم حقاً ثعابت ... وحيات
ففيه أراملٌ فرحي ... لأن رجالها ماتوا
وفيه البنتُ غانيةٌ لها في العشق جولات
وفيه الطفلُ دانيةٌ وقد صنعته عادات

هو الدنيا مصغرةٌ ... وللعالم مرآة
ولكن عالمٌ بشعٌ تغذية السفالات
شقيتٌ به بلا ذنبٍ وضمتني المتاهات
فكم قرعوا هنا بابي على فمهم شكايات
وسبَّ البعضُ بعضهم ولُفَّقت الروايات
وما أنا بينهم قاضٍ ... وإني بينهم شاة
ولم أسلم أنا الأخرى فلي منهم شكايات
وهل سلمتُ لهم في البيت أحياءٌ وأموات !

فيا ربي ويا ربَّاه ... لي سوؤلٌ وغايات

أهذا البيت لي قدرٌ! وتعذيبٌ وأناث؟
أنحيا فيه شاعرةٌ لها في الشعر آيات
ويقتحمون دنياها... ودنيا الشعر جنّات
وهل أصبحت تافهةً وبتٌ كما هم باتوا
وعن بيتٍ من الأحجار تروي الشعر أبيات؟

■ ■ الطيور المهاجرة

أجل ! جفّت زهور الروض وافترشت هنا الأرضا
وكانت بالشذا الفوّاح تحت الشمس مزهوّة
وفوق الغصن أطيّارٌ يجادل بعضها بعضاً
أولى الصيف؟ ولي الصيف؟ يا أيامه ، الحلوة !!

طيورُ الروض قد هرعت لتعقد لجنةً كبرى
وصاح الطائر الأول يدعوهم إلى الصمتِ
أثينا ! إنني أمضي إليها مرّةً أخرى
وفوق المعبد السامي ، سأبني في غدِ بيتي !

وصاح الطائر الثاني : خذوا في الحال عنواني
«سطوح سراية الفرسان - رودس - داخل الخيمة
هناك على عمود القصر سوف أشيد بنياني
فإني أعشق الأضواء ... إنني أعشق القمّة !

وزقزق طائرٌ : أزمير عندي الملجأ السّمح
أهيم بسقف مقهاها على كركرة الشيشة

وكل زبائن المقهى هم الحجاج ... والسبح
ولست أهاب من ضيفٍ عمامته وطربوشه ...

وصاحت بينهم أمّ : بعلبك كل آمالي
وعامًا إثر أعوامٍ أشد جناحي الطائر
وهذا العام يصحبني إلى الآثار أطفالي
فمذ شباوا وصفتُ لهم جمال المسكن الآخر

وتتم طائرٌ هرّمٌ : سأقصر من مسافاتي
وسوف أحط في «المالطة» فجسمي متعبٌ مرهق
على شرفاتها البيضاء أغفو طول أوقاتي
وتحت سمائها الزرقاء ... عند محيطها الأزرق

وردّد بينهم طيرٌ : أنا للدفء مشتاق
وإن الشرق يدعوني وقاهرتي وودايها
سأقبع في مآذنها ، وبني أمنٌ وإشراق
وأبني من ثراها الغصّ أعشاشًا تناغيها

وصاح أخيرهم : مهلاً ، أنا مشتاي في طيبة
ملوكٌ في جلال الصمت تحرس بهوها الطاهر

وفي التيجان أمكنة لعش الطير مثقوبة
فإن المجد يُغريني ... ويغزو قلبي الثائر

وصاح الجمع : كم بحرٍ سيطوينا ونطويه
وكم أرضٍ غداة غدٍ سنعبرها ... وكم أفقٍ
وغاب السرب عن عيني وأوغل في أمانيه
ولم يترك هنا في القلب غير لواعج الشوق

جناحًا : أيها العصفور كي أسري مع الراكب
أليس الشاعر الصّدّاح طيرًا في أغانيه
لماذا عن رحاب الأفق والأحلام والحب
لماذا قيده الأرضي يُبعده ... ويُقصيه ؟

■ ■ ذكريات

يا حبيبي قل لمن يسأل عني
دارت الأفلاكُ في أبراجها
إنني ما زلتُ في دور التمني
وأنما ما زلتُ للحب أغني
إنه كوني وأحلامي وفني
ذلك الحب الذي أهملتهُ

يا حبيبي لستُ أنسى زمنًا
في رياضٍ عانقتُ شمسَ الضحى
ساير الحبَّ خطانا فالتقينا
وهي في أفراحها تومي إلينا
كل ما لبس الدنيا في يدينا
يا لطيفين عليها هتفا

لستُ أنسى النيل والليل معًا
والصفاف السُمر في تجوالنا
وعيون البدر تهدي السائرين
تغمض العين وتُرخي الساعدين
وشربنا فغدونا توأمين
وجثونا فاغترفنا حفنةً

يا لها من ليلةٍ طفتُ بها
والجبين الحر في عليائه
غابة الشعر أغني للأمل
يفرش النور لسارٍ مرتحل
ثم يرسو فوق ميناء القبل
تحت أفقٍ ممطرٍ ينعي دجاء
رُبَّ ليلٍ مرَّ طيفان به
وفمي الغارق يطفو ساجًا

تَوَجَّهْتُ رَأْسِيهِمَا حَبَّاتُهُ
فَإِذَا اللَّيْلُ أَمَانٌ كُلُّهُ
كَيْفَ يَرْضَى ظَامِي حَرْمَانَهُ
كَيْفَ تَقْصِيهِ عَنِ الدُّنْيَا الَّتِي
طَالَمَا أَعْطَيْتَهُ حَقَّ الْهَوَى
وَجَلَسْتُ رُوحِيهِمَا كَفُّ الْمِيَاهِ
وَإِذَا الْأَمْطَارُ دَفءٌ وَحَيَاةٌ
بَعْدَ أَنْ أَسْقَتْهُ كَفَّكَ الْوَصَالَا
كَمْ عَلَيْهَا الْأَمْسُ قَدْ صَالَ وَجَالَا
فَهُوَ يَرْعَى فِي الْهَوَى حَقًّا حَلَالَا

■ ■ الفناء الخابي

هو جسمٌ مشوّهٌ مبتورٌ
وتمرُّ الأيام وهو طريحٌ
إنه جنّةٌ لفانوس نورٍ
وطوتهُ الرياحُ والريحُ كما
فتهاوى على الرصيف جريحًا
أفرغ الجوفُ ما به من ضلوعٍ
وغدا مهملاً فليس يداوي
لستُ أنساه حين كان منارًا
وجرى الطفل حوله في حبورٍ
ومشى عابراً الطريق جريئًا
ورنتُ أعين الصبايا إليه
لهف نفسي ! أهكذا الخير يفنى

في طريقي أراه حين أسير
فاقد الحسّ ، ضائعٌ مهجور
كان يومًا للكائنات ينير
الناس توالى السكون ثم ثور
قُرْحُ كل جسمه وبثور
فبدا الغيب وانجلي المستور
أويّواري عن عيننا ويغور
بالرضى الثرّ والعطاء يمور
وشدا فوق رأسه العصفور
حين نام الورى وخفّ العبور
وتضاحكن والضياء فخور
ويموت السنّا ... ويخبو النور؟

■ ■ نحن والزمن

إذا صادفتنا يوماً ستدهش حين تلقانا
فقد مرَّ الزمان بنا وأضحكنا وأبكانا
وجعدَّ وجهنا حيناً... وشيبَّ رأسنا آناً

سيلهمك اللقاء بنا قصيداً رائعاً حرّاً
ستحكي عن أمانينا وعن قصّتنا الكبرى
وتشدو فوق أطلال الهوى والأمس والذكرى

ستحكي أننا كنّا لفجر هواك أنواره
وكان جمالنا سحرّاً وكان الصوت قيثاره
وكان الوجه وردياً فصار رماد سيجاره

أجل! يجري الزمان بنا ولكن... لا نجاريه
فما زال الفؤاد يهيم في نجوى أمانيه
وإن الدهر لم يترك سواد غصونه فيه

أجل! مرَّ الزمان بنا ولكن خلف مبنانا

تحَدِّیناه آونةً وأهملناه أحياناً
وما كنّا علی صلةٍ به يوماً ولا كانا

■ ■ شتاء الحياة

أيهذا الشتاء مرحى ومرحى
 طال فينا تناقل الصيف حتى
 وسئمنا الوضوح فيه ومرأى
 وزهدنا في الجري والعبث
 وتلوننا النهار صفحة نورٍ
 وعبرنا الظلام ساعات حبِّ
 وبدا الدفء في العروق سدودًا
 يا شتاء الحياة والعمر مرحى
 أنت كنه النفوس أنت وأسرار
 فالغيوم التي بسطت همومٌ
 والرعود التي تدوي رغابٌ
 والأعاصيرُ قوَّةٌ تتحدَّى
 والغموضُ الحبيبُ يبعث كونا
 والغلالاتُ تستشف جمالًا
 كلُّ شيءٍ بغير سترٍ عقيمٍ

يا ليالي الشتاء يا مسراها
 قد مللنا الطيور في نجواها
 صور الكون تستعيد رؤاها
 اللاهي وزهر الربى وعطر نداها
 لا تضمَّ الجديد في معناها
 تافهات المنى برغم شذاها
 قد تعوق الدماء في مجراها
 خطوات الطريق أنت مداها
 هواها وضعفها وقواها
 أفرغتها الضلوع من مثواها
 ثائراتٌ تضحج من شكواها
 أن يعيش الذليل في دنياها
 من طيوفٍ تُشيرنا ذكراها
 ساحر اللمس ، حالمًا تيَّها
 ما عدا الروح في رحاب سماها

■ ■ منیاع

أنا فوق المقعد التائه في المقهى الكبير
وأمامي «هو» یرنو في انتشاءٍ وسرور
وعلى المائدة البيضاء كوبٌ من عصیر
لم یزل طعمٌ بحلقي خشنٌ منها ... مریر

هو یحكي شارحًا أيام بُعد وشقاء
وبقلبي - بعد نار الشوق - ثلجٌ وانطفاء
ساعةٌ تمضي ... وأخرى وأنا أصغي إليه
بینما عيني على الفنجان تنصب عليه
لست أدري أي إغراء به ... أيّ نداء ... !

فمن الطرف إلى القاع رسومٌ كالظلال
مثلها في الرأس مرسومٌ وفي عمق الخيال
أأنا أحببته هذا الذي یجلس قربي ؟
وعلى حلم لقاء اليوم كم هدهدتُ قلبي ؟
یا ضیاع العمر مني !! یا تفاهات اللیالي !

■ الحب الثاني

دمشق! بي لوعةٌ حيرى يؤججها
حبّ يشاركني حبي لأوطاني
مصرُ الحبيبةُ كم عاشت منعمة
بحبيّ البكر من أزمان أزماني
فرشتُ تحت خطاها الروح راضيةً
وعشتَ عمري أرهاها وترعاني
مالي أحس كأني اليوم عاشقةٌ
أهفو إليك على شوق وتحنان
أتيتُ أرضك والأحزان تُثقلني
فخفَّ قلبي واستروحت أحزاني
وفوق صدرك صدر الأم كم شربتُ
روحي الصفاء وكم جدّدت إيماني
«الغوطتان» ويا إغراء سحرهما
لو عشتُ ما صغتهُ في ألف ديوان
ونهرك العاشق المنساب في ضحك

ما زال یرفل فی أحلام نیشان
«وقاسیونک» ماذا حول هامته
أکلیل مجدک أم أضواء کیوان
ما زلت أذکر فی «الفردوس» رابیة
روحاً صعدتُ إلیها دون إنسانی
وبین «دمّ» فی أرجاء روضته
قرأتُ آیة خلاق وفنّان
مالي أمام جمال الشام من حوی
غیر الرضوخ لحبّ آخرٍ... ثان

■ ■ قلب الأم

يا رب عفوك إن اللغز حيرني
فهل أبوح ... وما في الدين إكراه؟
خلقت للأم قلبًا لست أفهمه
هل فيه منك؟ أخاف الجهر أخشاه
حوى السماء بما ازدانت وما حبت
ورقًا بالحب حتى شفّ مرآة
إن كان ثمة خير في عواطفنا
فمن يديه توالى ... من عطاياه
من أين يوهب في الآلام قوته
وكيف يبلغ رغم النوء مرساه
هو الحياة فما اسماك مبدعها
هو الوجود ... وأنت الله ... الله !!

■ ■ المنادية

يا أولاد الحلال !! بنتي الصغرى تاهت بالأمس
ضاعت منذ غروب الشمس
هي بنتٌ بيضاء البشرة ... غصّة
تلبس فستاناً في لونه الفضة
ولها قدمان من المرمر ... وشفاهٌ في طعن السكر
ابنةٌ عامين على الأكثر

غاب أبوها وتوارى خلف الأسوار
غاب وخلفني وحدي في الدار
غاب وخلفها تنعش أيامي المحزونة
وتبت بأعماقي دفناً ... ومني وسكينة

أنا من غير فتاتي روحٌ شاحبةٌ محمومة
اليأس الأكبر ينفث في همومه
أنا كالبلستان العاري في ليل شتاء
تلطمني الريح وتصفع أوراق الصفرَاء
أنا عشت العمر أراعيها وأراعيها

وعشقتُ الزهد ... فلم أطمع إلا فيها

يا ابنة خطواتي المكدودة أوحشت عيوني !

ليطلّ ضياؤك وليزحف فوق جبيني

وليدفق سيلاً عطرياً عبر سراييني

ألقيتُ بعبثي في نهر سنك المغدق

ومنحتك شوقي العارم يا للأشواق !

يا أولاد الحلال ... من شاهدها منكم ... ليقل !

وله عند الله ثواب ... هي تُدعى «بارقة أمل»

بارقة من أمل .. غاب

■ ■ السحرتي الإنسان

مثلما يسري فراشٌ فوق أكمّام الزهور
مثلما يبسطُ غصنٌ ظلّه فوق الغدير
مثلما يحملُ غابٌ سره عبر الدهور
هكذا قلب «السحرتي» إنه قلب كبير

ضمّ في جنبه كوناً مثل صنوف العاطفات
عشق الحسن وجوهاً وقلوباً وصفات
وارتدى الحقّ شعاراً باذلاً روحاً وذات
إنه قلبٌ كبيرٌ ضمّ أسرار الحياة

قلبهُ الفجريُّ لا يرضى له غير القمم
غير أن الفجر إذ يكشف أستار الظلم
فهو في الأفق غريبٌ تائهٌ بين السدم
وهو في الأفق جريحٌ ينزف الأضواء دم
إنه قلبٌ أبّيٌّ ونزیهٌ وعفيفٌ
وعلى الظلم جريءٌ وعنيفٌ وعنيفٌ

وهو في الجدمهيبٌ : وهو في المزح ألوف
وهو قلبٌ صادق الإحساس حرٌ وشريف

أیهَا الطارق الحیاة ملولاً
فی صباحٍ منعمٍ الأوتار
فم تقدم وسر علی الدرب حرّاً
ضاحک الوجه فی سنی الأنوار
وامض فی رحلة النهار فتیّاً
فی شموخٍ وعزّةٍ واقترار
واغز هذا النهار بالعمل المتقن
حتى تفوز بالاکبار
واغز هذا النهار بالأمل الحلو
ونور الیقین والإصرار
فإذا ما التقيت بالیأس حیناً
فتغلّب علیه بالإنکار
وإذا ما التقيت باللیل حیناً
فانتزع منه ألف ألف نهار
کن مضيئاً كمقلّة الشمس بشّاً
كمحيّاً الضفاف والأنهار

كن رقيقًا ثمر الوداعة غصًا
مثل قطر الندى وعود الثمار
وارهف السمع فالطبيعة تتلو
لك أغلى اللحون والأشعار
ولتكن زهرة تفيض عيبرًا
في نفوس من الحنان قفار
وابتسم ابتسم رضاءً وحبًا
فابتسام النفوس كالأمطار
تبعث الروح في الجديب من الأرض
وتكسو الذبول ثوب نضار
لا تعد السنين ، لا تحسب العمر
فليس الشباب بالأعمار
إن قلبًا حوى الطبيعة يومًا
لهو طيرٌ يشدو مع الأطيّار
قمّ تقدم وسرّ على الدرب حرًا
وتوكل على الإله الباري

■ ■ الإبرارة

على قطعةٍ من ترابٍ خصبٍ ببستان بيتي ترف شجيرته
أمامي ، ورائي ، ومن كل ركنٍ أراها تحديق في كل حجرة
تميل على شرفتي بانداغ وفي نزيق كالغلام المراهق
وبالعين - عين تجيد البراءة - تتبع خطوي هنا وتلاحق
هنالك فجرٌ على رأسها وهمسٌ بأعماقها أبدي
ومملكةٌ تحت أقدامها وسجادةٌ من شذا مخملي
وحريةٌ في انطلاق الفضاء وتسليّةٌ في غناء الطيور
وقدسيةٌ في سكون المساء ورعشان حبٌ وأحلام نور

تفكر؟ وي! قد تفكر حيناً... وقد تتألم مثل البشر
وفي عبثٍ قد تمدّ الذراع ، تداعب أنثى وتغري النظر
تُحسّ... أجل.. قد تحسّ الحياة وتُحرقها الشمس في القاهرة
وتعشق ، حين تحب ، المياه ، وتهوي ينابيعها الطافرة
وكم ذا عشقت شذاها الرقيق وأوراق أغصانها الوارفة
ولكنني كم أسائل نفسي : لماذا تظّل هنا واقفة ؟
وقارنتُ بيني وبين الشجر... وبين الوقوف وبين المسير
وأحسستُ زهواً تحدى القدر... لأنني أسير... لأنني أسير

■ ■ في مهب الريح

الشهر العاشر ... والجو دفيء ...
والدرب على الضفتين ... مضيء
لا شيء سوى ورقة ... شاحبة الوجه منطلقة
تجري في نبلٍ ووقار
وكان بها شبه دوار
تتمرغ فوق الأسفلت ... وأكف الريح تطيرها
فتحط على الإفريز ... وتنام على عتبة بيت ...
وهي وإن كانت في تيهٍ وضياح
فبعينها حب استطلاع
واستهزاءً بالحظ ... وبالصدفة ...
وضياءً مجهولاً مبهم
فعلى عتاب الليل المظلم
الميت قد يترك خلفه
شيئاً يتحدى ويثور
ها هي ذي تقفز وتدور
ومع الدوران المتشجج ... تتدحرج ...
ملاى بالطيبة ... مزهوة ...
والموت الفارد أذرعه نحو الهوة

في وحشية ... يحتفظ لها بالعدرية ...

وسألتُ الورقة : يا مسكينة ؟

كيف رضخت لأقدارٍ مجنونة ؟

كيف تركت الهمس الساري في أحضان الروضة ...

والجدول ... حيث تعب شفاهاك ذوب الفضة

وصدى الليل الحالم يشدو بالأشواق

وبعدت عن الأسرار الحلوة ... أسرار العشاق ...

والآن إلى أين تسيرين ... إلى أيننا ؟

تطوين الكونا ...

فأفاقت تلك المنبטحة كالبلهاء ...

وهزّت كتفيها ...

وأجابت ... وظلال الحيرة في عينيها ...

« أنا لا أعلم ... لكنني ..

حيث الأشياء على أرضي ...

تمضي ... أمضي»

■ ■ حنان الأمومة

«أبغض الحلال عند الله الطلاق»

رفرف الليل علينا في سكونِ كالملاك
دعُ يدينا يا قريني في انضمامٍ واشتباك
وعلى فرش الأمانى بُح بأسرار هواك
فإذا شاهدتَ في عيني شرودًا وارتباك
اغتفر لي سر حزني ، من ترى يحنو سواك
إنني في حضنك الغالي ... ولكني هناك
إنه طفلي يناديني بعيدًا ... وبعيدًا
«آه ماما .. آه ماما ... إنني أغفو وحيدًا»

إنه طفلي ينادي وأنا أصغي شريفة
ها أنا أرقد وحدي آه يا ماما العنيدة
كيف ترضين فراقى ، كيف تحيين سعيدة
إنني أشعر جوعًا وعراءً وبرودة
وأرى في حجرتي السوداء أشباحًا مديدة
وأبى في الحجرة الأخرى مع الزوج الجديدة
إنه طفلي يناديني بعيدًا وبعيدًا
آه ماما .. آه ماما ... إنني أغفو وحيدًا

إنني أخطأت في حقك يا نور حياتي
جتتني زوجًا وفيًا ، جتتني شطّ نجاتي
كنتُ أطوي تحت ثوب العرس أشلاء رفاتي
فاغفر الآن شرودي اغتفر لي ذكرياتي
ها أنا في حضنك الغالي ولكنّ ... أين ذاتي ؟
إنه طفلي يناديني بعيدًا وبعيدًا
آه ماما .. آه ماما ... إنني أغفو وحيدًا

■ ■ وقال القمر

وذاث مساءً رأيتُ القمر
وكان على أفقه يحتضر
وما كان فوق الطريق سواء
ووقع خطاي ... وطيف القدر
وكان المساء شريحة ثلجٍ معلق
لمست صداه طيورًا تحلق
بأعشاشها ... ويدون جناح ...
لمستُ صداه طنين ذبابٍ يناغي الجراح ...
لمستُ صداه لحومًا طرية ... كحبة ...
تحسن بطون الثرى في الخفاء
وتقرع بالذيل باب السماء
لمست الصدى وترقداً تلوى وجن ألم
وذاث عدم ... وأما القمر ...
فقد كان وجهًا بغير صور
وكانت هناك غيومٌ كثيرة ... تخبئ نوره ...
ولما رأني أبحث عنه وأرثي الضياء
تربع في جلسة الكبرياء ... وشرع في مقلتي مقلتيه
فأمهلتُ خطوي لأصغي إليه ... وقال

محال محالٌ یصیب ضیائی الجمود
فمن هاهنا مر روح الوجود وسر بلني بالحياة
ولون من ناظري المياہ ... ورقرق عطري في نشوة ...
تراشف إكسیرها العاشقان ...
وطوق عمري في وحدةٍ ... تضم الزمان
وهدهد أنفاسي الناعمات شراعًا بنهر الخيال
تعادى على ضفته الهوى واستحم الجمال

وكنت الضحية ... أسیر ... وباللور كأسی يدور
وحمام وجهي مياہ الغدير ... وما كان لي عندكم من رجاء
سوى حفرة في الوجود عميقة ...
لكي يستقر عليها الضياء ... وتبدو الحقيقة ...
بلا عرق في ثراها قذرٌ ... بغير سموم نفاق البشر
ومر الزمنٌ ... وأقسى عذاب ضیاع الأمانی
بغير ثمن ... ورغم الجراح أحب الأمل ...
وأجهل معنى الملل ... وتضحك سخرية مقلتاي ...
فهيهات تجرين خلف خطاي
لأن الضياء ینادي الضياء ...
فهيا انفض الغيم عن ناظريك ... تحدّی القدر ...

لتستمتعي ... يا فتاة الظلام ...
بضوء القمر !!



(6)

العودة إلى المحارة

.....



الإهداء

منذ خمسة وعشرين عاماً أهديت ديواني الأول
«اللحن الباكي» إلى ولدي الوحيد الذي لا
يدرك أنني أمه ، ومرّت الأعوام وتوالت الأحداث
على وطني الحبيب ، وكانت مشاعري الفياضة
تلزمني أن أهدي كل ديوان يصدر لي بعد ذلك
إلى مصرنا الحبيبة .

واليوم وقد استتبت الأمور ، ورفرف السلام على
ربوع الوطن .

اليوم وقد أرهقني المسير ، وقبل أن أبلغ
المنحنى، ويتلاشى الظل .

أهدي إليك أنت - ابنتي الوحيدة - هذا الديوان .

إنه صفحات قلب يزخر بالحب لك والإيمان بالله
عز وجل .

والدتك جليلة رضا

عضو لجنتي الشعر

بالمجلس القومي - والمجلس الأعلى للثقافة

■ ■ حاملة السلة

إلیک ... فسلتی ملأی بكل عیبر وجدانی
إلیک الیوم أهدیها علی نأی وهجران
سهرت اللیل أرسمها أحدد من زواياها
وأغلق تحتها قاعًا ... وأفتح فوقها فاهها
وفي صبر جدلت الخوص من عرقی وشریانی

وحنین ضفرتها لدنت بطیب رشاش أنفاسی
وتوجت الجبین الحر من عرقی ومن ماسی
وثبت الجوانب بالضلوع ، نزعته أضلاعی
ورحت أزم أعینها لکی أخفی مدى القاع
وقلت : إلیک أهدیها فتلك ثمار أغراسی

وكنت ملأها وردًا یموج بعطر أحزانی
بأنات الریاح الهوج فوق بحار أزماني
برجع صدی سرادیبی الطویلة فی ممراتی

فلم أملاً سوى نفسي ولم أجمع سوى ذاتي
ولم أقطف لك الأزهار من بستان جيرانِي

وكنت فرشت آمالي بداخل سلتي الحلوة
وسرلني الهوى بالنور ، أعطاني الهوى قوة
فإن الحب دللني ولم يسخر بأسمالي
فكم غنى مع الصرصور حول فراشي البالي
وكم رقصت خطاه على ديب خطاي مزهوة

وحين ملأتها حتى بدت للعين مكتملة
وأضفى السائل القاني على أعطافها ظله
طرقت الباب أستجديك تقبلها بما فيها
فقد طفر الهوى منها ، تقاطر من حوافيها
طرقت الباب في عزمٍ ... وجئتك أحمل السلة ..!

■ ■ حوار مع النفس

دقت الساعة نصف الليل ... هيا للرحيل
اهبطي الوادي ومري بين هاتيك السهول
ثم سيري في مسافاتي ولا تخشى هواني
وانظري هل من غريب جاءنا عبر الزمان
إن يكن ... فلتطريه ... فهو يا نفسي دخيل

إن سهلي فيه أشجار كثيفات الظلال
إنها تمتص آفاقي وتستدني خيالي
ثمري يا نفس عن ساقيك حتى تصعديها
وارفعي الساعد، هيا شذبيها ... شذبيها
آه ما أقسى الطفيليات في روض الجمال !

هاهنا جذع عقيم يتحدى في العراء
وهنا قشر سقيم وغصون في التواء
إن تكلي فابترئها فهي سم في العروق

إن عندي معولي الدامي ومنشاري الدقيق
إن تكن آلات هدم ... فهي آلات بناء ...

انتهينا ... لا تخافي الآن من نزع الجراح
فغدا في كل غصن سنرى ألف جناح
إن تكوني قد ملأت الآن سهلي بالضحايا
أنت قد طهرت أنفاسًا وضوأت حنايا
فاصعدي واديك جذلي ، ثم نامي للصباح !..

■ ■ حین أراک

أنا حین أراک أحس الأشياء السهلة
أمنح كل عذابات حیاتی ... مهلة
أكسر مرآتی ... أرجع طفلة
أهجر عاداتی ... أعتزل اليأس
أغلق أبواب مغاراتی الجلیلة
أقفز من فوق النافذة الخفیة
لأسیر أمام الشمس ...
أرتكز علیك

أنا حین أراک أجوب بساتینی اللغویة
أسخدم كل الأنوال
لأحوك فساتینی اللفظیة ...
فی حجم الأفعال.
ولکی تبدو ناصعة ، ملساء ، نقیة ...
أتحاشی الخدش ، أتلافی اللمس ...

وأزركش كل زواياها بخيوط الهمس ...
كي تبهر ... عينيك

أنا حين أراك أصد رياح الرغبات
أنطلق بعيداً ... أتحرر من جو الغابات
أبعد أقدامي عن أقدار الشارع
أكتشف خطورة معنى العمر الضائع
أغلق قلبي كالرسم ...
حتى لا تختلط عليه الأصوات.
أنفض عبئي ، أفرد ظهري ، أفرغ فوق الدرب الكأس
كي أصل إليك ..

أنا حين أراك أضم الأضداد الموصولة
أستوعب معنى العيش ومعنى الموت بيسر وسهولة
أستوعب معنى الراحة كيف تكون وكيف تُحس
من أوهى رمش في الأعين يهتز فيكشف أسراره
من أصغر طرف في الأصبع حين يمس
كتفًا منهارة ...

ویحیل الـنفس ...

قـدرًا بـین یـدیک ...

أنا حين أراك أهد الهيكل ، أهزأ بالتقربان

أستأصل من قلبي أغلظ ، أقوى ، أطول شريان

أنزع من قلبي شريان الأم

أدعو نفسي في مأدبة العمي ، الصم

أشرب من كأس السلوى والغفلة والنسيان

فإذا ودعتك في صمت ورجعت إلى الأمس

أعطيتك زهري وحليي وثياب العرس ...

كودائع تُدخر لـدیک ...

■ التجربة الكبرى

يا قلب! يا شيخي الذي نهلت
شفتاه كل منابع الخبرة
كم خضت تجربة... وتجربة
ومشيت فوق الشوك والزهرة
وعبدت آلهة... وآلهة
سقطت مع الأزميل منكسرة
ولبست أقنعة مزيفة
أخفت وراء ستارها الفكرة
وشربت كأس الحب طافرة
حتى الشمال... عذبة، مرة
أتري التجارب كلها فرغت
لم يبق في ينبوعها قطرة؟

يا قلب، يا طيري الذي سبحت

أحلامه فی الأفق متشجرة
جريت كل أمور عالمنا
وسبرت غور السهلة الوعة
أودعت سرك مقمراً ألقا
وكشفت أنت مع الضحى سره
وعلوت بحرًا واعيًا حذرًا
ولقطت من أعماقه درره
وترنحت قدامك في وهن
فسقطت كالمخمور في الحفرة
أتري فرغت من التجارب أم
لما تزل تبلوك متصيرة؟

يا قلب، يانيري الذي دقت
أمواجه بالأمس منهمرة
كم عاصف ناداك ملتئمًا
عانتته بمشاعر حذرة
أرغيت ثم هدرت منطلقًا
وعبرت كل جسورك الخطرة
واليوم كم تنساب في دعة

وبخطوة مأمونة ... حرة
أترى التجارب كلها فرغت؟
لا ... والتي في الغيب مستترة
عند المصعب هناك تجربة
كبيرة ... تعد خطاك منتظرة ... !

■ ■ ■ مأساة عصفورة

مساء الخیر یا أختی ، مساء الخیر یا جارة
وقفت هنا على الشباك أستجديک منهارة
فهل ترضین أن تصغی بلا ضیق إلى ألمی
وترتاحین أونة من الأوراق والقلم
وتستمعین فی عطفٍ إلى شکواي یا جارة؟

لقد غادرت أبنائی لأعلوا الآفاق مسرورة
فرغم أمومتی - کما تدرین - عصفورة
أجل حلقت فی الآفاق صاعدة ومنحدرة
وحن رجعت بعد العصر لم أعر على الشجرة
فأین أریح أجنحتی وأین أنام یا جاره؟

وحن رجعت یا ویحی ولم أعر على بیتی
رأیت على الثرى شبحا تمدد فی دجى الصمت
فکیف وکیف یا أختی؟ وأنت أمامها دهرًا
سمحت لساعد الحطاب أن یغتالها قهرًا
ویذبح کائنًا حیًا أوی الأحياء یا جارة

لقد كانت لأبنائي مع الأحلام أرجوحة
وكل وعودها كانت لهم بالأمس ممنوحة
وكانت بالثياب الخضرة تحميهم من العين
وتعقد ندوة في الليل بين الغصن والغصن
فيستمعون للأسرار منسجمين يا جارة

وهم كانوا سكارى من كؤوس نسيمها الصافي
ومن خمر الشذا والطل في أصباحها الوافي
وكانوا يرمقون الأفق في نظرات مبهور
وينتظرون مسراهم بأجنحة من النور
فأين الآن أبنائي؟ وأين العش يا جارة؟

أجيبني ... هل أعيد اليوم إشعال الهوى الخابي
وأرفع رأسي المنكوس فوق رفات أحبابي
وأنسى قسوة الماضي وأصنع لي «غداً» مزهو
وأبني هاهنا عشاً على شباكك الأخضر
أجيبني ، إنني حيرى ، أريد الحل يا جارة !

■ ■ ■ عندما یموت الشاعر

ماذا یحدث فی الخارج لو أن الشمعة فی الحجره
ذابت قبل طلوع الفجر؟
هل یتأخر موعد مولد بذرة؟
هل یقطع هذا الحادث أحلام الطیر؟
هل یتوقف ماء الجذع عن السریان؟
هل ینقلب المیزان؟
أیحد اللبالب خطاه؟
هل یتدخل عرش الله؟
أیظل اللیل بغیر نهار؟
یُخمد فی اللیل صفر قطار؟
تتحلل كل الذرات؟
هل تُنکس أعلام الأوطان؟
هل تخطئ فی العد الساعات؟
واحد.... خمسة... اثنان...

لا شيء ... ولكن في الداخل تتغير كل الأزمان
تفنى الياء ... وتفنى السين ... وتبقى ال ... كان
يفنى الخير ... ويفنى الشر
تفنى أدوات النصب وكل حروف الجر
تخرس ألسنة الصفحات وتمحى اللمسة
تهرب من ثقب الباب الأسماء الخمسة
يرتاح القلم أخيراً من قيد الإبهام
يمشي الخفان ... بلا أقدم
يرتفع الرأس المتخفي في صدر الأحزان
ينقطع أنين الصور المصلوبة فوق الجدران
يتجمد نهر الشمع ... تذوب الأضواء
تُغشى القاعة ... والاسـتثناء!

■ ■ الشاعرة والفكرة

تعالی أننی یقظی أجوب البیت فی حیره
ونام الناس لکنی ساطوی اللیل منتظرة
ترکتک منذ آیام لتکتشفی رؤی الکنون
وأطلقت الجناح الحرنحو عرائس الفن
تعالی والمسی کتفی وعودی الآن... یافكرة

ترکُتکِ تعبیرین البحر نحو الضفة الأخری
ترى أعرفت سر الغاب ، سر النجمة الحیری
ترى أضمتِ - سیدی - ضیاء قبل الوردة
وهل حُملتِ أعماقاً وظلاً یؤنس العودة
وهل هبط الجناح علی جبال عوالمی الکبری ؟

ترى أشربت من نبع رحیب الصدر مغدق
وهل حلقت فی أفق یفوق مداه آفاقی
وهل أوغلت سادرة وراء الغیهب المبهم

وعريت الهوى المستور تحت جوانح البرعم
تعالى ، إنني يقظى ، معي قلمي وأوراقى !

تعالى وامنحيني الوحي في صدق وحرية
تعالى وارسمي للعقل لوحة فنه الحية
سأبدأ رحلة الكلمات والتصوير والمعنى
سأسبح في بحار التيه ، أغزو الكيف والأينا
سأدخل معملي السحري حيث أشيد أغنية !

■ ■ آسفة

وأیت ... خلّتك آتیا تحمي الحمى من كل عین
ورشفتُ من كأس المحبة قطرة ... أو قطرتین
وشعرتُ بالسم البطيء فقلت : أین أفر ... أین
ورجت أبوابی الوثيقة بالضلوع ... وبالیدین

فلقد وثبت إلى المداخل دون إنذار وحجة
وفتحت صندوق الجواهر كاللصوص بغير ضجة
ونثرت جوف المحتوی فوق الثرى ذهبًا ولجة
فخوی ... ولست ملومة .. أنت الذي أطفأت سرجه

ولقد أیت سوى التوغل في سراديبی الخفية
ورصدت مثل الديدبان المنحنى والمشرية
ومضيت تلتقط القواقع من بحارى اللؤلؤية
وقرأت أمسى وارثًا يتلو بامعان وصية !

ولقد غزوت الروض في جنح الدجى وأبحت عرشه
وخذشت حرمة ساكنيه فأن في قلق ورعشة
ووطأت أعشابى الأيبة وهي بالأنداء هشة
فأنفض عُشي ... لم أزل أحنى الخطى للألم قشة !

ورجعتُ واللحن السجين يضم حراً معزفه
والنفس تقتلع السحائب من سماء المعرفة
فأنالديَّ عوالمى ... لي عاطفاتي المرهفة
وأنا أعزك إنما لست المحبة ... أسفة !

■ ■ الدمعة السجينة

اهبطي ... اهبطي وكوني سـخية
واسـتقري فوق السـفوح النـدية
أبـن يـا دـمعتي العـنيدـة عمـر
عـشـتُ فـيـه مـع اللـقـاء هـنـيـة
كـلـمـا ... کـلـمـا تـرـقـرقت نـشـوى
وعـبـرت المسـار بـ الخـفـيـة
واعـتـزمت الـهـروب مـن ظـلمـة
الـکـهـف سـجـيناً هـفـاً إلی الحـريـة
وتـرددت فـي هـبـوطـک حـيـرى
فارتـفقت المشـارف الـهـديـة
وتـدحرجت جـمـرة تـلـظـى
وحصاة عـلى فـمـي مـلـحـيـة
ثم أرخيت للـفـناء زماً ما
وتـلـاشـيت فـي يـديّ ضـحـيـة
کـلـمـا زرتـني ولـامـست خـدي

وتألقـتِ نجمـة فضـية
صـفقت للقاء أجنحة الروح
ونامت أحزانها البشرية
واسستحم الفؤاد في نبعك
الصافي وأرخى أعصابه الدموية
وتعـرى من الهموم وليـدا
وتجلى قطيفة مخملية
وتغني عـلى لقاءك حـرا
وتعني ... وبـالها أغنية!

فتعالي ... يادمعة في عيوني
تتأبى ... عنيـدة وعصية
إن روضي مستوحش وجديـب
والمماشي مصفرة رملية
فاعبري من خلال قضبانه السود
ورفي كنسمة فجريـة
رطبي ... رطبي جفاف زهوري
وأعيـدي دماءها الوردية

واسکبی طلبک النقی علیها
وأریقنی عطی — ورك القدسیة

لست ضعیفاً ولست دمعیة ذل
بل أباء وكبریاء... حیة
یا لکنز من الصفاء دفین
یا لنبع من راحة نفسیة
أنت ریحٌ تطوی الهشیم وثُبقی
فی ریاضی... علی جذوعی القویة؟

■ ■ من أجل كلمة

ساءلني صاحبُ كلمات في لوحة عمري محفورة
ساءلني وهو يحيني بيد ترتعش كعصفورة
وبصوت أعلى من كنز ذهبي فضي الرنة
صوت في الماضي أغراني أن أعبر بصداه الجنة
ساءلني وهو يناولني من غصن في الروضة ورده
بيضاء كأنفاس صباح ، تبسم في بشر ومودة
ساءلني : كم عام ولي وأنا مغلول الخطوات
أتساءل ما سر بعادك ؟ أسكب عن بعد كلماتي
أتراكِ كرهتِ الكلمات ... ؟

سكن الصوت وقلبي لم يزل يطوي جوابه
بغته ... حطت على الوردية في كفي ... «ذبابه»
لم تشووها فقد مرت على الوجه كنسمة
إنما رفت جناحًا ... وانثنت تطبع لثمه

ترکت فیها هو اننا كنت أدري ما مداه
ترکت حسناً زهیداً... وبقایا من حیاة

فأجبتُ : أیا أجمل عمري ، یا رغبة أمسي المسمومة
أنا أهوى الكلمة لكني ... أخشى لدغتها المسمومة
قد صغت الكلمة مزهواً ... وعلوت بها نحو القمة
لكنك لم تدرك يوماً ما تصنع في الناس الكلمة
قد يحدث أن تجري الكلمة من ثغر حبيب يراها
وتمر الأيام وتمضي ، والكلمة تأخذ مجراها
تنغرس الكلمة في ركن من قلب العاشقة المرحة
تنغرس وتنبت وتكوّن بسنان مخالبتها ... «قرحة»
وتقول كرهت الكلمات ؟

وافترقنا ... والهوى يبكي بلا صوت علينا
والضیاع المریدو في تحیات یدینا
وانطلقنا ... كل خطو موغلٌ في لا مكان
هو في الذكري ، وخطوى في متاهات الزمان
ومضينا ... كل قلب مثقل ... يحمل همه
هو ... من أجل غروري ... وأنا ... من أجل كلمة !

■ ■ إلى شجرة

أرجوك ، لا تقفني أمامي في فضول قاتل
لا تسأليني كيف جئت ومن أنا ... لا تسألني
فلسوف أمنحك الحقيقة ، فاستعدي لاستماعي
ولسوف أنتزع القناع لكي أراك بلا قناع
ولسوف أحكي الآن سر تطفلي ... فتمهلي

أنا جئت في هذا المساء لكي أعيش مع المساء
أتبع الأشياء وهي تفر من وجه الضياء
إني أتيت أفاجئ الصمت المعشش في الشجر
وأنام عند الجزع راضية كما يغفو الثمر
فلقد تعبتُ من التخيل والتمني ... والرجاء

أنا ليس لي في البيت ركن كي أنام على فراشي
كل الرغاب هناك تحتل المقاعد والمماشى
رغبات أعوامي الطوال قبعن في بيتي حيارى

ومشين في الحجرات جيشًا ظامئًا يطوي الصحاري
ولذا أتيت مع المساء لأستريح لها التلاشي

أنا جئت يا نبع الصفاء لكي أعيش مع السكون
لكنتني ما كدت أجتاز الربي ... تحت الغصون
حتى سمعتك تصرخين وتصرخين على التيع
ما هذه الضوضاء تبعثها الطيور بلا انقطاع
فلتسكتي أبناءك المتهورين الطائشين !

ماذا بهم هذا المساء فقد تمادوا في الصباح
أيكون هذا الليل عند الطير ليس له صباح
أم ياترى جُنوا بذكر الحب فاعتزلوا الرقاد
وتقاسموا الآمال والأحلام في ظل السهاد
ويحي ! فررت من الجراح لكي أضم هنا الجراح

أنالي لديك كما لهم ركنٌ بحضنك يا شجيرة
أنالي هنا حق التعب داهبًا قد جاء ديره
أنالي التوغل في دجاك ولي التأمل في فضائك
أنالي الذي قد طرزته يد الطبيعة في رداك

أوليس لي قلب كقلبك ناعم مثل البحيرة؟

أوليس بي شوق الطيور وفي دمي سر الخميطة
ومني كأوراق الغصون تمدي كفا ظليطة
هي كلها أحلام قلب مرهف عشق الجمال
هي كلها أحلام قلب يحتسي كأس الخيال
حسبي أحس بها تعيش وإن تراءت مستحيلطة

■ ■ الطاوس

وداعًا ، إنني أهواك في بعدي وفي قربي
وداعًا ، رغم هذا البعد سوف تعيش في قلبي
وداعًا ، لست ناسية ... فأنت زماني الأجل
وأنت اللحن والقيثار ... أنت الفيء والمنهل
أجل ، أهواك لكنني برمتُ بذلك الحبّ ...

أجل ، أهواك لكنني أعاف أكون صلصالاً
لتصنعني كما تصبو على كفيك تمثالاً
فلم تُشعل يد فجري ولم تنبت يد غرسي
ولم أينع من الأحضان والقبلات والكأس
فعندي كبرياء الخلق أحوالاً وأفعالاً

أجل ، أهواك لكنني أحب طبيعة الغابة
ففي حرية الغابات تسري الروح مناسبة
وفي حرية الغابات عاش الكائن الأول
ونام على أكف الورد ، جرح وجنة الجدول

فلا الأشجار لامتهُ.... ولا قطر الندي عابه ...

أجل أهواك لكنني أحب كرامتي أكثر
أحب البئر في الصحراء لا في الروح والجوهر
وأهوى ضحكة الشباك لا تقطيع الكوة
وأخلع كل أقنعتي أمام الكلمة الحلوة
وتحت النصل - لورايت حق مشاعري - أعبر

وداعاً سيدي المغرور ، يا طاووسي الزاهي
وداعاً يا انبهار العين ، يا إعجابي الواهي
وداعاً حيث لا أحيأ ألبني رغبة الأمر
وحيث البعد يحمي الشطّ من طوفانك الغامر
فإن الحب إعطاء وأخذ ... دون إكراه ...

■ ■ المباح فی القاهرة

الصبح فی ظل الحدائق عند أطراف المدينة
الصبح منفعل هناك وثنائر مل السکينة
وغزا الرياض محرراً أرواح دنياها السجينة

لکن قلب مدینتی عند الصباح الباكر
یبدو كمسلوب الإرادة دون حس شاعر
والضوء یطرق بابه متهیّبا كالزائر

فلقد تفتحت النوافذ بعد أن طال الظلام
وبكل حانوت بدا رجلٌ تراخی كالنیام
والناس أشباح تمر بلا ضجيج أو كلام

وعلى الرصيف فتى تأبط سلة الخبز العتيقة
وخطى عجوزٍ عائد من مسجد يطوي طريقه
وصبية... وأنا «فول» فوق راحتها الرقيقة

الكل يبدو ناسياً متناسياً يوم الصراع
ما زالت الرغبات فيه ضريرة وبلا شعاع

والروح خاوية المنى ، والنفس عارية القناع

لم تعزف الأوتار بعد لحونها ، لم تنطلق
لم تغلِ بعد مع النهار دماؤهم لم تنبثق
لا لم يسل عرق الكفاح على الجبين المحترق

لم يبدأ الحقد البغيض ولا العداوات المريرة
لم يبدأ الود المنافق والمجاملة الحقيرة
لم يحمل الإنسان بعد على مناكبه شروره

هي فترة من عمق قاهرتي تمر بلا قرار
ما بين أحلام المساء وبين أعباء النهار
هي هدنة وستنتهي ... هي وقت صمت وانتظار !

■ ■ المقعد الخالي

يا لهذا المقعد الخالي وكم يبدو حزينًا
إنه ما زال للأمس وفيًا وأمينًا
لم يزل يهفو إلى من كان يسترخي عليه
للذي عشرين عامًا عاشها بين يديه
إنه يطوي لمن غاب اشتياقًا وحنينًا

ذلك المقعد يبدو ساهمًا ، جهمًا ، ملولًا
مذنانيناه بعيدًا صار منبوذًا ذليلاً
غير أن المقعد المحزون يستهوي شجوني
فأناغيه على همس ولمس وأنين
ويناجيني طويلاً وطويلاً ... وطويلاً

مهبط الوحي ! ويا هوة شمس المغرب
إيه يا عرش مليكي ووساد المتعب
كنت للغائب دنيا من أمان وسلام
كنت حصناً قد تحدى فيك إعصار الظلام
كنت مأوى عقله الحر وسجن المذنب

كم هنا استنجد يوماً بجناحك وحلق
ورأى الظلمة نوراً ورأى المغرب مشرق
مستحمًا في أثير من شذا الأوهام بكر
راكبًا صهوة خيل ، عابرًا أقواس نصر
ثم أخفى في حناياك فؤادًا يتمزق

ذلك الجسم الذي كان هنا أين توارى
أين ولى وتلاشى تاركًا كونًا ودارًا
يا لسخرية عيشي ! يا تفاهات وجودي
أو يمسي الفرد منا مضغعة في حلق دود
والجماد الصلب باقٍ ... يتحدانا جهارًا !

ذلك الجسم الذي كان هنا فوق الحشايا
لم تزل منه على الظهر وللذكرى بقايا
فجوات وندوب في حنايا المسند
أيها الأحياء مهلاً ... فجراح المقعد
إنها منكم ومني ... فهي آثار الضحايا ...

مخزن الذکری ویا من شارك الراحل زاده
كان فی حضنك قلبًا نابضًا یهوی بلاده
كان فی حضنك شیخًا فیلسوفًا وحکیمًا
كان فی حضنك ضیفًا قلق الروح سقیمًا
ثم ولی عنك یومًا... مؤثرًا حضن «سواده»!

■ ■ من أجل

من أجلك قضيت حياتي وأنا في الأسر
أقتطع الأحجار الصلبة ، أحملها فوق الظهر
الموت العشرون أتاني وأنا حية
أتمشى بين الأطلال
أبلع في نهمٍ وشهية ...
العسل المر وأرفل في الأغلال
فالقيد بلا كره حريّة
ولأجل أمانيك النفسية
أطبقت عيوننا وشفاه
وكتمت الآه ...

من أجلك هاجرت إلى أرض المنفى والنسيان
ورفعتُ العلم الأبيض في الميدان
ووقفتُ بآخر صف للشعراء
أتجنب ضواء الأضواء
أتجنب زهو الفن ، غرور الفن

لأقبيك من الغيرة الظن
وتلفعت بشال مغزول من وير الأغنام
وحلبت الأبقار وأوقدت الأفران
ومالأت الأبطن والأفواه
وبلا إكراه ...

من أجلك صاحبت الغرباء
أبرمت معاهدة الصلح مع الأعداء
ولكيلا تطفو فوق السطح
ولكيلا أنبش فيك الجرح
ولكي تحيا في البيت السيد والربان
أخفيت عليك شعور الأم مع الأبناء
ولبست قناع الصحة... وارىت الداء
ومنحتك في العش الهادئ كل أمان
ورضيت بما قسم الله
لك من الله...

■ ■ جاء الخريف

أتاك اليوم يا قلبي خريفٌ آخر قاس
كأنك لم تعد تشكو على الدنيا من الناس
أتى كاللص منفلتًا ليغزو شرفة الدار
وهاهي أضلع الأبواب تلطمها يد الريح
فدنياها وتقصبيها وتسخر بالمفاتيح
وتجثم فوق أنفاسي كوحش كاسر ضاري

أتى ليلوم روضتنا على إسرافها الفاضح
ليخنق في مماشيتها فراشات الهوى الجامح
ويحرم نحلها الفضي من ترنيمه الرغبة
وينضو عن خميلتنا ثياب العز والفخر
ويبكيها كمحبوب يودعنا إلى القبر
أنى ليصب في ثغر الزهور مرارة الخيبة

أتاك مهرولاً يخفي شتاء خلف خطواته
وهذا الآخر الآتي سيقلقنا بأهاته
ولكن لا تخف قلبي فإنك في حمى كهفي
ستحملنا أكف الدار نحو الأمن والقوة

بعیداً عن شفا جرف ، بعیداً عن دجى هوه
فأغلی من كنوز الأرض أن تحیا بلا خوف

ستحتفل الیدیار غداً بعودة غائب مذنب
ستفسح قرب موقدها لحلمك ركنها الأرحب
غداً ستلامس الأشياء حتى الرعشة الكبرى
أبیاً ، عاریاً ، حرّاً ، بغير قناعك الأسود
وحيث الساعة الیقظی تزف جلاله الموعد
وحيث العطر یسري من خلال ستائر الذکری

غداً ستضمك الجدران في أحضانها الغضة
ستبحر من زواياها على سفن من الفضة
ومن أعماقك الخضراء یطفو نبعك الوائب
ویورق فيك أغنية الربیع الدافئ الإیقاع
فتنشرها وتطويها بأفاق المدى والقاع
وتغدو الطفل والعملاق والعرييد والراهب

■ ■ عيد الربيع

عيد الربيع وأي عيد ربيع
والأفق ينزف داميًا كصرير
غضبان أنت وحنق متذمر
متحجر، باك بغير دموع
تلك الرياح الخائقات أخالها
أنفاس جن راکض مدفوع
أين الطفولة في سنك سعيدة
تغزو الرياض بشدوها المسموع
يا ويح قلبك أيها العيد الذي
حنت إليه أزاهري وربوعي
أذلت آلهة الهوى في روضها
فتأوهت في لوعة وخشوع
وطبعت فوق جبين كل وريقة
حزن الشجي وجهامة المفجوع
وخنقت آلاف الفراش على الربى
فترنحت في ثوبها المصدوع

وأخفت سكان الغصون فأثروا
صمت الجبان على غناء شجاع
وملأت بالرمل المغبر والقذى
عين الغدير ومهجة ينبوع

وأنا؟ أنا... يا بؤس ما حملتني
من وحشة وتغرب ونزوع
إني انتظرتك فوق شط ضائع
ران الجمود عليه وسط صقيعي
لكن عبرتُ الجسر ثابتة الخطى
أطوي الحواجز في رضاء قنوع
صارعت عمري والشتاء أبيّة
وطويتُ عاصفتين خلف ضلوعي
ويست فاستوحيت طيفك مقبلاً
يضيفي الحياة على هشيم جذوعي
وفتحْتُ قلبي مثل قصر فاخر
طلق المنى والعاطفات وسيع
حتى أتيت مخيَّظن الوری
فوددتُ لو تهفو إلى توديعي

أنضبت في الإصباح نبع مشاعري
فهجر نني سـيفاً بغير دروع
ولهوت بي عبر النهار سفينة
تلهو بها الأمواج دون قلع
وأفضتني ليلاً فجاشت أدمعي
وتمازجت نيرانها بشموعي
لم تدر ما صنعت يداك بمهجتي
وبكل قلب بالجمال ولوع
ضم النسيم وما شممت سوى الردى
عيد الربيع وأي عيد ربيع ...

■ ■ الزيارة الرهيبية

وتساءل : من يهبط نحوي ؟ فأجاب الضيف : أنا الطيف
صاح المتسائل مذهولاً : أتركت الأحياء وكيف ؟
رد الزائر : فيم الدهشة ، اشتقت إليك ، اشتقت إليك
وأيتيك في ثوبي الأبيض أتسلل لأنام لديك
أفسح لي ركنًا من فضلك فالحجرة تتسع لألف!

عبر الزائر باب الحجرة حتى وافى كومة خرق
وتساقط ريش جناحيه في صوت كحفيف الورق
فأحس بخفة ساقيه وأقتحم المسكن في الظلمة
لكن القمة صدته ... فتحاشى صدمات القمة
واندس بجانب كومه ... وتوسد صدر المستلقي

وتكلم ... استوحى الذكرى واسترسل في الشرح وأسهب
وتكلم ... قال لصاحبه كلمات أبدًا لن تكتب
والنائم لا ينطق حرفًا ... مفترشًا في صمت أرضه
وانتبه الضيف على وخز في طرف الأصبع كالعضة
وأحس الكومة فارغة ... لا صدر هنالك ... أو منكب

وانتفض الزائر مذعورًا واستند إلى السقف الخائر
مفتقدًا أدراج السلم ليعود إلى البيت الآخر
وتعثر في جسم صلب فأذاه على الأرض حصاة
فلبها في الكف برفق وعلى خديه العبرات
وتساءل وهو يناجيها: واهأ أتكون هي الشاعر؟

■ ■ عمفورة وعملاق

وحبوت فی ضعف فقلدنی
وحباً الصغیر وراء خطواتی
وقویتُ فاستقوی وقاسمینی
صدر الوساد ووجه مرآتی

أحبته حیناً بلا سبب
وكرهته حیناً بلا داع
بسط المدی ففردت أجنحتی
وطوی المدی فهویت للقاع

ونما الغلام وشب متصبباً
وأطل فی زهو علی سفحی
ومضیت أعدوکی أضلله
فتعثرت قدماي فی جرحی

حتى إذا طاللت أوازمه
وغدت له عینان من نار

وبكل عين حفرة نتأت
وكأنهم رأس لمسار

تممت جازعة فصارحني
«قدر أنا ونديك الساقى»
فاستسلمت نفسي لصحبته
عصفورة في كف عملاق..!

■ ■ الروابي الحالمة

أي سر تدلي به وتفأخر
نبتة الفجر للنبات المجاور
وهي تبدو رقاصة تشنى
فوق عود يطيعها ويساير...!
أتراها تقص ليلة حب
قد طوتها مع النسيم الساهر
حين مال النسيم يلثم ثغراً
برعمي الشذا، نقيًا وطاهر
حين مست يدها عبر دجاها
وجتيتها وضم خصراً ثائر
ثم عاد النسيم يهمس لحنًا
لا تدانيه عبقرية شاعر؟

أم تراها تقص ليلة حب
مع نجم أتى الوجود كزائر
مل طول الوقوف في كونه
الرحب فشد الخطى لكون آخر

طار من أفقه وحط عليها
ناثراً فوقها سناها الوافر
فإذا النبتة الصغيرة تبدو
ثرة الخوف في تردد حائر
حين ذاب الهواء والماء فيها
وتلاشت مع الكيان العناصر
دغدغ النجم جفنها فتطمت
ثم أرخت له الشفاه مباخر

أم تراها تقص ليلة حب
قد طوتها مع الندى المتقاطر
مرّ فوق الربى وشاهد حسناً
وتملى من الصدور النوافر
ورآها صبيبة تتوارى
في حياء وراء ظل ساتر
أي شهد وأي دورق عطر
صب من راحتيه هذا الساحر
فاستحمت مع الأثير أثيراً

وتحلت بماسها المتناثر
ثم نام الأبى تحت خطاها
مؤمنًا تارة... وحينًا كافرًا؟

أم تراها في مسمع الروض تلقى
ندوات عن ليلها وتحاضر
أم تراها تلقن الروض درسا
في صفاء الهوى ونبيل المشاعر
أم تراها تجثو لرب قادر
وتصلي صلاة فجر حاضر؟
هكذا الشعر يستحث خيالي
حين أصحو مع الصباح الباكر
لهف نفسي أنبتته تراءى
لي محيطًا أخوضه... وأغامر
حملتها خواطري حلم ليل
شاعري ويالها من خواطر!

■ ■ يا عاشقة

أنا هاهنا خلف الشجيرة والغصون الوارقة
أرنو إليك - إليكما - والروح تومض خافقة
وأراك في بحر الهوى تتخبطين كغارقة
وأرى الأكف مع الخدود قريبة متلاصقة
وأرى بعينك كلمة «إني أحبك» ناطقة
وأراك تخشين العيون النافذات الخانقة
وترينني خلف الغصون فترجفين كسارقة
لا تقلقي أنا لست بالحب المهيمن ضائقة
فالحب يصنع في الوجود المعجزات الخارقة

إني وراء شجيرة أغصانها متعانقة
أرنو إليك وأجتلي أحداث عمري السابقة
نبضات قلبك في دمي تجتاحني كالصاعقة
وأحس - رفقا يا ابنتي - أنفاسك المتلاحقة
لا تدهشي! فلقد ضمت من الزمان مشاركته
وشعرت بالحب العنيف صبية... ومراهقة
شفتاي مثلك ذاقتا ما ذقته يا عاشقة!

■ ■ الهيف الدائم

يا ضيفي القابع في بيتي يترصد جهماً حركاتي
يا أول من يطرق بابي ... يا آخر من يهجر ذاتي
يا أعدى أعداء وجودي وصديقي ورفيق حياتي
أثقلت بأنفاسك صدري ، طوقت بأغلالك عنقي

آه لو ترحل آونة ... أبغضتُ الإحساس الثائر
أنا فوق المقعد لكني ... في التيه المجهول أسافر
وبكل مكان أتمنى أن أغدو في ركن آخر
أنا بين يديك كعصفور منتفض الريش ومختنق ..

اتركني أحتل كياني ، أغزو روحي ، أقطن نفسي
دعني أنبثق من الظلمة وأشق الأعماق بفأسي
دع عودي الأخضر يتلوى ، يحترق بألسنة الشمس
دع تلك الآلة تتحرك وتدور وتلهث بالعرق

آه لو ترحل آونة ... لأروض نفسي الوحشية

كي أنعم ببساطة عيشي وأحل رموزي الأبدية
كي أضحك ... أضحك من قلبي ضحكة عذراء ريفية
آه لو ترحل آونة ... يا ضيفي الدائم ... يا قلقي !

■ ■ اغناء

تغاضی فما أنت بین الأنام سوى حفنة من رماد السنین
ولینی ولینی فإن الحیاة لك الیوم تقسم أن لا تلین
تقولین هنتِ؟ وكل الوجود نفوس تهان وأخری تُهین
كبرتِ فظنوكِ عقلاً توقف عن كل رأی سدید متین
وراحوا كبارًا وراحوا صغارًا أمامك لا یخفضون الجبین
حسبت النفوس كرامًا كنفسك، كلا فإنك كنز ثمین
حباك الإله بقلب مضيء فلا تفرضیه على الآخرین
فمن ذا أحب كحبك أنت ومن ذا یحس كما تشعرین
ومن ذا یعیش كما عشت أنت ومن ذا یغنی كما تنشدین
تغاضی فإنك فوق الجراح وفوق الظنون وفوق الیقین
وزفتی أمام المدى كالصبح وخفی یخف الأسى والأنین
ولا تأملی فی امتلاك الوفاء فإن الجحود طباع البنین
وإن الأمومة عبء ثقیل وبذل كبیر ووهم حزین
تغاضی فإن الجدال اتهام وما فی النقاش سوى ما یدین
ولینی ولینی فإن الحیاة لك الیوم تقسم أن لا تلین

■ ■ النهاية

انتهينا صدئت مل حليبي في الصوان
وغدا السيجار نصفاً بعد أن ذاق الهوان
والمكاتيب سطورًا زاحفات كالأفاعي
وزوايا الصورة الصفراء في لون الضياع
وبقاياروبك الأزرق أبلها الزمان ...!

هذه الأشياء كانت لي عبيدًا في حياتي
سئموا الرق وملوا أن يظلموا ذكرياتي
كم تنفست شذاها كلما شط خيالي
وغزوت السطر تلو السطر في حرب الليالي
ولبست الروب أستجليك في مرآة ذاتي

أين أخفي ذلك المسخ الذي نام وأطرق
كان فوق الثغر مبهورًا بأنفاسك يشرق
إنه يقبع فوق الرف كالروح السجينة

أین بعد الیوم أخفیه عن العین الحزینة
أین أخفی جثة المنذیل... والروب الممزق!

أین أخفیهما وقد أمست بمحرابی خطایا
إنها أشلاء آمالی وعمری... وهویا
أترى للشمس أهدیها كأسنان الطفولة
أم ترى للنار قرباناً لأعوام جمیلة
أم لدهری وهو قد أودی بأحیائی ضحایا؟

■ ■ الحلم المنتهر

انتصـرنا وامتلكناك منيعًا وعصيًا
وحلمنا بك هذا الليل مغداً سخياً
أنت قد أعطيتنا في الحلم حباً عبقرياً
وبه نلنا منانا ... لم نعد نطلب شياً ...

نحن كنا قبل هذا الحلم سكان قبور
ونواعير تغني نائحات وتدور
وكهوفاً تملأ الريح دجاها بالصفير
نحن كنا راهبات في محاريب الدهور

نحن في الحلم غدونا كنجوم تتوهج
وعبرنا تحت أقواس من النصر المتوج
وتدفقنا سيولاً من ربيع متأرج
وتأرجنا نشاوى ، ثملات فوق هودج
نحن هذا الليل حطمنا السدود الزائفة

وانحنى الفجر علينا كالغصون الوارفة
وصحونا تحت أنباء سماء العاطفة
ورفعنا الرأس مثل الزروع بعد العاصفة

كن ضنين الوصل إن الحلم موفور الوصال
نحن رغم العيش بالأوهام في ظل الخيال
انتهينا... وامتلكناك... وما عدنا نبالي
وعلى الهجر انتصرنا... وعلى صمت الليالي!

■ ■ الأمل والمورة

قد أبكي ، قد أندب حظي ، قد تصحب يومي أحزاني
لكنني حين أحط الرأس أخيراً في فرشي العاني
أهمس في رفقٍ باسمه ، لا تخشى يا نفس هواني
في ركنٍ من هذي الدنيا يوجد إنسانٌ هواني

قد يخنق سجني أنفاسي وأضيق بيّتي المتواضع
لكنني إذ أدخل فرشي وأنام كمخلوقٍ ضائع
أهمس يا نفسي لا تخشى ، فالواقع لا يمحو الواقع
في ركنٍ من هذي الدنيا ، لي قلب كالقصر الرائع

أنا أعلم أنك تهواني في البعد ولا تنشُد قربي
لي عندك عرش وقصور وجوار تهرع وتلبي
وزهور في روضك نشوى تتنفس حباً من جبي
وغدير كالخلد طهور ، لم يلمس إلا من قلبي

أنا أعلم لكنی أنشد وجهًا یتراءى لا صورة
فبدونك أبدو كالنبته فی أرض ظمأى مهجورة
وبدونك أبدو كالقشة وسط الأمواج المسعورة
وبدونك أصدأ كالآلة، تنهار تروسی مكسورة

■ ■ الزائرة الحسنة

تأتيني دومًا زائرة لا تعرف معنى الأوقات
 حسنة ولكن تتغير - شكلاً - في بعض المرات
 أحيانًا تقتحم ديارى ، تحتل جميع الحجرات
 تتواثب ، تقفز كالطفلة ، تشدو بالنعمة
 تلثم وجهي ... كفى ... تغمري بالقبلات
 وأنا أحضنها في شوق ، أمنحها نور عيوني
 تتوسط مائدة الأكل وتغرف من كل صحونى
 تملأ في نهم شديها ، تستمرى ، تلعق شفيتها
 تتناول ما كنتُ أعدّ لنفسي من أكلات ؟

أحيانًا أخرى تأتيني خجلى كفتاة عذراء
 في حسنٍ يأسر ناظره ويثير خيال الشعراء
 تتكلم .. أقتطف الكلمات زهورًا من بستان
 تشرب قهوتهما - لا غير - وتقلب وجه الفنجان
 وتقص عليّ الحب ، الشوق ، اللهفة والحرمان
 فإذا ما غابت عني حينًا ... أتألم

وأظل مع الناس طویلاً .. لا أتکلم
وأحس بأني کمصاب بعمی الألوان !

أحياناً أخرى تأتيني كامرأة شماء مهیبة
أصطدم بنفسی حين أراها وكأني في غیوبة
امرأة غامضة لا تحمل اسماً أو جنسية
تتهادى عبر دهاليزی الخلفية
وتدب بكعبيها فوق سجاجيدي العجمية
الكأس الملقى في يدها وإذا ما انطفأ السیجار
تتناول عود ثقاب وتعاود إشعال النار
وإذا جلست فالساق تنام على الساق
قد تتكلم فيما یجری في الأسواق
لكن وراء الكلمات العابثة علامات استفهام
وإشارات ... وكلام ...

أحياناً أخرى تقلقني وتدق الباب ... تدق الباب
وتقلد في إصرار دقات الأصحاب
لكنني لا أجروء أن أنثني الشراعة
أو ألوى من بابي ... أضلاعه

إذ تبـدو زائـرتي في العين السـحرية
شـوءاء .. مهلهلة الأثواب ... كامرأة بوهيمية ..
كامرأة هاربة من أيدي الشرطة ... متهمـة
كالشـحاذ الطالب لقمة ..
فأصيح وقد أخذتني العصبية
أصحاب البيت نيام ... لا أملك أن آوي أحداً
لا أملك في البيت طعام ...

وتمر الأيام تباعاً وبلا إبطاء
وأنا أبعد عن بابي تلك الزائرة الشوءاء
الفاقدة المفقة — وودة ...
وأحيي في مـرح زائرتي الحسناء
«أسـتقبل في البيـت قصـيدة

■ العابر ... والجمار

مات لم یحزن علیه أحدٌ
غیر طیفٍ عابرٍ یخطو أمامه
نام فوق الأرض حرًا هائئًا
واستراح الآن من حمل القمامة
ظل طول الیوم یعدو هائئًا
فی دروب الأرض لا یدری مقامه
لسعاتُ السوط تدمی ظهره
ویدُ الراكب لا ترخی زمامه

حین ولی الصبر عنه وانقضی
ورأى دنیاہ سبًا وملامه
حین لم یقدر علی آلامه
واستقرت فوق عینیه غمامه
نام فوق الأرض یبغی مأمنا
حاضنا فی الموت أضواء السلامة
حطم القید الذی کم غله
وغدًا حرًا طلیقًا کالحمامة

أيها القاتل هذا المفتدى
لك رب سوف يصلحك انتقامه
ذلك الساجي على مهد الثرى
لم يكن يطمع إلا في ابتسامة
يا لعينيه وياكم فيهما
من معانٍ تقتضي منا احترامه
نظرة الحزن التي غشتها
تجبر العابر أن يحني هامه

■ ■ عظمة الله

النمل مشي في رضى وسلام
ويدب فوق الأرض في استسلام
يجري كمن يخشى فوات أوانه
متعثر الخطوات دون نظام
وأنا على الأفريز أرقب سيره
حيرى... ينازعي شعورٌ دام
أمشي مقيدة الخطى، هيابة
حتى أجنبه أذى أقدامي
يا نمل! يا نمل اتدأقلقتني
أخشى انطواءك في عباب زحامي
أنا! من أنا؟ إني أدين لنملة
ببساطتي وتواضعي المتسامي
وبذلك الثوب الربيعي الذي
أكسوبه جدي وبرد عظامي
يا أيها النمل الأصيل أهجتني
وبعثت في طرائف الأحلام
«إني أرى الخلاق جل جلاله

في نملة تطوي الطريق أمامي»

■ ■ إلى ولدي

سأظل أوجل أشعاري حتى تتكسر أقلامي
حتى تتصلب في عجزِ كفي وسلامي ابهامي
ما أقسى أن أصمت دهرًا عن عزف الألحان العليا
أن أشدو طيلة أعوامي لتفاهة كوني... للدنيا
أن أترك أبهى ما أملك مختفيًا خلف الأسوار
أن ألقى للسطح بدلوي، أتحاشى قاع الآبار
أن أحرم ولدي من شهدي وزهوري وأريج صلاتي
أن أوصد شباك نعيمي وأدير الظهر لجناتي
أن أسمع صلصلة المفتاح وأخشى فتح الزنزانة
وأخاف الكلمة من أجلك تخرج حافية عريانة
أن أخشى الواقع يصدمني وخيالك يجتاح شعوري
والجرح النائم تنبشه في الصدر مناقير طيور
ما أقسى أن يصمت قلبي ويضن عليك بأنغامه
لا بخلاً... لكن يا ولدي... خوفًا من لوعة آلامه
هل أنظم شعراً في حبك وهواك النبع لأشعاري؟
لا أقوى... سأظل أوجل... حتى تتراخى أوتاري!

■ ■ الكونغ الأخمند

يا غابي الشتوي الممتد وراء الجدران
يخفي خلف ضلوعي سره
إني ألمس ما تحمله من أطنان الأحزان
أتوغل في أنحائك حذره
أنكرك اليوم محبوبك وجافاك الخلان
وضمت وفي عينيك الحيرة
فالشمس سفيتك المأوى بالذهب الرنان
تمبط غارقة محتضرة
والفجر الوثاب العاري فوق الأغصان
يتململ ويضم السطرة
والقمر الفضي توارى عن وجه الغدران
لا يرعش دوحتك الحرة
وربيعك هذا الإنسان ... ويا للإنسان
يتناسى ... بل نسي العشرة
ومسافاتك طالت ... طالت كالأبدية
وعراؤك ومماشيك وأوراقك ومقاعدك الخشبية
الكل يواجهه في حزن قدره ...

لكن الكوخ الأخضر في حزن الغاب
ما زال هنالك مفتوحًا ... وعلون الباب
تضحك لي ... تومئ منتظرة

فبرغم الأشجار المتشابكة الجرداء
وشحوبك ... يا غابي ... ونضوب الماء
فسيأتي راعيك الأسمر عبر الأزمان
كي يشرب من جدولك البكر ...
ويعانق أقواس النصر ... تحت الأغصان !
أما الآن ... أما الآن
فأنا يكفيني هذا الكوخ الرابض تحت الشجرة
ويعزيني ... أن بأعماقك ... خضرة!

■ ■ الخل الوفي

يا من يتبعني في صمت ويعد بدربي خطواتي
يا طيفًا يزحف كالأفعى ، يا لصًا يسرق حرکاتي
هل قست بزحفك ما تملك من حق في الأرض رفاتي
ألست الأسود من أجلي ؟

تفترش الأرض بلا حرج وأمام الأحياء نهارًا
وتحوم خلفي وأمامي وتدور يمينًا ويسارًا
فإذا أشرفت على بيتي أزمنت هروبًا وفرازًا
كي تخفي طيفك عن ليلى

هل تقفوا أثري أم أقفوا ؟ أنا أم أنت المنقاد
أنت المشدود إلى خطوي وأنا تجذبني الأبعاد
أرأيت إذن كيف خُلقنا ... عبثًا تمتزج الأضداد
لكنني أصلك يا خلي

عبثًا نمتزج وإن كنا نتشابه حينًا كالتوأم
عبثًا نقوى أن تبصرني ، عبثًا تقوى أن تتكلم

فأنا أحتضن بتکوینی دنیا الأقمار مع الأنجم
ولدی القلب ولی عقلی

عبثاً نمتزج وإن كنا جوالاً یصحب جواله
لا شيء سییعد طیفینا غیر الأقدار المغتاله
فالجسد إذا ضم نراه یطوی فی بردیة خیاله
یتلاشى الظل... آیا ظلی!

■ ■ عذوبة الأشياء المحطمة

لا ، لا تقل إني خدعتك إذ طويتك من حياتي
أنالـم أحبك إنما أحببت أضداد الصفات
إني عشقتك صاحب الإحساس ثر العاطفات
وغرقت في دوامة الأوهام ... لم أشعر بذاتي

أحببت قلبًا هادئ الأنفاس لم يزفر بأنه
وهويت نجمًا خلته سيصد عن عيني الدجنة
وعبرت صحراء الحياة لأجتلي أطراف جنة
وأخذت أذنًا من همومي برهة ... وعقدت هدنة

أحببت صغرا ساحر القبلات ، مسكي الشفاه
وسبحت في حمى الرغاب وفي تفاهات الحياة
ورقصتُ حول النار كالزنجي حافية خطاه
وفرشتُ قلبًا مخمليًا تحت أقدام الإله

حتى إذا صادفتُ غيرك خلتنني كالمستفيق
ورأيتُ ريح الليل تصحبه وأشواك الطريق

ولمحتُ في عينيه كنز الحزن قدسي البريق
وعذوبة الشيء المحطم تغمر القلب الرقيق

أحسستُ أنَّ توأمان على المدى لا نختلف
هو تائبٌ لم يجن ذنباً في الدنى ... لم يقترف
هو حالمٌ رغم التيقظ ، مرتو ... لم يرتشف
هو خالقٌ حتى يموت وراكضٌ ... حتى يقف !

حتى إذا لمست يدي تحت الجوانح أنجمه
وحضرت عرس خياله وسط الليالي الملهمة
ورأيت أن مشاعر الأنثى لديه محرمة
آثرتُ أحياء مثله ... محرومة ... ومحطمة !

ساعات ليلي في الدجى متوهجة
أنفاسهن تميّت روح المسرّجة
وذراعهنّ من طويلة وطويلة
تمتد مثل اللص تحت الأنسجة
أرنولهنّ وقد سخرن بوحدي
وأنواع على عتبات نومي مولجة
يلهون في عبث بكل مشاعري
ويطرن فوق المركبات المسرّجة
فأحس إحداهن تحتضن الهوى
تسري بها الأحلام جذلي مبهجة
وأحس إحداهن تطفـر بالمنى
وترف حولي بالشذا متأرجة
وأحس إحداهن ترفع رأسها
زهوا وترنّو في تحدٍ محدجة
وأحسّ إحداهن تحتضن الدجى
وتئن وسط دموعها المتدحرجة
وأحس إحداهن تطرق جهمة

والذکریات تلفها ما متوشحة
فأجمع الساعات حولي مثلما
تتجمع الأشواک حول العوسجة
وأنام والقلق الكبير یضمني
ومشاعري المثلوجة المتأججة
وكان شيئاً كالحریر بمهجتي
طعته كفٌ بالسلاح مدججة

■ ■ لست هدیقة

ومضى يتحدث في نغم حلو وبراءة أطفال
ويشير بلا أدنى حرج في الدرب وقد وقف حيالي
يتحدث في لا شيء وفي كل الأشياء
وأنا أتناثر... أقفز... أفلت من بين الأصدقاء
أترجع... أرتد وأجتز السنوات
وأعود أخيراً كي أسمع هذي الكلمات

هلا قربت خطاك إليّ... رفعت الأستار
هلا أودعت فؤادي كل الأسرار؟
كي أحمل قدرًا من عبء زمانك
فأنا من أجلك لا أتعب
ولكي أشعر أني مشدود لحنانك
بربط حـ حـ حـ... ووثير
لي مطلب... لي مطلب
ناديني، إن شئت... صديقي

فخفضت الرأس على صمت لم تنبس شفتاي بكلمة

لكنی فی ظل سکوتی وخطای تدب مع الظلمة
تمتت وقد ولی عنی وتناءى عن دربی دربه
«أنا لست صديقة إنسان فی یوم ما كنت أحبه»

■ ■ الحب الخالد

أيها الباحث في مصر عن الحب الوديع
لا نقل ضاع فإن الحب فيها لا يضيع

كل شيء في ربي مصر عطاء وسماح
موجة تهفو لشط وجبال لرياح
وغصون تنسج الخضرة كي تكسو الجناح
كل شيء في بلادي يتغنى للصباح

كيف نطوي الحب والحب لنا زاد وأدرع
نحن ذقنا الحب في ظل الفناء والتموقع
وشربناه فلم نسأل أنبقى أم سنرجع
وبذلناه دماء تتحدى هول مدفع

كان حبًا حين ودعنا بلا حزن ذوبنا
حين مرغنا الوجوه السمر في أحضان سينا
حين سال الدمع فوق الرمل وجدًا وحينًا
كان إيمانًا ... وحبًا ... وسموًا ... ويقينًا ..

أبها الباحث في مصر عن الحب الوديع
لا تقل ضاع فإن الحب فيها لا يضيع

■ ■ غرور طفلة

دربي الشعري ! ما زلت مليئًا بالخفايا ...
لم تنزل فيك أغنان لم يرددها صدايا
لم تنزل فيك كهوف ومسافات طوال
وانحناءات وعمق ومهاوٍ وظلال
آه لو أعطيتني مفتاح هاتيك الخبايا !

أيها المدرب الذي يبدو وإن طال بداية
إن درب العمر كاد اليوم أن يطوي النهاية
يا لأقدام على الدربين تمشي في صراع !
بين أنس ونفور ووجود وضياع
أتراني سوف أمضي دون أن أدرك غايته ؟

كان في ظني أني سوف أستاف شذاك
غير أني كلما أقبلتُ صدتني يدك
لم أزل أجهل نفسي ، لم أزل أجهل روعي
لم أرو الفكرة الجذباء من نبع جروحي
آه يا ضيعة عمري دون أن أطوي مذك

آه لو أزرع يوماً وسط بستانك سروه
آه لو أنشق يوماً فوق جدرانك كوة
آه لو أوحى بشعر فيه أفنى ... أتحلل
لو بسر دابك يوماً أتمشى ... أتوغل
لو بمحرابك أحظى أيها الدرب بخلوة

كنت أبغي فيك أن أرتاد دنيا العبقريّة
أرشق الشعر نجومًا، لا حروفًا أبجدية
وبأفكاري الغوالي وابتكاراتي الخفية
أمنح الألوان جسمًا والصدى روحًا ندية
يا ضياع العمر مني ... لن أصر بعد نية

■ ■ غرام الشيوخ

ومالت عليّ شريكة عمري
ونحن جلوس بيستان داري
وقالت : «أحسك هذا المساء
كثير الوجوم ، قليل الحوار»
أجل ... كنت أحمل خيبة حبي
وكان برأسي شبيه دوار

ورحلت أفكر مستعرضاً
غرامي ... وقصة عامي الأخير
وكيف أحببت «مني» جازي
خريفني ... وكانت بعمر الزهور
وراحت تفتح شباكها
وتوميء باسمه ... وتشير

وحين تمادت عراني الغرور
وقلت سأصدمها بالحقيقة
وجاءت «مني» تحت جناح الظلام

وقد وثبت فوق سور الحديقة
وصاحت سأبقى هنا ساعة
فأهلي نيامٌ وإني طليقة

فقلت لها: يا فتاتي اعقلي
فإنك في ناظري برعمٌ
ومهما عملت على فتتي
فإني الخبير ولا أهزم
وإني أبوك فإن تعشقي
إليك الشباب وهم أنجم!

أجابت: أراك قليل الحياء
أتحسبني طفلةً وأهممة
تحدثني في احتقار عجيب
وتقذف بالتهم الظالمة
ألم تدر أن صراعي عنيف
وإني بحبك... كالهائمة؟

أجبتُ: أشك فصاحت «منى»
وفي صوتها نبرات البكاء

أبتغي دليلاً؟ إليك أنا!
وهبتك نفسي فخذ ما تشاء
ولست بطامعة في هواك
ولو بالتمني... ولو بالرجاء

و حين احتوتها ذراعي بعنف
نسيت على ثغرها موقعي
وعشرين عاماً مضت في هناء
وزوجي الوديعه تحيا معي
كأن «منى» هي كل النساء
فقد بعثتني من مصرعي

وقلت: ارحلي مثلما تزعمين
فلن أقبل اليوم منك الوصال
أمامك شهران قضيهما
على البحر بين الهوى والجمال
ستسسيني بين جمع الشباب
فصاحت: محال، محال، محال!

ومرت لیل وطال الفراق
ورحْتُ أسائل نفسي الغیبة
لماذا النصائح وقت الرحیل
وكیف رفضتُ امتلاك الهدیة
فهانذا فی حریق الحنین
وقلبي يطیر وراء الصیبة !

وعادت ... ولكنهما لم تبین
ولم تُبد أي صدی مرتقب
ونادی أبوها وقد زرتُه
«تعالی ... منی ... سلمی» وانسحب
وهلت «منی» مثل بدر البدر
فصحْتُ : نضجت ... ویا للعجب

وحین انصرافی دنت برهة
وقالت : أشكر أم أمهد؟
ومدت یداً لفتی یافع
وقالت : خطیبي الذی أعبد
ونادت : هو الجار ما من غریب

وعمي وعمك يا أحمد

ومالت عليّ شريكة عمري
ونحن جلوسٌ ببستان داري
وقالت : أحسك هذا المساء
كثير الوجوم ، قليل الحوار
أجل : كنت أحمل خيبة حبي
وكان برأسني شبه دوار

أجبتُ : لعليّ كبرتُ فإني
أحس البرودة في كل آن
فمدت علي بسمة ناظريها
لييت يجاورنا في المكان
وصبت لي الشاي هامسة
«أجل ... قد كبرت ... وفات الأوان

■ ■ عوراء

قطعة عوراء تغزو شرفتي
لونها الداجي بلون الظلمات
كل صبح تعتي السور وترنو
لي بعين من خلال الحجرات
فإذا ناديتها «يا عورة»
لبت الصوت ونطت في ثبات
وإذا أدنيت منها خطوتي
زعقت بالصوت مثل النادبات
تطلب الأكل بعنف مثلما
يأمر السيد إحدى الخاديات
ولها الأعدار إن جاءت وإن
بلعت كالبئر من كل فتات
فهي طول العام حبل ويحها!
سبقت في الحمل كل الأمهات
لا تمل الحبّ أو تزهد
فهو للعوراء معنى للحياة

وغريب إن ترى عاشقها
مخلصاً في الحب ثراً العاطفات
أصفر الشعر و«روميا» له
مقلّة خضراء في لون النبات
حين يأتي لا يرى من وجهها
غير حسن باهر حلو السمات
في ناغيتها بشوق جارف
وهي تجفو في دلال الغانيات
هكذا الدنيا حظوظ شملت
كل ما تحوي الدنى من كائنات

■ ■ أنا وعقلي

هي فترة في العمر تأتي كلما
ضاق الفؤاد بعبئه الجبار
فيها أرى عقلي تبلد خاملاً
متجمد التفكير ... كالأحجار
فأظل في رفق أعالج داءه
كيلا ينام كخائر منهار
وأظل أشغله فيدرك حيلتي
ويشبح عني الوجه في استهتار
فإذا لزم البيت أصغي باحثاً
في ردهة الجيران عن أسرار
ثم استقر لدى النوافذ كاشفاً
عما يضم الدرب من أخبار
ثم استوى عند المواقد طامعاً
في قضم حلوى أو مذاق خضار
فإذا خرجت لكي أسير فربما
تجري الدماء به كشعلة نار

ودلفتُ نحو حديقة فلعله
تحت الغصون الخضر والأشجار
يحسو الجمال ويتشي من خمرة
ويبيث في روائع الأشعار
ألقى بما خط الجمال بمهجتي
في هوة النسيان دون قرار
حتى إذا جاء المساء بصمته
ونفضت عني اليأس في إصرار
ووضعت رأسي فوق ظهر وسادتي
لأريح جسمي من عناء نهار
مرت مرور قوافل في بيدها
ومضت مضيَّ سفائن ببحار
قططُ الشوارع كلها في خاطري
وكلابُ أهل الحي في أفكاري ..
هي فترةٌ في العمر تأتي كلما
ضاق الفؤاد بعبئه الجبار

■ ■ الصیف فی الظهيرة

ها أنا أنساب فی حضن الطبيعة
بین دنیا ترتدی أغلی الحلل
غیر أني لست غضبی أو ودیعة
لیس بی یأسٌ ولا ثم أمل

إنه الصیف الموشی بالخمول
ساعة الظهر ونوم البشرية
إنه الوقت الذي یبدو ملول
وطویلاً طول عمق الأبدیة

كل شيء هاهنا حیٌ ... ومیت
كل شيء فی وجود وضياع
كل شيء فوقه یتمدّ صمت
وعلیه الشمس قد أرخت ذراع

الكروم الحمر تبدو مثقلات
في مخاض مستمر... وألم
والينابيع تأنت في ثبات
في انتظار السير من كف النسم

والمروج الخضمر تحسو في تبرد
كأس شمس تتلظى محرقة
إنها في كل حين تنهد
تحت أعباء الأمانى المرهقة

وعلى الأغصان كم طير تململ
وأحتمي بالعش مخوقاً أسير
كلما زقزق في جهد تسلل
عبر سمعي صوت أنات القبور

إنه الصيف إذا انشق النهار
كل صاح فيه غافٍ وبليد
كل حي في جمود وانهار

غیر أنى منه أستوحى القصید ... !

■ ■ الجرح العنید

منذ أجيال وبي جرح كییر
عبثًا أنسى على الدهر زمانه
هو منى غائر دام مثير
غیر أنى لست أستجلى مكانه

ذات لیل خلت أن الجرح للعین تعری
فتولانى سرور وارتیاح غیر أنى
حینما حدقت فى الجرح طویلاً عدت حیرى
كان كالبر ... عمیقًا ، مالئًا عینى ... وكونى

وسمعت الناس یروون حکایات عجیبة
عن كرامات «ولى» راح یشفى كل داء
فتوسلت إلیه فى ابتهالات مهیبة
ورجعت البیت جذلى ومعى وصف شفائى

ووضعت الصحن ليلاً في الندى فوق السطوح
ثم أطلقت بخوري حول أوراق حجابي
وصببتُ الطل من صحنِي على نبع جروحي
فمضى ينزو عنيداً وتمادى في عذابي

ورأيت الناس يشفون جراحات الحياة
بمزيج من عصارات نبات وثمر
فتسللت إلى الغاب بأقدام حفاة
وعراء الليل يكسوني وأثواب المطر

ويجاهد عصرتُ الشحم من صلعة سروه
وفركتُ العصب الأصفر من أوراق زئبق
وملأت الكف من عشب نما في حضن هوّه
ووضعت المرهم الرخو عليه ... فتدفق

جئتُه بالقمر الراقص في النيل العظيم

جئتہ بالشمس خلف الأفق لم أبخل علیه
وسرقت الماس کي أرضیه من عين النجوم
غير أن الجرح قاء النور... دلی شفتيه !

فتحانیت علی جرحي بغيظ و جنون
ونزعت الجلد منه ثم قطعت لسانه
ثم ثبت علی جنیيه أوتاد عیوني
غير أني حين وافى الصبح لم أعرف مكانه !

■ ■ أخيراً

مضى عام وجاء الصيف في أعقابه يجري
وها أنا جئت في الميعاد أنشد خلوة البحر
ترى يا بحر عل بقيت على جفني أضواء
وهل بيني وبين هديرك المنغوم أصداء
أم أني صرت لا أجلو سوى الظلمات في ذاتي
ولا أصغى لأصداء سوى أصداء أناتي
أجل ما زلت أستوحي من الأمواج والرمل
جمال الكون والدنيا وسر النور والأمل
أسير طليقة نشوى بضوء الفجر والنسم
وأمرح في الضحى وحدي مع الأمواج والنغم
ويأتي الليل منتشرًا على الآفاق والبشر
فأقضي الوقت في كوخ من الأخشاب والمدر
وما برحت على كتل الرمال الصفير أحلامي
أجمعها وأبنيها وأهدمها بأقدامي

ولی فی الفجر إنشاد یفوق البلب الشادی
فتجری الریح ناقلة أهازیجی إلى الوادی
أجل ما زلت كالأمس أهیم كطفلة نشوی
ولكن هذه النظرات؟ تلك الدمعة الحیری؟
أجل ما زلت كالأمس... ولكن فی دجی صمتی
أحس الطوق فی عنقی... تراها قبضة الموت؟

■ ■ شاطئ الحنان

حين تصحو على الحقيقة الواقع
من حلمك الوثير... المتترف
وترى كونك المديد ولكن
ليس بالعين بل بروح مرهف
فإذا الكون مسرح من رياء
وغرور... وخذعة وتكلف
وإذا العيش والأمانى والحب
خيالات شاعر... ومؤلف
وإذا الأهل والعشيرة والصحب
سراب مزلزل... ومزيف
وإذا الوحدة الكثيية تنساب
إلى حضنك الكئيب وتدلف
وإذا الليل مارديبعث الموت
بجنينك... موحشًا... ومخوف

نادني ! نادني فمن آخر الدنيا
أبني النداء ... لن أتخلف
من وراء البحار ، من خلف هذا الأفق
من عمق ... عمق ليل مغلف
لن أضل الوصول فالطير يرتد
إلى العيش آمنًا ومرفرف
فإذا ما تذكرت الريب حينًا
فسأمشي بخطوي المتلهف
وإذا كنت الخطى وتمهاوت
فسأجوب على يدي ... وأزحف !

ستراني جوار قلبك أحنو
وأواسي عذابه ... وأخفف
وسأتمتد راحتك إلى قلبي
لتجتث ما زرعت وتقصف
فإذا القلب مخملي الأمان
ناعم اللمس ، كالحرير مهفف
فسألقي على الطريق بنلي

وعتابي ... وهجرك المتعسف
وأوافيك شاطئاً من حنان
وهزاراً بلحن حبك يعزف
نقطع الوقت في الصلاة لحيننا
وفي معبد الهوى نتصوف
لن نطيل الكلام فالحب لن يترك
إلا أرواحنا ... تتكشف
والوجد الذي بداخلنا
يشهد من نحن ، من نكون ... ويعرف
والإشارات قد تحرك أمسينا
وقد ... تلمس الجراح فتنزف ..

■ ■ النخلة الشهيدة

هل تذكر الضاحية النائبة
والبيت والحديقة النامية
ووقفتي هناك في المنحني
على انتظار اللففة الحانية
أودع القطر إذ يشنني
ليعبر المحطة التالية
أظلم أهذي حزينة
بمقلعة حائرة....
«من ياترى قد أخره؟»
حتى إذا بدت خلف الباب
تظل من فرجه المعشاب
مقهقهةً سا سا أخراً...
أردت أن أثنى أراً...
فأنثني لا أبالي في خطوات ثقال
وبسمة ففاترة

أمد كفا ضنينة وأفتح المزلاج!

هل تذكر الشمس إذا ما ارتقت
ونحن في بسـتانا الأوحـد
نمضي ... ونمضي في رواء الصبا
وساعد يحنو على ساعد
وتحت خطوبنا أنين الصدى
على سفير الشجر المجهد
وتطفـر الفرحة من حولنا
ونبلغ القمة من حيننا
فأحسد الأرض التي تحملك
وذلك النور الذي يغمرك
وإذ بنا نبكي مني
وصمتنا حين تضيق المعاني
كأننا شيطان ... جاشا مياه
وما بنا يملا سمع الحياة

ونلمح العريس في ركنه

مظلاً بالكرم والريحان
فختفي روحين في روحه
نبتك عن كوامن الوجدان
إذ نجتوي الراحلة لانتلي
نسقى ييس النبت والأغصان
بين عروق الشجر...
فبعث النبض...
والماء إذ يخذد الأرض
وانضم لنا وسرى غضا
ثم اختفى... وانثرت
كهبة الريح بوجه الصخر

هل تذكر الليل إذا ماجا
ونحن في الشرفة بين الشرود
إذ يعقد الطرفين سحر الرؤى
بطرف نجم في سمانا... بعيد
وشعري المغدودن المتشبي
في راحتك مستبدٌ عنيد
أهتف وي! ما بال هذي النخيلة

بين العشايا الجميلة
ترمقنا بعينها الرعاء ... أهكذا
تظل في الأجواء ... معروقة السعوف والقامة
مسقامة ... مصلوحة كالشاهد

■ ■ اللحظة الأخيرة

اللیل یغری کل عین بالسهر
ویلف ثوبُ حداده وجه القمر
والنائم الساجي کفاکهة هوت
من نضجها وتوسدت قدم الشجر
والقلب منه کطائر في سجنه
یتلمس القضبان علّ بها المفر
ومن الخدود الصفري یجری هاربًا
دمه کمجرى السیل نحو المنحدر
والفاعة الازلي والمفعول في
شدّ جلیّ وارتخاء مسـتتر

هي لحظة يطوي الخيال جناحه
فيها وتزدحم الحقائق والعبير
الموت فيها للذي قد عاشها

لا للمفارق كونه والمحتضر
والبدء فيها يلتقي بالمتهى
والصمت بالصخب الكثيف المنتشر
هي لحظة كالبيد في ظلماتها
مجهولة الخطوات ضائعة الأثر
الكل آتيها وإن طال المدى
والكل عابرها وإن غفل القدر

وأنا جوار فراشه منهارة
أصغي برعب للقطار المتظر
أهفو... ولكن المصاب يشلني
وأود لو سقطت دموعي كالمطر
فالبر ناضبة ومامن قطرة
في قاعها تروي المهيأ للسفر
لا شيء غير النفس تسأل ربه
وتدور في فلك السؤال المختصر
«قد شئت فلتكن المشيئة إنما
ما ذنبنا؟ ما ذنبنا.... نحن البشر؟»

■ ■ القلب اللقیط

عندما یسکن العیون عراء
القلب والکون والفضاء المدیة
حیث لا شیء غیر «شارة قابیل»
تراءت علی جبین الوجود
قطرة من دماء خافق شمس
تتنزی فی مغرب مشهود
وغیوم وراءها ساخرات
یتهامسن «ودعی، لا تعودی»
عندما یهدأ الصراع وتهد
قوی الجسم والکیان الزهید
وتضیق الأفاق فی العین حتی
تراءى علی مدى محدود
وتمر الأيام طافحة بالملل

المر ، بالأسى والجمود
 في ظلال الخمول ، فوق مهاد
 اليأس ، في شبه ميتة وهمود
 ما تراه بوسعه يا إلهي ؟
 ما الذي في مقدر قلبٍ وحيد؟
 أو تلقيه هكذا كذا كلقيط
 عارياً من حنانك المنشود
 بيعون محذقاتٍ حيارى
 في الظلام المغلف الممدود
 جائعاً.... يرضع الشقاء من
 الأرض ويمتص ثدي أم حقود
 صارخاً والقلوب من حوله كالصخر
 تروي أديمها بالجحود
 ترى القطرة الضئيلة تمتد
 فتطفي سعير هذي البيد
 أو تجتث غابة الهم فأس
 صدئت في أكف طفل وليد؟
 أي هذا الإله أنت ملاذي
 كن عطوفاً على قلوب العبيد



(7)

لمن أغنني؟

(1997)



إهداء يا مصر

لقد كان حبك كلما نغمته
قد كان إحساساً ندياً ناعماً
حتى إذا شاهدتُ وفتكت التي
أجت ويا للهول نارك في دمي
أرقتني يا مصر بالحب الذي
لكنني لم أنسى حبك لحظة
أنشد فيك سحر قصائدي
سأعيش واهبةً إليك مشاعري
لحن الصباح المشرق المتبسم
ونشيد أطفال ودروس معلم
عانيتها بعزيمة لم تُهزم
لتضيء لي ليل الدجى المتجهم
حملتينه بجانبي وفي دمي
أنت الهوى واللحن للمترنم
فهواك لي سر النداء الملهم
وأموت واسمك كالصلاة على فمي

جليلة رضا

■ ■ القاهرة في وشاع الديل

منذ وقت مضى بعيدًا بعيدًا غابت الشمس في الدروب الدجىة
هبطت سلم الفضاء عروسًا تتهادى في حلة ذهبىة
وتوارت فخلفت في سمائي حزن أم على فراق صبىة
منذ وقت مضى وما زلت وحدي والخيالات في عيوني حىة
أرقب الأرض والفضاء وليلاً من ربىع المدينه القاهرىة
أى سحر وأى دورق عطر سكبته يد الملاك القاهرىة
إيه يا أنت يا مدينه شعبى ومهاد الحضارة الأزلىة
كل شىء عليك يبعث سحرًا وغموضًا ونشوة وحمىة
هاهى القلعة الرهىة تبدو من خلال المآذن الروحىة
ضمت خلفها الجبال سجدًا لتواريخ أمة عربىة
هاهو النيل قد تمطى كسولًا مستظلًا بالأنجم الفضىة
إن نجمًا وراء نجم تهادى كالضحايا في ساحة حرىة

والعمارات تستطيل وتكبو كعفاريت قصة وهمية
والفوانيس تستوي واقفات كتماثيل ربة وثنية
والدروب التي تضج حياة قد تراءت في وحشة قفرية
وبقايا الأشباح تمضي سراعاً قبل طيف الرجاء والأمنية
والملاهي التي تفيض ضللاً أفرغت جوفها ونامت تقية
والبساتين من بعيد تراخت واستراحت من الرؤى الآدمية
كل شيء على المدينة يغفوبين أحضان غيبة حسية
بح صوت العملاقة الآن... كلت قدماها، نامت الجنية
كل شيء ينام غير غلام يذرع الدرب في خطى ملكية
حاملاً سهمه الرشيق، جميلاً وعلى الثغر وردة قرمزية
بعيون هذب وشعر جثيل، ضاحكاً للظلام في سخرية
أيهذا المليك حسبك فخراً أن حكمت الوجود والبشرية
كل قلب حللت فيه إله كله روح لمستها سرمدية
الشياطين في حماك استحالوا منبع الهدى والدروب السوية
والغزاة الوحوش صاروا عبيداً قد غزتهم سهامك الوحشية
وقلوب الصخور والشوك لانت وتجلت قطيفة مخملية
ولك الله! كم تخطيت يا حب حدودك الأماكن الزمنية
فهذا الكهل في يديك غلاماً وغدت جدة الصبي صبية

وغدا الثلج والصقيع على القطب الشمالي نار أفريقية
لهف نفسي لكم أسائل نفسي أرقب البيوت حية
ما الذي خلف هذه الجدر الصم ؟ وراء النوافذ الخشبية
كلها كلها تخبئ أحلامًا ونبجوى وصورة فنية
كم حياة بها كموت وموت كحياة وكم رؤى عكسية
كم عراء مقدس وبكاء ثمل ، كم من ضحكة دموية
إنها قصة الحياة تجلت في ظلال السكون والحريفة
فامض يا حب نحو كل بناء وابعث النور تحت كل حنية
أنت أنت الربيع في كل قلب ومثار الإلهام والشاعرية
ها أنا أسكب التأمل لحنًا تحت أقدام ظلمة قدسية
إن روعي تنساب بين شفاهي وهي سكرى بالوحدة الأبدية !

■ أنا والليل

أيها الليل ...

الذي رافق في الكون ...

حياتي

أنت قد علمتني ...

الإيغال ...

في أعماق ذاتي ...

فلكم ...

وسدّت رأسي ...

صدرك الشر الحنان

واحتكنا

في تجافينا ...

إلى طيف الزمان

ثم

سرنا ...

في وفاق ...

فوق درب الذکریات

لم تكون يا لیل ...

روحًا ...

كنت أرواحًا ... عدیة

كنت ...

تحوي الدفء

في صدرك ...

حينًا والبرودة ...

ربما ...

بالأمس

أقبلت حزینًا ...

وغضوبًا ...

ربما غادرت طیفي

مسرع الخطو ...

طروبًا ...

أو تناءیت ... بطیئًا ...

كالسلحفة العتيدة ...

غير أني

كنتُ في حضنك

أقسو وأثور...

أمر السعات

أن ترتد ...

حينًا ...

أو تسير

كان بي

بعض الخلايا

اللاهثات المستفيقة

ترفض الواقع ...

تأبى ...

أن ترى فيك الحقيقة

كان بي

غابةُ أرزٍ

كان بي

شلال نور

ولم نعد ...

يا لیل نحتج

كما كنا زماناً

قد ألفتك

ظلاماً ...

وارتضيناك ...

هوانا ...

نحن قد متنا ...

مراراً ...

حينما عشنا ...

طويلاً ...

وعرفنا ...

كيف لا نطلب ...

أمراً ... مستحيلاً

كلما ازددنا سنينا

قلّ

مقدار منانا

إنني

أغفر يا لیل

دجاك المتتظر

أغفر

الوحشة والخوف

وصمتي

والسهر

طالما تمنح قلبي

عالمًا

حرًا شفيفًا

طالما ...

ترسل بالأفكار

للعقل

ضيوفاً

طالما ...

لي فيك

خلُّ

مخلص

يدعي القمر

هاتها ...

كفك ...

تمحو

هذه الحمى السقيمة

لم تنزل يا لیل

محرابی

وأسراری القديمة

أنت منی

أيها الأرملة

فی ثوب الحداد

فاطرد الأشباح

عنی

وتوغل ...

فی الفؤاد

وتذكرُ

أننا یا لیل

أبناء عمومة

■ ■ الإنسان والزمن

أنا

كلما شاهدتُ أمسي

من خلال الذكريات ..

ورأيتُ نفسي ...

طفلة

تلهو

على طرفات ذاتي

أنا

كلما شاهدتني

ما أمکر الأعوام ...

حین تمـر ...

من خلف الظهور

■ ■ أغنی الأغنیاء

قال لی یومًا ...

وقد أرهفتُ سمعی

فی انتباه ...

من سوف أحکی لك حالی ...

سوف أدلی بالحقیقة

إنی ... أسکن کوخًا

عند أطراف الحدیقة

غیر أني ...

لست محرومًا

ففي الكوخ مياه ...

وزهور ...

تنحني أدنو ... منها الجباه

ولي المقمر خُلُّ

ولي الشمس صديقة

وبما أني سميرٌ ...

ونديمٌ للطيورُ

فإذا أخطأتُ يوماً ...

أسرعوا كي ينصحوني

وإذا ...

ما صادفتهم مشكلات

شاوروني ...

ثم عالجتنا الأمور ...

هكذا أحيأ وجودًا

كل ما فيه زهيدًا ...

قلتُ يا حبي

ترفق

أنت بالسكنى سعيد

فأنا ...

أسكن كالناس البيوت

حيث تحيا

في السقوف العنكبوت

حيث تحبو

في سراديب الجحور

الأفاعي ...

والشور

حيث يمتص ... الجدار ...

الأماني ...

والنهار ...

فإذا ما هل فحرُّ

أخطأ الدرب وفات ...

جر رجليه ...

عليلاً وتهاوى ...

ثم مات

هكذا أحيا حياتي ...

وهي ليل وقيود ...

قال : بل عندي عيوب ...

فاسمعيني من جديد

ربما ...
أمري غريب
غير أني أرتضيه ...
أعشق الآثار ...
والشيء الخرافي الوجود ...
كل ما كان غريباً
أو محالاً ... أقتنيه
أشتري الحاضر والنفس العفيفة
والضمير الحي
والروح الشفيفة ...
والغد التائه حيناً
في تهاويم الخيال
والأماني الكبار
أشتري الأمس ودقات الزمان
والمكان المختفي
في اللامكان
هكذا أحيأ وجوداً
ترتع الأحلام فيه
أشتري بالوهم مالم
أستطع أن ... أشتريه ...

قلت :

یا حبی ترفق ...

کل ما تحکی هراء ...

أنت تبدو الآن فی عینی

أغنی الأغنیاء

أنت ...

قد مُلکَت ضیعات مغلّة

وعقارات

علی النيل مطلة ...

وفراشا ...

صیغ من أسٍ وزنبق

ونیذا ...

فی دجی القبو معتق

وخیولاً ...

شامخات عربیة ...

ورصیداً ... فی بنوك العبقریة

أعطني منها صدای

أعطني منها الهویة

ثم خذنی ...

لك زوجًا ...

تحفظ العهد وفية ...

■ ■ ما أبقت الأيام

لا حب بعد اليوم

يشغلنا

ويتحكر الخيالاً ...

لا

لم نعد نخشى الفراق

ولم نعد ...

نرجو الوصالاً

ولى زمان الحب ... يا قلبي

وحل بك الشفق

لا تترك الأعوام

تضغط جهمة

حول العنق

اليوم

ينتقم الردى منّا

إذا صرنا كسالى

قد عشتَ

هل عشتَ الحياة

وما صنعتَ الحياة؟

قضيتَ عمرک

والسراب

وحبك الواهي العلیل

وسجنتَ نفسك ...

خلف جدران القلوب

وفي الحنايا

لم تدر ...

هل كنت الضحية

أم رميتَ ...

بهم ضحايا

وشدوتَ

مثل صرير ساقية

بأطراف الحقول

اليوم

عندك ما يقيك

من السامة

والممل

ولديكَ

أسمى في الوجود

من التدله ...

في رجل ...

اليوم

تبذل للأنام

حنانك الثر الكبير

وتسامح الإنسان

والأحفاد

والقلب الحقيقير

اليوم ...

تسقي ...

کل من یشکو الأسی

کأس الأمل

الیوم عندک شعرك السامی

فشد له الجناح

وامخر عباب بحاره

لا تخش

عربة الریاح

فالأمن فیه ومنه

وهو الجسر ...

تعبره خلودًا

وهی السبیل ...

إلی الوجود

إذا أردت ...

لنا وجودًا

وبه ...

تُردُ إلی الشباب

به ...

نعود

إلی الصبأح

حُبَان
حبك للقريص
وما ...
نخط من البيان
وهواك
للإنسان
في ظل الأخوة
والحنان
هذان
ما فرض الزمان عليك
عند المغرب ...
بهما ستجتاز البقية
من ...
طريق متعب
بهما
ستطوى المنحنى
حيث الزمان
بلا زمان

■ ■ النبع وقلب الإنسان

یا نبعاً دفاقاً
یغمر بالخضرة
کل مکان ...
یا رب الأرباب ...
هنا ...
یا سید هذا البستان
فلأجلس ...
قربک
ولتهدأ حیناً ...

خطواتي

كي أهناً بالصمت

وأزجي صلاتي ...

آه ...

كم تمنحني الراحة ...

كم يسري ماؤك ...

في الأعراق !

أشعر أني عائدة

من سفر

شاق

أشعر ...

أنى صاعدة

من عمق ...

الأعماق

أشعر ...

أنى أحيا

آلاف الحيوانات

وتمر عليّ

قوافل ...

أمنيات

أنا أعلم
أنك تتفاني ...
في خدمة هذا البستان
يا معجزة العدم الحي
ويا
مبخرة الإيمان
فلقد تُسجنُ مخنوقاً
في قاع الهوة ...
ولقد
تسبق مكدوداً
أحشاء الربوة
كي تشعر
بالأجسام الصلبة
والرخوة
ولقد
تکتم أنفاسك
في وجه النور
لتؤمن من دُعر
رشقة عصفور ...
ولقد

تأرجح
فوق العشب النامي
ذات صباح
لتهذب بيتاً
من شعرٍ قد تسقط
من ريش جناح
ولقد تحضر في الليل
مخاص نواة
موؤودة
لتطهر أمّا نفساء
وترعى
المولودة
وتمر الأنجم
لتحييك
بغير توقف
لا تسأل ...
إن كنت تغني
أو تبكي
أو تنزف

أنا أعلم ...
أنك تتحمل ...
في الروض مشقات ...
جمة
وبأنك
عائل هذا البيت ...
ورب ...
الشورى والحكمة ...
لكني أسأل
ما جدوى هذه
الرغبة في الإنماء
ما جدوى
هذه الحمى المثلوجة
من أجل الإعطاء ... !
ما جدوى
أن تُنعش صدرًا ...
أو خصرًا ...
أو جذعًا ...
بالماء
حتى تنفلق نضوجًا ...

بالخير
وبالنعمة
كل الأشياء ...
كل الأسماء ... ؟
ما جدوى ...
هذا البذل
ونكران الذات ؟
وملايين
ملايين
الخطوات ... ؟
ما دمت إلى الآن ...
لم تغسل قلب الإنسان
لم تغسل قبل الإنسان ... ؟

■ ■ الإسكندرية

«مسقط رأسي»

إسكندرية ...
أيها الثغر الجمیل
أنا هنا
أهفو إلى
الماضي البعيد
وأستعیدك ... موطنًا
يا لهف نفسي
كم أحن إليك
أعشق فيك أمسي

ولكم ...
ولكم ...
ناداك عبر حنينه المشبوب
حسي ...
أنا ... إن هجرتك
إنما
أحيا ... وطيفك
في خيالي
وأظل ...
أسأل
هل رأاك غدًا
وأحظى بالوصال
أنا قد أغيب
وإنما
إستاف «يؤدك»
في انتشار
وأمل عيني
من بعيد ...
نحو بحرك
في رجاء

أنا

في رباك حبببة

من نبع المنى

تغزو الشطوط الثغر

تبني

من رمالك

مسكنًا...

أنا

في رباك

شجيرة

مُلئت عصارات الحياة

بنت الأزهر

والحدائق...

والزوارق...

والمياه

أنا... كالطيور

على رباك

رفيقة الفجر... الندي

أحيا مع الحس المهين

والجمال

العبقري
آه ...
وآه
من نسيمك
حين يسري في ضلوعي
قلبي الذي
ألف الصراع
لديك ...
كالحمل الوديع
إسكندرية !
تحت خطوك
أفرش القلب الأمين
فخذيه
في الحصن الدفاعي
وكفكفي
دمع الحزين
من أجل حبك
لم أعد
أهوى حياة ... القاهرة
يا قطعة

من قبل مصر

وكل قلب الشاعرة

■ ■ الجمال العبقري

تمادی الریع خلوب الـرؤی
وطیر الربی حلقت شادیه
وأشـرق فجـرد فـی السـنا
ودب عـلی العـشب والرایـة
ومرّ عـلی وجنات الزهور
وكفـف أدمعها الجاریة
وأهـوی عـلی شـفتیها طویلاً
وعـب من الخـمر الصافیة

وبين الخمائل ، تحس الغصون
قلوبٌ تبث الهوى شاكية
شبابٌ وحبٌ وحُ نضير
وجنةٌ خلدهنك زاهية
ولكنني رغم هذا الجمال
أردد أنغام الباكينة
وأهتف والقلب ثمر الحنين
وفي مقلتي السرى الداجية

ريبع الوجود أتيت الوجود
كأكرم ضيف يزور البرايا
حملت تباشير فصل سعيد
وحملت أغلى صنوف الهدايا
كسوت صدور الربا بالورود
وبالحضب بطن الحقول العرايا
وأنعشت بالدفء ثغر المياها
ولألت وجه الغدير مرايا
وبعثرت ألحانك الراقصات

على الكون تعزف للحن آيا
فمرت بطيف النسيم ربابا
وبالغصن دُففا وبالطير نايًا
وأطلقت من سجنها الكائنات
ووردت بالحبِّ خد الصبايا
فيا من حملت الهوى والجمال
على راحتك كريم السجايا
حنانك أيقظت في الشـعور
وجددت في القلب ذكرى هوايا
فإني وقلبي وروحي السليب
ضحايا جمال الربيع ضحايا!

■ ■ الدوحة الحزينة

«إلى التي تزوج أبناؤها الستة فأقصر البيت»

يا دوحة

عبثت بها الأقدارُ

حين انتأى

عن حضنها ... الأطيّار

هجروك؟

لا ...

بل تلك سنة خالقٍ

ومشيئة

لوجودنا ... وقرار

شربوا حنانك

في غرور جاهلٍ

فحنانهم

لك عشرة ...

وجوار

عهد ...

إذا نسي الصغير

جماله

هو الكبير

على المدى تذكّار

هو الكبير

نعيمه

ووجوده

وهو الشذا

والفيء ...

والأنوار

عبروا الطفولة

في حماك

وأينعوا

وأتى الشباب
وكله أخطار
وأتى الشباب
ويا له من ساحر
فيه المشاعر
ماردّ جبار
سهروا على حلم
وأحلام الصبا
ظماً
وجوع قاتل
ودوار ...
سهروا على حلم
وأحلام الصبا
لا تستباح
أمامها الأعذار
وأتى الشباب
وآثروا أن يبعدوا
ليضمهم
إلف لهم
وديوار ...

یا دوحة الأحزان
یا طود الأسی
أهناک طود راسخ
ینهار
ماذا علیک
إذا سعدت
بسعدهم
ورضیت
ما شاءوا لهم
واختاروا
کم طائر
بالأمس
قد عصفت به
سؤل إلى المجهول
واستفسار
ولکم
جناح فوق غصنک
خلتیہ
یغفو
وکان یهزه

الإعصار
أحسبت
أنك بالحنان
ملكته
والحب ...
ويحك
سيّد مختار
أحسبت ...
بالجدل العنيف
طويته
والصمت عند العاشقين
حوار
أحسبت
أنك بالحصار
غزوته
ومتى تحاصر في القلوب
النار

فلتفرحي
إن الطيور وفيه

وهمُّ
على طول المدى روار
وغداً سيأتي فرحهم
وفراخهم
ولسوف تشكو حملها
الأوكار
سيعود للغصن الصموت
غناءه
ويعود فيه
ربيعة ... المعطار
وإذا تلاًلاً
في سمائك مقمر
ستضيء
حولك
في غد أقمار
هجروك؟
لا ... لم يهجروك
وإنما
هي سنة
وشريعة

وقرار

■ ■ النيل الخالد

جاء الدنى

من ظلمة الأحشاد

ومن الصخور الصم ...

في العلياء ...

رشفتُهُ ...

من ثغر السماء مطهرًا

وهو ارتوى ...

من عزمها المضاء

وحبا الصغیر ...
على بساط ... من حصی ...
متهامسًا ...
في رقة وشفاء ...
متدحرجًا ... نحو الوجود بفرحة
مترفرفًا ...
كالفضة البيضاء

فإذا رأى الدنيا تمد أمامه
صدرًا رصیبًا
واسع الأرجاء
وثبت خطاه
كأن وحشًا ضاریًا
ينقض فوق فريسة عزلاء
ومضى مع الأمواج ...
يغزوقمة ...
ويضم هاوية على استخفاء
منكسرًا حینًا ...
وحینًا هادرًا
مترنحًا ...

ثملاً
على استحياء
حتى إذا عبر الفلاة وقيظها
واجتاز واديه
بلا إعياء
وجرى على أرض ... الكنانة ...
آمناً ...
وانساب ...
عبر حقولها ... الخضراء
هدأت على مرأى السنابل روحة
واشتاق
للضحكات ... والأصداء
وتباطأت
خطواته ... طوافة
تحبو القرى
بالخير والنعماء
وإذاه تقيم المدينة شامخاً
في كبرياء
ثرة معطاء
وإذا

بقاهرة المعز ... تعزهُ
وتضم رب البيت
في خيلاء
وإذاه في أحلامه
يغفو على صدر الحبيب
في هوى ووفاء
فتضمهُ ... وتضمهُ ... وتضمهُ
وتبوح بالأسرار والأنباء
وترف أجنحة الصباح
وضيئه
ويقيق نهر ... النيل ...
من إغفاء
ويحن للذلتا ...
فيهجر حبه
متملصًا ...
من فتنة الغراء ...
وإلى الشمال ...
يسير حرًا ... واهيًا
في سيره
جزءًا من الأجزاء

ويسير ...
والأقدار ... تحدو خطوه
والبحر ...
يدعوه ...
بلا إبطاء
ويسير ...
والتاريخ ينشر مجده
نحو المصب ... على رضاء وإباء
حتى إذا بلغ المصير
رأيته ...
قد ضاعف الأمواج
في استهزاء
ورنا طويلاً ...
نحو أفق سمائه ...
متأملاً ...
في نظرة الحكماء
ثم أنثني
مستسلماً
لقضائه ...
متسربلاً بالخلد

كالشهداء ...

■ ■ نهاية الأشياء

ما زال نايبی يستحث غنائی

وسراج لیلی

وافر الأضواء

فاعزف ...

وغرد یا فؤادی

طالما ...

تهفو إلى الإنشاد

كالشعراء

فرب نجم ...
شع أسطع ومضة
قبل الذبول ...
وصفرة الإغماء
ولرب عود...
قد ترنم شاديًا
عند السقوط ...
بأعذب الأصداء ...
اعزف لحاضرنا
وغرد
إنما إياك أن تشدو ...
لماضي ناء

يا قلب
إنك طائر
رحالة
تمضي هنا
وهناك ... دون بقاء
لم تبني يومًا
فوق غصن مسكنًا

فی الروض

بل

حلقت فی الأجواء

وعبرت شطآن البحار

مرفراً

ضممت فی مسراك

نبع الماء

فلم التلفت للوراء

وما به

غیر الهوان ...

وفرقة الأبناء

ولم التلفت للوراء

وقد بدت

ذکراه

کالسکین فی الأحشاء

ولم الجنوح ...

إلى غدٍ

وغدٌ لنا

جبل من الأوهام

والإیحاء

وغدٌ

هو الدور الأخير ... بمشهد

مثلته

كبقية الأحياء

وغدٌ

هو الشوط الأخير ... بملعب

لم يبق شبرٌ ...

فيه ... للعداء

أواه

يا قلبي

وتلك حقيقة

لا بد تدركها

بلا إبطاء

شيء جهلتُ مداه

ثم علمته

حين انطوى زمني

وحن مسائي

لا شيء يبدو مرعبًا

ومخوفًا

فی الكون

مثل نهاية الأشياء

■ ■ لمن أغني؟

انتهینا ...

کتب الحزن علی بابي کتابه

هاهنا داري ...

وهذا البيت لي حصن الکآبة

انتهینا

وتحالفنا بلا أدنى اعتراض

واستقر الرأي حرًا

واستفاض

جاءني بالأمس ضيفاً متكلف
وعلى البهو توقف
ثار في وجهي وأرعد ، ثم أرغى وتوعد
لِمَ تخفين وجودي ...
مثلما يُخفي العشيق ؟
إنني أكثر من زوج
وأغلى من شقيق
أنا لي كل الحقوق
فلمن هذا العقوق ؟
سوف أمضي
تاركاً أمسي ونجوى ذكرياتي ...
صحت في يأس ممض
إن تدعني فلمن أحيا حياتي
أنت لي المعجزة الكبرى التي تروي الشجر
أنت نوري المستتر
أنت أحلام انتظاري
وشعوري المنفعل
وإذا أعرضت عني ... فلمن قلبي يغني
وهو يستجدي الأمل ؟
هكذا عدنا ...

وقسمنا حیاتی

فلی الفن کفنی

وله عمری وذاتی

وانتهینا ...

کتب الحزن علی بابی کتابه

هاهنا داری وهذا البیت لی حصن الکآبة

■ ■ الجنة العذراء

یارب

هب لی من زمانی

فترة ...

أحیا بها ... فی ریفنا الوضاء ...

ثقلت علی قلبی ... المدینة کلها

وبما حوت

من قسوة وجفاء

إنی ...

سئمتُ ضجيجها
وزحامها
وشتائم الأحياء ... للأحياء
وزهدتُ
كل الزهد ... في من أتقنوا حيل الخداع ...
وصنعة الإطراء
وغدوت أهفو للطبيعة
مثلما
تهفو الروابي الخضر
للأنداء ...
وغدوت أهفو للجمال ...
وقد بدا
في ريف مصر ... كجنة عذراء
فمتى
متى أنساب ... عبر مروه
وأشم عطر الورد والحناء
لو جاد دهري
لاستكنت سعيدةً
في قرية
مجهولة الأسماء

سأعش بنس الشمس
فى أحضانها
أطوي البقية لى
مع البسطاء
ولسوف أحياء مثلهم
قروية ...
الزرع همى ...
والحصاء رجائى
وعلى ضفاف النهر
أملأ جرتى ...
وأعود أرفل
فى سنى الخلاء
ولسوف أطلق فى النهار
مشاعرى ...
تغزو جمال الرىف
فى إغراء
حتى إذا وافى المساء
أويتها فى داخلى
كالعهد للأبناء
وأنام

والأمن الكبير ... يحيطني
ونقاء أحلامي
وصفاء سمائي
كم أشتهي عند الظهيرة
جلسة
في ظل حقل
واسع الأرجاء
قدما ... غافيتان
في حرية ...
محتدتان هناك ...
في استرخاء
والظهر مستند ...
إلى صفصافة
جملت على أكتافها
أعبائي
وقفت ...
كشيمة أهلها
في نخوة
تهب الشذى ... والظل
للغرباء

ومراوح الأغصان

تنعش مهجتي

وتعيث في خجل

بذيل ردائي

والطير لحنني

والجدول

معزفي ...

والأرض ... فرشي

والسماء ...

غطائي

والجبين والبتاو ...

داخل صرة

وعلى مدى كفي

قلّة ماء ...

■ ■ لحن الخلود

وتصايحوا
- والعام قد ولي -
لقد مات الهزاء
قد غاب وأسفاه
لا ندري ...
لغيته قرار ...
ما عاد يسكب ألف فجر
في مآقينا الحزينة

ویرف فوق رؤوسنا

جدلان ...

یخترق المدینة

ما عاد ...

یشدو للطبیعة ...

للجمال ...

وللنهار

فأجابهم ... صوت بعید

رن فی رفق ولین

لا ... لم یمت ...

هذا الهزار ...

وإنما عبر السنین

عرف الحقیقة حین ولت

عنه أطيّار عديدة ...

وأمام طیف الموت حامت ...

حوله سؤل عنیة ...

ماذا وراء الغیب؟

ما هذا الوجود؟

ومن نكون؟

حتى إذا عرف الجواب

أراد أن يعلو الأفق

وأبى أراجيح النصوص

ومل ...

رفات الورق

ومل ...

القيام أو القعود

بعشه الهاني المريح

عبر النهار المشمس

المأمون

من مطر وريح

وبحضن ليل دافئ الأحلام

فواح عميق

يا ويحه !

عاش الحياة

بغير معنى ...

أو أثر ...

كانت له أيامه الجوفاء

ملأی بالصور

یصحو لیلتقط الحبوب

بلا عناء أو عذاب

یصحو ... فتستهویه ...

فوق الروضا

آلاف الرغاب ...

متنقلاً ...

بین الخمائل ...

والأزاهر ... والشجر

قد عاش ...

لا یدری ... فروقاً

بین أرض أو سماء ...

فیذا علا ...

أقصى حدود علوه

سطح البناء

وإذا شدا أحلی اللحن لده

ألحان الهوی

یشدو بها ...

منغومة ...

مشبوبةً ...

وإذا ارتوى ...

كان ارتواء بالمياه ...

وليس من نبع الضياء ...

واليوم ...

قد ضاق الهزار ...

بروضه مستنكرًا ...

وأراد أن يعلو ...

ويعلو ...

عن تفاهات الورى

فلقد تنكر للحقول ...

ولا بنهارات السنابل ...

ولقد تنكر

للكؤوس المسكرات

من الجداول

مستنكرًا ...

بئس الجناح ...

إذا تشبث بالثرى !

لا ...

لم يمت

هذا الهزار ...

وإنما

عبر الوجود

نحو الفضاء اللا نهائي المدى ...

واللا حدود

ترك الهوى ...

والعاطفات ...

على الغصون الوارفة

ليكون يوماً

كالشراع ...

أمام وجه العاصفة

ويصوغ ...

تحت القبة الزرقاء

ألحان الخلود

■ ■ فجر الإنسانية

يسي ...
والقرآن في يمناكا
صان الإله ...
كتابه ورعاكا
من قبل بدء الخلق
نادى «فلتكن»
وأمرت
فاستدعيت في دنياكا

ومضى الزمان
وجئت تُنقذ أمةً
لولاك
كيف مصيرها
لولاكا
لك
مولدك الكريم
بمشرق ...
شق الدجى
متسربلاً بسناكا
جملتُ
بك الدنيا ...
يا حسن ما اجتلى
راءٍ جمالاً
باسمًا ضاحكًا
الكون فيه
غدا
ربيعًا عابدًا
والطير ...
في ترتيلها

نُساكا

وشبيت يا ... !

يا لليتيم

وبؤسه ...

يخطو الصخور ...

ويعبر الأشواكا

لكنما ...

الرحمن جل جلاله ...

حاشاه

أن يرضى

وأن ينساكا

يا أيها الأمي ...

«اقرأ» لا تخف

فالغار يسمع خاشعًا

نجواكا ...

وهذاك ربي ...

فاستقيت ... من الهدى

خلقًا

علا

وتجاوز الأفلكا

يا أعزل الكفين

راحجت العدى

بالعقل

سيفاً ... باتراً ... فتاكا

لا تستلين

ولا يروغك كيدهم

إذ ...

أضمر واللك

في الظلام هلاكا

رُضت الأمور ...

صغيرها

وكبيرها ...

وحكمت عدلاً

هاهنا ...

وهناكا

دانت لك الدنيا ...

ولكن ...

لن ترد ...

بالزهد ...

ولا ملاكا
ولا أملاكا
إلا بقايا
من عشاش في الثرى
تُنْبئُ الغريب
بأن ذا مأواكا
وغنى
عن الدنيا ... الرحبية
كلها
بكنوز قلب
يرفض الإسراكا

لي يا رسول الله
رغبة خافق
يشتاق أن
يخطو وراء خطاكا
أنا ...
إذ قرأتك سيرة
وضاءة
أدركتُ معنى الخير

فی معناکا
لم أخش
بعد الله
مثلك فی الدنی
لم أهو
- بعد الله -
مثل هواکا
فوسیلتی لك
أن أنال رضاکا
إنی اتخذتک واحة
فی ظلها
أستاف عطر الدین
من ذکراکا ...
وبرغم ما أصبو إلیه
من التقی
أنا لست یا خیر الأنام
ملاکا ...
یا موئل الملهوف ...
یوم قضائه ...
کن لی شفیعاً ...

في رحاب سناكا ...

الله ذكرى مولد ...

في عامنا ...

بشراك

يا هذا الورى

بشراكا

■ ■ تراتيل هوفية

جل يا إلهي

في دجى قلبي

واغمره

بالأضواء والحب

جل فيه

كي ينساب

في دعه

نبعًا ...

یفیض بذکراک ...

العذب ...

جل فیه ...

نورًا ساطعًا

ألقًا

یطوی جیوش الغیم

والسحب

وانشر سناک ...

بکل منعطفٍ

وبکل منعرج

علی دربی

جُل

فی دمی ...

یارب عاصفةً

تذرو ریح الشک ...

والریب

جُل

فی دمی ...

نهرًا
يطهرني
من كل فكر ...
أسنٍ عطب
جُل ...
فيه نار النار
تحرقني
وتحد من سخطي
ومن غضبي
جُل
في رياض
أنت مثمرها
لكنها ... تهفو
إلى الجذب ...
لا تُبق ...
في أرجاء رايتي
غير الشذا ...
والماء ...
والعشب

جُل

في دمي

أمنًا ومرحمة

واصحبهما

بالعطف

والحدب

دعني ...

أواجه ما يصادفني

بعزيمة

في المهمة الصعب

يارب

نورًا منك

يغمرني

ويفيض إيمانًا

على قلبي

أولتني نعمًا

بلا عددٍ

وأنا التي أسرفت

في الطلب

فإذا دعوتُ اليوم

راجيةً
من ذا سواك
يجيب
يا ربي

■ ■ ميلاد روح

في ظلمة الكون
لا ضوء به سار ...
ولا صدى ... آدمي
عابر جار
كأن طيف الردى
قد مس ساعده
وعانق الأرض
في عمق وإصرار

فالأفق مكتئب
والنجم متحجب
والسحب هاطلة... تهيم بمدرار
في ليلة
من ليالي الدهر حاملة...
ثوب البسيطة
من هم وأكدار
جئت الحياة
وفي عيني ظلمتها
جئت الحياة وخلفي
طيف أقداري...

وخيم الصمت فوق الدار
منعقدًا...
وفي جوانبها
في شبه أستار
كأنما الدار...
مما حل في خجل
تود لو تختفي عن كل أنظار
كذا النساء

تهاوت في مقاعدها

راحت تهامس ...

في ريب

وإنكار ...

ما السر؟

ما خطبها؟

هل كنت ميتة

لا لم أكن

غير بنت ...

تلك أسراري

ما كان أحوجني

يا أم ناظرة

تظل ضوء غدي

في ليلي الساري

وهل

طيف أبي في الدار

منفعلاً

وفي جوانحه ...

جرُّ على نار

وقد توهم ...
أن الأرض قاطبة
في راحتیه
وقد زینت بأقمار
حتى ... إذا ما انحنى
فوقي يداعبني
رأى الحقيقة
في رعب ...
وإحقار
فراح يهذي
لمن شب الرماد
لظي
وأيقظ الميت ...
في آيات رنشار
«بنت؟
إلهي
وما أرجو سوى ولد
يا وصمة ... في دمي
يا ذلة العار ... !

وهل ... في إثر ذاك للیل

منسرحًا
فجرٌ جديدٌ ... زها
من غير إنذار
ورحْتُ في صحراء العمر
ضاربةً
تحنو عليَّ بصدر ...
ثائر ناري
في معصمي قيود البؤس
خالدة ...
والطوق في عنقي ...
أشدو بأشعاري

وعراء الليل يكسوني
وأنداء المطر

وبإجهاد
عصرتُ الشحم
من صلعة سروه
وفركتُ العصب الأصفر
من أوراق زنبق
وملأت الكف

من عشب نجا في

حضن هوه

ووضعت المرهم الغض

عليه فتدقق

جئته

بالقمر الراقص

في النيل العظيم

جئته

بالشمس

خلف الأفق

لم أنجل عليه

وسرقت الماس

كي أرضيه

من عين النجوم

غير أن الجرح

قاء النور...

دلى شفتيه!

فتحانيت على جرحي

بغیظ وجنون

ونزعت الجلد منه

ثم قطعت لسانه
ثم ثبتُ على جنبيه
أوتاد عيوني
غير أني
حين وافى الصباح
لم أعرف مكانه !

■ ■ جرح وليد

منذ إحيال وبي جرح كبير
عبتاً أنسى
على الدهر زمانه
هو مني غائر
دام مثير
غير أني لست أستجلي مكانه

ذات ليل
خلتُ أن الجرح للعين
تعري
فتولاني سرور
وارتياح غير أني
حينما حدقت في الفوهة حيناً
عدت حيرى
كان كالبئر عميقاً
مالئاً عيني ... وكوني ...!
وسمعت الناس
يروون حكايات عجيبة
عن كرامات ولي
راح يشفي كل داء
فتوسلت إليه
في ابتهالات مهية
ورجعت البيت جذلي
ومعي وصف شفائي

ووضعت الصحن ليلاً

في الندى فوق السطوح
ثم أطلقت بخوري
حول أوراق حجابي
وصببت الطل
من صحنني
على نبع جروحي
فمضى ينزو عنيداً
وتمادى في عذابني

ورأيت الناس
يشفون جراحات الحياة
بمزيج من عصارات نبات وثمر
فتسللتُ إلى الغاب
بأقدام حفاة

الفهرست

- 3 شاعرة اللحن الباكي بقلم محمد رضوان
- 9 1- اللحن الباكي
- 11 الإهداء
- 12 كلمة الأستاذ محمد ناجي
- 13 مقدمة للأستاذ رامي
- 21 الفجر المنتظر
- 23 من زهرة إلى الدوحة
- 25 النجم الخابي
- 27 لم لا؟ نحن بشر
- 29 استسلام
- 31 ليلة مع الوسادة
- 33 طموح
- 34 النسيان
- 36 قضاء وقدر
- 37 ليلة من أبريل
- 39 الساعة
- 40 نهاية صيف
- 43 حق البقاء
- 46 عروس الفناء

48	دعاء
50	لبنان
52	التمثال الخالد
54	ولدي
56	أنا وقلبي
58	قصة صفتين
62	من أنا؟
63	أيها الشعر
65	تأملات
67	النخلة الحیری
69	شرع الحياة
72	غموض
74	ذات ليلة
76	أمنية
78	الصخرة والزورق
80	مولد قصيدة
83	مأساة دوحة
84	حيرة
86	عندما قتلتي
88	الحب الخاطف
89	عودة
91	الزيارة الرهیبة
97	حنین وثورة

99	شذوذ.....
100	الأنشودة الخالدة.....
102	بين روح وطيف.....
104	الشقوة الكبرى.....
106	انتقام العمر
108	الشهيد
111	اذكري يا أم!.....
112	الفيلسوف العاشق.....
116	الاسم المجهول
117	موعد في الظلام
119	أغنية إلى طائر.....
121	الشارع
123	ذهول
124	الحبيب المجهول.....
125	الإيمان الزائف.....
126	قصة زورقين
127	القلب الذي أريده.....
128	صيد فاشل
129	الفوضى في الربيع
133	يا حبيبي
135	فوق تلال بلطيم.....
136	الزهرة والفراش.....

- 138..... الڪون الكبیر
- 140..... الدور الخطیر
- 142..... أحزان القمر
- 144..... صلاة
- 147..... 2_ اللحن الثائر:
- 149..... وطنی
- 150..... بور سعید
- 153..... شعب مصر
- 155..... الشیطان والإنسان
- 157..... اذكروا
- 159..... عادت القناة
- 161..... أزمة القناة
- 163..... دعونا
- 166..... من القلب
- 168..... ثورة على الظلم
- 170..... قسم شعب
- 171..... افخري يا مصر
- 173..... مصر تملي شهادتها
- 175..... حبها الأول
- 179..... ذكریات الطفولة
- 182..... جرح ولیل
- 185..... نداء
- 187..... عیون الحب
-

189	مع الريح
191	ابتكار
192	أيام تمر
194	لذة الخطر
196	ساعة مولدي
198	ثورة على الشعراء
201	لقاء وفراق
203	نعيم الشقاء
204	أمي حواء
206	لست لي
208	دروس فاشلة
210	دعاء الفجر
211	رب الأنانية
213	هواجس
214	أين هي ؟
216	الطمأنينة
217	اللحن الثائر
219	معجزات القرآن
223	رامي
224	الرحيل
226	لقاء في الطريق
227	النغم السجين

- 228..... حلم
- 229..... ليلة العمر
- 230..... ثورة قلب
- 232..... أمي
- 235..... الملل
- 236..... ثورة على شمس الغروب
- 238..... لأجل من ؟
- 239..... الهزيمة
- 240..... نعمة الجاهل
- 242..... سهرة في الشرفة
- 244..... نيلنا الخالد
- 245..... قلب المرأة
- 246..... مطبخ الغرام
- 247..... لست حاقدة
- 248..... رحلة ريفية
- 251..... اللقاء الأخير
- 253..... 3_ الأجنحة البيضاء :
- 255..... وصية أم عربية
- 258..... فرحة النصر
- 263..... رسالة إلى جميلة
- 265..... الفجر الجديد
- 267..... لبنان الشاعر
- 269..... لن نرقب الفجر

271	حكومة الجزائر
273	رسالة حب
275	رجل القدر
278	إلى شعب الأردن
279	سلم وحياد
281	مع المجاهدين في سوريا
282	بعد المعركة
284	ضعف المرأة
286	حنين وذكرى
288	وسأمضي
291	حب وطن
293	من المرأة إلى الرجل
295	الروب الحائر
297	لن أعود
299	تمرد عابد
301	خيال وحقيقة
303	بين النيل والبحر
306	لمن أشكو؟
307	مات حبي
310	رحلة عمري
317	الصلح خير
320	تكلم

- 321.....ضحایا الربیع
- 323.....عیناک
- 325.....ذکری شاعرة.
- 328.....إلى الملكة دینا.
- 329.....حصاد الألم
- 331.....دعاء الأمومة.
- 334.....قتلتنی یا ولدی
- 335.....إهداء
- 336.....تمرد
- 337.....زمان ویا مکان
- 339.....منذ عشرين ربيعاً.
- 341.....ساعة العمر
- 343.....خصلة شعر
- 344.....تفاهة رجل
- 346.....تناقض
- 348.....أشجار البلوط.
- 350.....حان وقت الرحیل.
- 354.....سیدی
- 355.....الدجاجة
- 356.....إلى کلبتی
- 358.....الهوى المفقود.
- 362.....النواء
- 364.....المرأة والحب.

- 366..... مهزلة القدر
- 367..... أمنيات
- 368..... صلاة الفجر
- 371..... اعطني حقي
- 372..... اللحن الناقص
- 374..... الليل عندي
- 375..... عيد الأم
- 376..... ذكرى لقاء
- 378..... الحاكم والرعية
- 380..... الجبال
- 381..... كنز الضمير
- 382..... الشاعر والطبيعة
- 384..... اللعبة البالية
- 385..... ربيع وخريف
- 387..... اصمت يا قلبي
- 389..... 4- أنا والليل :**
- 391..... إهداء
- 393..... النغم الحنون
- 396..... سر القوة
- 397..... أحقاً يضيع؟
- 401..... قصة كلمة
- 403..... تحية الشعب للثورة

- 407..... شهرٌ يمر
- 409..... إلى مجاهدة جزائرية
- 411..... مقبرة البيض
- 412..... وطني الكبير
- 414..... نداء العودة
- 416..... الضمائر الميتة
- 418..... من بورسعيدية
- 419..... الرسالة الأخيرة
- 422..... انتفضي يا أخت
- 424..... فاجعة أغادير
- 426..... وصية أم لاجئة
- 429..... عبثاً يخبو
- 431..... مصر تناشد سورية
- 433..... أنا والليل ... ووحدي
- 435..... مات حياً
- 438..... حديث الماء للماء
- 439..... عندما تنام القاهرة
- 442..... عتاب إلى القلب
- 443..... الربيع
- 446..... إسكندرية في الشتاء
- 449..... تحالف
- 451..... الزهرة الذابلة
- 454..... الإمبراطورة الحزينة

456	إلى خادمة
458	رب الدار
459	في الشارع
461	ليالي الهناء
463	فات الأوان
465	اعتراف
467	أغنية الشاعر
470	متى تعود؟
471	إنسانة
472	نادني
474	انطواء
477	لست أعشق
479	صور شتوية
481	رسالة إلى الله
483	أقوى من الهوى
484	لم يتغير
486	قسمتي
488	الذكريات
489	وردتان
492	الشيء المجهول
494	حين من نار
496	بين عالمين

498	الصیف
500	میراث أم
502	قبر وقبر
503	غزو
505	صورة
506	قلبی للبیع
507	صدره
508	سجین القلب
510	غابة الشعر
512	الهوة الملعونة
513	5- صلاة إلى الكلمة :
515	أیتها الكلمة
517	الاسم المقدس
518	عودة المهاجر
519	لن ینام الثأر
521	عمالقة
523	شهر رمضان
525	دقت الساعة
527	رد إلى الشاعر
529	من مقاتل إلى زوجته
533	نقسم لك
536	إلى ضیوفنا الكرام
537	صلاة تحت العاصفة

538	إلى أمة العرب
540	انفجار
541	أغنية إلى فارس الميدان
546	شهيد وحررة
550	قصة شعب
552	إلى فدائية
554	عاشق العلم
557	كلكم عبد العاطي
558	الفجر الجديد
560	مدينة الأقرام
563	سمااء الغرور
565	الزائر الغريب
567	الليل والمرأة
569	الآلهة والجريحة
570	الشاعر... والمشاعر
571	عندما يحب الشاعر
573	قصة الأزل
575	تكريم الأدبية
576	صلاة إلى الكلمة
578	الريح وصندوق الجواهر
580	السراب
581	عام جديد

- 583..... نصف سىجارة
- 585..... ثلاث أغنيات فرنسية
- 586..... اللباب
- 587..... العندليب
- 588..... شجرة اللىمون
- 590..... تكريم شاعر
- 592..... شتاء العام
- 594..... وراء الحياة
- 595..... إلى ابنتى
- 597..... شاطىء الإيمان
- 599..... جولة داخل النفس
- 604..... العالم الجاهل
- 609..... عتاب
- 611..... بلا ثياب
- 613..... دعاء لأجل الحمير
- 615..... الفجر الأخير
- 616..... لقاء ووداع
- 618..... وبعد... ؟
- 620..... صعب علىّ
- 622..... إلى صديقة
- 623..... عالم تافه
- 625..... الطيور المهاجرة
- 628..... ذكريات

630	الضوء الخابي
631	نحن والزمن
633	شتاء الحياة
634	ضياء
635	الحب الثاني
637	قلب الأم
638	المنادية
640	السحرقى الإنسان
642	أغنية الصباح
644	الإرارة
645	فى مهب الريح
647	حنان الأمومة
649	وقال القمر
653	6- العودة إلى المحارة
655	الإهداء
657	حاملة السلة
659	حوار مع النفس
661	حين أراك
664	التجربة الكبرى
667	مأساة عصفورة
669	عندما يموت الشاعر
671	الشاعرة والفكرة

- 673..... آسفة
- 675..... الدمعة السجينة
- 678..... من أجل كلمة
- 680..... إلى شجرة
- 683..... الطاووس
- 685..... الصباح في القاهرة
- 687..... المقعد الخالي
- 690..... من أجلك
- 692..... جاء الخريف
- 694..... عيد الربيع
- 697..... الزيارة الرهبة
- 699..... عصفورة وعملاق
- 701..... الروابي الحالمة
- 704..... يا عاشقة
- 705..... الضيف الدائم
- 707..... اغضاء
- 708..... الضحايا
- 710..... الحلم المتصر
- 712..... الأصل والصورة
- 714..... الزائرة الحساء
- 717..... العابر... والحمار
- 719..... عظمة الله
- 721..... إلى ولدي

- 722..... الكوخ الأخضر
- 724..... الخل الوفي
- 726..... عذوبة الأشياء المحطمة
- 728..... ساعات ليلى
- 730..... لست صديقتة
- 732..... الحب الخالد
- 734..... غرور طفلة
- 736..... غرام الشيوخ
- 741..... عوراء
- 743..... أنا وعقلي
- 745..... الصيف في الظهيرة
- 747..... الجرح العنيد
- 750..... أخيراً
- 752..... شاطئ الحنان
- 755..... النخلة الشهيدة
- 759..... اللحظة الأخيرة
- 761..... القلب القيط
- 763..... 7- لمن أغني ؟
- 765..... إهداء
- 767..... القاهرة في وشاح الليل
- 770..... أنا والليل
- 776..... الإنسان والزمن

781	أغنی الأغنیاء.....
786	ما أبقت الأيام.....
791	النبع وقلب الإنسان.....
797	الإسكندرية.....
801	الجمال العبقري.....
804	الدوحة الحزينة.....
810	النیل الخالد.....
815	نهاية الأشياء.....
819	لمن أغني.....
821	الجنة العذراء.....
826	لحن الخلود.....
832	فجر الإنسانية.....
838	تراتیل صوفیة.....
842	میلاذ روحي.....
848	جرح ولیل.....
851	الفهرس.....

